هكذا تكلمت النساء

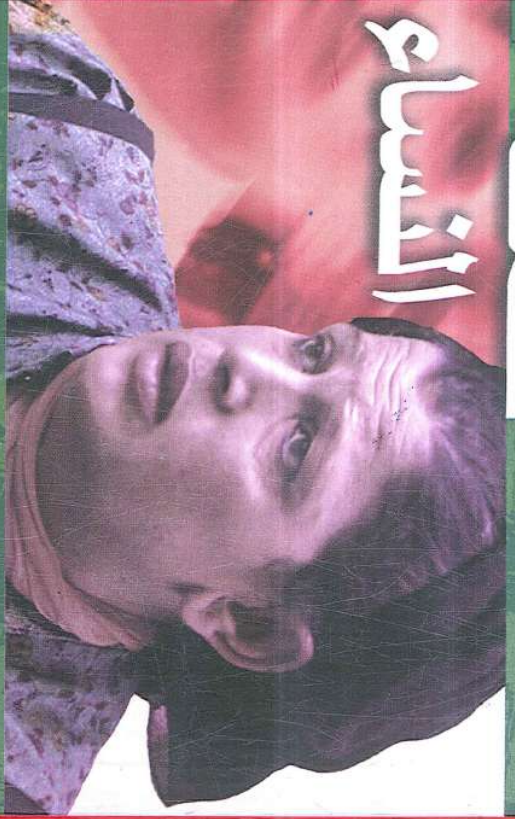

ثريا التركى
ملك رشدى
آمال طنطاوى

ميريت + نور- جمعية المرأة العربية

ثريا التركى / ملك رشدى / آمال طنطاوى ■ هكذا تكلمت النساء ■ ميريت

هكذا تكلمت النساء

هكذا تكلمت النساء

ثـــريا التركى
مـــلك رشدى
آمـــال طنطاوى

الطبعة الأولى ٢٠٠٦ .
(c) دار ميريت
٦ (ب) شارع قصر النيل، القاهرة
تليفون / فاكس: ٥٧٩٧٧١٠ (٢٠٢)
www.darmerit.com
merit56@hotmail.com

الغلاف : أحمد اللباد

المدير العام : محمد هاشم

رقم الإيداع: ٢٠٠٥/١١٤٢٥

الترقيم الدولى: 977-351-258-4

ثـــريا التركى
مـــلك رشدى
آمـــال طنطاوى

هكذا تكلمت النساء

دار ميريت
القاهرة ٢٠٠٦

استهلال

تمثل هذه الدراسة باكورة أعمال نور - جمعية المرأة العربية- قسم الدراسات الاجتماعية، حيث أن الاهتمام بالمرأة العربية في اطار الأسرة يشكل أهم الأسس التي تقوم عليها المجتمعات العربية. وكما هومعروف، ان الوطن العربي يتعرض لتغيرات جذرية منذ أكثر من حقبتين مست القاعدة العريضة من المجتمعات علي المستوي السياسي والاقتصادي والتي انعكست بدورها علي الاسرة وبالأخص علي علاقة المرأة بالرجل ضمن مؤسسة الزواج.

وقد اخترنا أن نُدخلَ بعدا جديدا في الأدبيات العربية حول موضوع المرأة والأسرة في بلادنا من خلال التركيز علي "دراسات الحالة" case studies في خصوصيتها وتفاصيلها الحياتية بهدف اعطاء مساحة (منبر) للمرأة لتتحدث عن نفسها وعن روايتها لواقعها وللمجتمع من حولها. وهذا ايمانا منا بأن افساح المجال للمرأة للتعبير عن نفسها هو أحد الوسائل لتمكينها في مجتمعات ماتزال تطمس إلي حد كبير صوتها الخافت الذي لا يسمع في إلا في حالات معينة علي الساحة العامة أو من خلال شخص ما هواهي إلا موكل عنها.

وعليه فقد تم تكوين مجموعة بحث عام ١٩٩٩ مكونة من كل من ثريا التركي –أستاذ علم الأنثروبولوجيا بالجامعة الأمريكية بالقاهرة و ملك رشدي محاضرة في علم الاجتماع بالجامعة الأمريكية بالقاهرة لوضع تصور للدراسة والقيام بالدراسة الميدانية في القاهرة والتي بدأت في عام ٢٠٠٠ ثم انضمت اليهم آمال طنطاوي مدرس بقسم الاجتماع بجامعة القاهرة عام ٢٠٠٢ والتي وسعت نطاق الدراسة لتشمل حالات بحثية في مناطق جديدة من اطراف القاهرة الكبرى. وقد قامت آمال طنطاوي بتحليل المادة التي تم جمعها و كذلك قامت بكتابة هذا النص مع مراجعته من قبل كل من ثريا التركي وملك رشدي.

ويمثل هذا الكتاب العدد الأول من الدراسات الاجتماعية الخاصة بالأسرة التي تتبناها نور – جمعية المرأة العربية– اذ أنه يجري حاليا الاعداد لنشر دراسة مماثلة عن مدينة جدة في المملكة العربية السعودية.

ونأمل أن تقدم نور – جمعية المرأة العربية– من خلال هذه الأعمال مجالا لتعمق الفهم في المتغيرات التي مازالت تطرء علي الساحة العربية والتأكيد علي أن المرأة العربية قادرة علي التعبير عن نفسها وعن احتياجاتها شرطا أن تتاح لها مساحة التواجد والحوار.

وأخيرا نشكر كل من ساهم في هذه الدراسة وعلي رأسهم النساء الآتي شاركن بالسرد وبالحوار عن أحوال حياتهم بكرم وثقة وسعة صدر. وكذلك نشكر مؤسسة مركز قضايا المرأة

المصرية وعلي رأسهم الأستاذة عزة سليمان مدير عام المؤسسة وعضو مجلس الأمناء التي لم تبخل علينا بالوقت والمساندة خلال هذه الدراسة وكذلك نخص بالشكر الأستاذ وحيد لتيسيره لنا العمل فلقد ساهم مشكورا بافساح لنا المجال لمقابلة النساء والتعرف علي الأطراف المعنية بقضايا الزواج والطلاق.

وأخيرا وليس آخرا نشكر مؤسسة فورد علي تمويل هذه الدراسة وتعاونها معنا وموافقتها المتعددة علي تجديد منحة البحث لحين الانتهاء منه علي أكمل وجه.

المقدمة

أضـــحت الكتابة عن المرأة معضلة، إذ من جهة أولى كثرت الكتابات عنها، وتعددت زوايا النظر إليها، ومن جهة أخرى، فإن الموقـــف مـــن المرأة، كتابة وتحليلاً وممارسة هو موقف من لب حكايـــة المجتمع الكبرى، ألا وهي علاقة الحداثة بالتقليد. ومن هنا فالباحث في قضايا المرأة بين فكي رحى، فقد يتعاطف مع تجارب نساء كافحن الظروف القاسية التى عشن في ظلها، فيقع في شرك الذاتـــية المطلقـــة، ويتحول الأمر لديه إلى سرد لحظات من حياة بعـــض النساء، ويصورهن مثل دون كيشوت محاربات لطواحين الهـــواء، ويـــتعامل مع رؤيتهن الخاصة للأحداث، وكأنها الحقيقة المطلقـــة التي لا يأتيها الباطل من يمينها أو يسارها، أو قد يؤلمه قهـــر الظـــروف التاريخـــية والاجتماعية التي ترزح المرأة تحت وطأتها، وينظر لها كضحية مقهورة لا حول لها ولا قوة، فيقع في أسر الموضوعية القاحلة، ويصل إلى تعميمات حول علاقة المرأة بالـــتاريخ والمجـــتمع، أو قد يجد نفسه مطالباً بأن يحدد موقفاً من حكايـــة المجـــتمع الكـــبرى، والتي تمثل المرأة فيها أحد الأدوار المهمة.

والمسرح الذي تروى فيه حكاية المجتمع الكبرى تحوطه ملابسات اقتصادية واجتماعية وسياسية، محلية وإقليمية وعالمية، تفرض وتحدد أدوار الممثلين وملامحهم الاجتماعية وعلاقات القوة غير المتكافئة التي تحكم العلاقات بينهم. فقد تأثر المجتمع المصرى منذ منتصف الثمانينيات بمجموعة من المتغيرات المحلية والإقليمية والعالمية التى كانت لها انعكاساتها الملموسة على الأوضاع الاجتماعية الاقتصادية والسياسية، وكانت بمثابة الإطار العام الذي حكم السياسة الاجتماعية خلال العقد الأخير من القرن العشرين. فالمراقب للتطورات الاجتماعية في مصر خلال تلك الفترة، سوف يلمس بشكل جلى عمق وتلاحق تلك التغيرات ، فما تزال مظاهر الأزمة الاقتصادية: التضخم، البطالة، عجز ميزان المدفوعات، تذبذب سعر الصرف، تطال بل وتؤثر على كثير من فئات المجتمع، بالإضافة إلى عودة العمال المهاجرة من البلدان العربية النفطية بعد حرب الخليج الثانية، وتزايد وتفاقم أوضاع الفقراء منذ التسعينيات والنمو السريع للعشوائيات الحضرية. فقد زادت تناقضات نماذج التنمية المتبناة، ما استندت عليه من تحالفات اجتماعية وفشلت تلك النماذج في تغيير أبنية الإنتاج التابعة والمشوهة، وتمخضت عن حدوث تفاوت صارخ في توزيع الدخل والثروة، وتهميش قطاعات واسعة من فئات المجتمع، وتضررت شرائح متعددة من الطبقة الوسطى الريفية، والحضرية والطبقات الدنيا الريفية، والحضرية من جراء سياسات التكيف، وبدأت كثير من بلدان العالم النامي تعيد طرح قضية السياسة

الاجتماعية من جديد ولكن في إطار عالمى مختلف، وفي مناخ الحوار غير المتكافئ بين دول الشمال والجنوب، ومن خلال سياسات التكيف التى طرحتها المؤسسات الدولية ممثلة في البنك الدولى وصندوق النقد الدولى.

ودخلت الدولة في مصر منذ منتصف الثمانينيات في أزمة حادة بفعل عوامل متعددة تمثلت في تراجع موارد النقد الأجنبى وتدنى أسعار النفط وعودة الآلاف من المهاجرين إلى دول الخليج، وتمثلت أعراض الأزمة في تراجع معدلات نمو الناتج المحلي وارتفاع معدلات التضخم وتزايد معدلات البطالة، وتناقص معدلات الاستثمار، والعجز في ميزان المدفوعات، وبدأت الحكومة المصرية إجراءات إعادة الهيكلة الرأسمالية في النصف الأول من التسعينيات بعد التوقيع على اتفاقيتين مع البنك الدولي وصندوق النقد الدولي لتقديم برنامج لتحرير الاقتصاد المصري وسارعت الحكومة من إجراءات هذه السياسات في النصف الثاني من التسعينيات، مضحية بفكرة العدالة الاجتماعية ومجتثة لها من جذورها في كافة المجالات الاجتماعية.

فقد ازدادت أعداد المتسربين من المدارس، وانخفض مستوى العملية التعليمية، وتعرضت أعداد كبيرة من المتعلمين وغير المتعلمين إلى البطالة أو العمل في أنشطة غير منتظمة، وتضاعفت نسب الفقر وزادت الأحياء العشوائية على الرغم من تعاظم الاستثمارات العامة والخاصة في مجالات الإسكان الحضري بوجه عام، وقد مثلت هذه المشكلة، وخاصة للشباب

المقبل على الزواج مشكلة كبرى، وأصبح حلم الحصول على شقة مـبرراً كافياً لدى الأسرة لقبول الزواج، وكان أيضاً سبباً لتحطيم زيجات قائمة بالفعل كما أدى شيوع أنماط أخرى من الزواج مثل الـزواج العرفـي. كمـا أثرت سياسات التكيف الهيكلي أيضاً في إعـادة تشكيل نمط الهجرة الداخلية، فمع عودة الهجرة من البلدان العربـية، أصـبحت الهجرة الداخلية هي القناة الأهم بالنسبة لكثير مـن الشـرائح والفئات، خاصة تلك التي لا تجد عملاً والآتية من الـريف إلـى المـدن الكبرى والمدن الصناعية الجـديدة. ولأن المهاجرين لم يكـونوا مـن أصحاب المهارات والكفاءات، ولم تسـتـوعبهم المدن الصناعـية التي هاجروا إليها، فـقد عـاشوا علـى أطراف هذه المدن في عشـوائيات جديدة، وفي مهن غير منـتظمة وتزايدت معـدلات العاملين في القطاع غـير الرسمي، واسـتوعب المـزيد مـن العمالة غير الماهرة، وغير المـدربة وتـزايـدت العمـالـة النسـائية في هذا القطاع، ومن ثم كانت الفرصـة مـتاحة بشـكـل أكبر لعـمل نسـاء تـلك الشرائـح خـاصة في الخدمة المنزلية وفي بعض أعمال البناء.

إن استعراض تلك المتغيرات، وما خلفته وراءها من تأثيرات علـى درجة كبيرة من الأهمية، حيث يمهد الطريق لفهم ما حدث مـن تغـيرات مسـت البنية الاجتماعية، وفي القلب منها الأسرة المصـرية، ومن هنا أتت أهمية هذه الدراسة التي ترصد بالتحليل تغيرات الأسرة المصرية خلال تسعينيات القرن الماضي، والكيفية التـي تفاعلت بها الأسرة المصرية مع كل المتغيرات والملابسات

الاجتماعية، والاقتصادية والسياسية السابقة، وإن كنا في هذه الدراسة نركز على النساء، فهذا لا يعني إغفال الرجال والأطفال من السياق الاجتماعي، فهم يمثلون في دراستنا تلك موضوعاً لاهتمام النساء ومحوراً لحياتهن، ولكننا نكتفي هنا بالإنصات إلى النساء وهن يتحدثن، علنا نستطيع في دراسة لاحقة أن ننصت للرجال والأطفال ونسرد عبر حكيهم ما تفعله التغيرات الهيكلية الظالمة في حياة البشر الخاضعين لها.

كيف تفاعلت النساء مع الأوضاع الاجتماعية – الاقتصادية التي تزامنت مع سياسة الهيكلة الاقتصادية، وما هي الموارد الاجتماعية التي امتلكها؟ ، وكيف أدارت كل امرأة معركة حياتها الخاصة، وكيف وظفت وعيها، وخبرتها بالحياة، وكيف أدركت علاقتها بأسرتها : بالوالدين، بالزوج، بالأخوة، بالأبناء، فالأسرة لدينا هي نواة التنظيم الاجتماعي، وبها وحولها تتمحور حياة الناس، بصرف النظر عن أنماط معيشتهم، وانتماءاتهم الإقليمية والطبقية، كما تقع الأسرة كوسيط مباشر بين الفرد والدولة، كما أنها تمثل صورة مصغرة للمجتمع الكبير ولعلاقاته وقوانينه الحاكمة.. ومن هنا تأتي أهمية رصد وعي المرأة بهذا الكيان وما يحويه من علاقات وأدوار، وما يمر به من تغيرات. أي رصد الكيفية التي ينفصل بها ما هو ذاتي وما هو موضوعي في وعي المرأة، والكيفية التي تعيد بها المرأة استقبال كل المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يمر بها مجتمعنا الآن، ثم كيف تعيد إنتاجها بصورة مختلفة في ممارستها الاجتماعية، ومن

ثم الطريقة التي تنقش بها المرأة بصماتها على ملامح التغير التي انتابت الأسرة المصرية في الآونة الأخيرة؟

انطلقت دراستنا إذاً من هذه التساؤلات، سعياً وراء محاولة الإجابة عليها، وآثرنا أن نكون شركاء مع بطلات عملنا هذا، فنقدم ما نمتلكه من رؤى علمية وإنسانية في جوار مع ما تسرده تلك النسوة، ومن ثم نعطي لهن مساحة أوسع ليتحدثن بلغتهن، وتحليلاتهن وتصوراتهن، ومشاعرهن الخاصة، وفي الوقت ذاته نعيد مساءلة طرقنا المنهجية، ونعيد صياغة أسئلتنا العلمية: فهل العلم قادر عبر مثل هذه الكتابات على إحداث تغيرات في النظرة إلى الذكورة والأنوثة وأنماط السلوك الاجتماعي المرتبطة بكل منهما في المجتمع ؟ هل هو قادر على الكشف عن علاقات القوة التي تربط بين نساء المجتمع ورجاله ؟ هل هو قادر على الكشف عن الآلية التي يتم بها إعادة إنتاج اللا مساواة في المجتمع ؟ هل يمكنه الكشف عن كيفية التلاعب بما هو تقليدي، وما هو حديث في قضية الصراع الاجتماعي، مثلما هي ممارسة الواقع الفعلي ؟ أم مازال العلم يفرض تصورات وقيم على ما يدرسه من قضايا، وعلى الكيفية التي تتم بها الدراسة ؟ هل استطاع الباحثون عبر دراسات اجتماعية عديدة أن يبلوروا أصوات وأحلام وإحباطات الفئات الاجتماعية المختلفة وكذا نضالات تلك الفئات من أجل حياة كريمة ؟ في ظل تحولات سياسية واقتصادية ظالمة وقاهرة ؟ أم احتموا بلحاف الموضوعية غير العلمي وغير الإنساني خافين تلك

الأصوات متهمين لها مرة بالتخلف ومرة بالسلبية والمسؤولية عن أوضاعهن البائسة، ومرة باللا أخلاقية وانحلال القيم والمعايير؟

وفرضت علينا تساؤلات وأهداف الدراسة مواصفات عينة البحث، فبطلات عملنا لا يمثلن عموم نساء المجتمع، بل هن يمثلن بعضاً من نساء الشريحة الدنيا، وبعضاً من نساء الشريحة الوسطى، وكان لهذا الاختيار مبرراته.

فانطلاقاً من هدف الدراسة وهو البحث في كيفية تفاعل النساء مع الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي تزامنت مع سياسة الهيكلة الاقتصادية في مصر وكيف أثر هذا على التغيرات التي انتابت الأسرة المصرية تشكلت أسئلة الدراسة، فقد كانت نساء هاتين الشريحتين هما الأكثر تأثراً بهذه التحولات، فقد زادت عمالة نساء الشريحة الدنيا في القطاع غير الرسمي كعمالة غير ماهرة متدنية الأجرة، مفتقدة لكل أشكال التأمين الاجتماعي، فالتحولات الاقتصادية التي طالت بعض الأدوار المحددة تقليدياً للرجل والمرأة، لم تطل كل الأدوار، فعلى حين طالت الدور الاقتصادي لكليهما، لم تطل الدور الاجتماعي والثقافي للرجل، وهو ما ظل يستخدمه لتدعيم التفاوت في القوة بينه وبين المرأة، وهو ما كان من الممكن أيضاً أن يتأثر في ظل تفوق المرأة الاقتصادي حين تحولت في بعض الشرائح الدنيا إلى المعيل الاقتصادي للأسرة. ومن ثم كان من الضروري التعرض إلى نساء هذه الشريحة في علاقتهن بالأسرة في ظل هذه التحولات، وأيضاً البحث في آليات الحراك الاجتماعي الفاعلة بالنسبة لهذه

الشريحة من النساء في ظل تقلص بل وجمود آليات سابقة للحراك الاجتماعي في المجتمع المصري. فقد ظل الزواج في هذه الشريحة هو الآلية الوحيدة المتاحة للنساء لتحقيق قدر ضئيل وغير ثابت من الحراك عبر بعض الزيجات، وذلك كان من عوامل زواج المصريات من غير المصريين من كبار السن، والذي سرعان ما تتلاشى آثاره الوقتية، كما لم يمثل العمل لهن فرصة لتحقيق حراك، وذلك لعدم استقراره، وتدني أجره الذي لا يفي بالاحتياجات الأساسية لهن ولأسرهن، وافتقاده للتأمين والضمان الاجتماعي، وتخلي الدولة شبه الكامل عن هذه الشريحة.

فقد أدت الظروف الاقتصادية الطاحنة التي طالت نساء ورجال هذه الشريحة من افتقاد التعليم والعمل والسكن الآدمي، بل حتى مجرد الاعتراف الرسمي بهم كمواطنين، عبر التسجيل في دفاتر المواليد حيث يفتقر معظمهم – خاصة النساء – إلى شهادات ميلاد، إلى الوقوع في براثن نمط من الزواج غير مستحب اجتماعياً وهو الزواج العرفي.

كما فرضت التحولات التي طالت الشرائح الوسطى في المجتمع أيضاً ضرورة الحوار مع بعض نساء هذه الشريحة ، إذ بعض منهن استطعن تحقيق قدر من الحراك الاجتماعي كان له أثره في علاقتهن بالأسرة، وذلك عبر العمل والتعليم، وبعض منهن عبر نماذج العمل والتعليم مع الزواج. وإن كان هناك رابط بين الشريحتين، عدا رابط التحولات الاقتصادية التي عشن

تجربتهن الاجتماعية في ظلها فهناك رابط اجتماعي وهو الجذور الاجتماعية الدنيا لبعض نساء الشريحة الاجتماعية الوسطى التي اخترناها، آملين من وراء ذلك في الكشف عن هذه التحولات التي تطرأ على الأسرة حين تنتقل الأم والزوجة من وضع اجتماعي بحكم الميلاد إلى وضع اجتماعي مختلف بحكم العمل والتعليم. وهل يؤثر هذا في نمط العلاقات الأسرية التي تربط الرجل بالمرأة داخل الأسرة، وفي تحولات الأدوار لكليهما؟

كما كانت المرحلة العمرية رابطاً أيضاً بينهن، فبطلاتنا تتراوح أعمارهن ما بين ٢٠ – ٤٠ سنة في المتوسط ، حيث تأثرت تلك الفئة العمرية بشكل مباشر بسياسات التسعينيات، وانعكس ذلك على ملابسات الزواج بداية من كيفية اختيار الزوج وحتى من ينفق على الأسرة مروراً بفرص الحراك الاجتماعي المتاحة أمامهن. كما من المفترض أن تمثل هذه المرحلة العمرية بداية تكوين الأسرة واستقرارها النسبي، ومرحلة إنجاب الأطفال، وإن كان الواقع قد أكد لنا أن نساء تلك الشرائح خاصة الدنيا منها لم يحققن ما يحلمن به في مرحلة من المفترض أنها مرحلة تحقق إنساني واجتماعي للبشر عموماً.

لقد سعيت من خلال هذا الاختيار إلى الكشف عن التحولات التي طالت ما يمكن أن نطلق عليه أيديولوجية الزواج في المجتمع المصري وكيف يؤثر على تكوين ووظائف الأسرة وذلك عبر شرائح تأثرت بشكل عميق بالتحولات الاقتصادية التي مر بها المجتمع المصري منذ التسعينيات وحتى الآن. وذلك بالحوار بين

رؤانـــا العلمية والاجتماعية وبين رؤى هؤلاء النساء، أما كيف تم اختـــيار هـــؤلاء النســـاء، فهـــذه قصة أخرى لقد آثرنا أن يتنوع اختـــيارنا إقليمياً، ولم يكن ذلك عبر الانتقال إلى الأقاليم، بل عبر تواجدهـــم فـــي القاهـــرة والجيزة، فبعض النساء ولدن وعشن في القاهرة، وفي ضواحيها الشعبية والعشوائية، وبعضهن هاجرن من الريف – من قرى بحري وقبلي – إلى القاهرة والجيزة، وخاصة إلى المناطق العشوائية وحواف المدن الصناعية الجديدة مثل مدينة ٦ أكـــتوبر، حيـــث يعرف المهاجرون إليها نمطاً من السكن أيضاً يمكـــن أن نطلـــق عليه سكن الجراجات، أي السكن في جراجات العمـــارات غير المكتملة بعد، والتي تمثل نسبة كبيرة في المدينة، فـــيعمل الرجال في الحراسة للمنشآت غير المكتملة، وتعمل النساء فـــي خدمـــة المنازل المحيطة بهن أو في أعمال البناء وقد تسكن بعض الأسر المهاجرة في حجرات من الطوب تبنى بشكل مؤقت فـــي المـــنطقة الصـــحراوية المحيطة بالعمارات، حين لا يوافق صاحب العقار على سكن تلك الأسرة في جراج عقاره.

أما نساء الشريحة الوسطى، فيعشن في أحياء متوسطة وفوق متوســـطة فـــي القاهرة مثل المعادي والهرم، أو في مناطق كانت ســـابقة زراعية. وتعددت مداخلنا إلى النساء، حيث بدأت الدراسة الميدانـــية فـــي عـــام ٢٠٠٠ بـــزيارات منتظمة إلى مقر إحدى المـــنظمات الأهلية التي تعمل في حقل التنمية، وتم التعرف على بعـــض نساء الشريحة الدينا من خلالها. وقمنا بعمل ورشة عمل معهـــن، وطرحنا عليهن أهداف الدراسة واستمعنا إلى تصوراتهن

حول الموضوع والدراسة، وكانت الموضوعات والقضايا المتعلقة بأيديولوجية الزواج من أهم الموضوعات والقضايا التي طرحناها وأخذناها في اعتبارنا: مداولات الزواج، ضمن العائلة، ومداولات الطلاق، وزواج المصريات من غير المصريين، والأبعاد المالية المتعلقة بالزواج، واتخاذ قرار الزواج والطلاق، والعلاقات غير المتكافئة بين الزوجين، وداخل الأسرة. ومن هنا انطلقنا إلى عدد من المقابلات الفردية، استمرت حوالي ستة أشهر، وتمت هذه المقابلات في منازل ومساكن النساء. وكانت مقابلات حرة مفتوحة، دون أن نقيد المرأة في حديثها بأية إجابات جاهزة لدينا، ودون أن نفرض رؤانا وتصوراتنا على ما تطرحه من سرد لحياتها.

واستخدمنا طريقة أخرى في الوصول إلى البعض الآخر من الشريحة الدنيا وهو عبر العاملات بالمنازل ممن يقطن حواف المدن الجديدة، حيث تمثل النساء العاملات في المنازل حلقة وصل بين السكان المهاجرين إلى تلك المناطق وبين الأحياء السكنية المتوسطة وفوق المتوسطة.

أما نساء الشريحة الوسطى، فقد تقابلنا معهن خلال عام ٢٠٠١ وكلهن يعملن في وظائف مهنية، وذلك عبر بعض العلاقات الأسرية والشخصية.

وعلى الرغم من اضطرارنا إلى قصر العينة في هذه المرحلة من الدراسة على النساء دون الرجال – وهو ما أشرنا إليه سابقاً على أن نستكمل، فيما نأمل، دراسة أخرى عن الرجال فيما بعد،

إلا أننا لم نغفلهم تماما في الدراسة. فالتقينا ببعض الرجال، وإن كان مبرر الاختيار مهنياً أكثر منه نوعياً فأحدهما محام في أحد المنظمات المدنية الخاصة بالتنمية والآخر مأذون، ويمثل بالنسبة لدراستنا منفذاً ضرورياً نتطلع عبره على أنماط المشاكل التي تصادفها النساء المتزوجات مع قوانين وأحكام الزواج في المجتمع المصري، وأشكال التحايل التي تلجأ إليها بعض النساء على قوانين الزواج تحت الوطأة الاجتماعية والثقافية.

لقد صهرت التجربة الاجتماعية حياة بطلاتنا، وخرجت بعضهن من التجربة أكثر قوة، بينما ضاعت أخريات في مراراتها وقسوتها لكنهن اشتركن جميعاً في شرف المحاولة والكفاح من أجل تحقيق حياة إنسانية لم تجد مناخاً اقتصادياً سياسياً – ثقافياً مدعماً ومسانداً، فدعونا نستمع إليهن.

رحلة لامرأتين إحداهما من إحدى شرائح الطبقة الوسطى، حيث عمل الأب في وزارة انتدب في إحدى مكاتبها في بلد ما، والثانية انتمت من حيث المولد إلى فئة دنيا في المجتمع، حيث كانت تعمل والدتها عاملة بالأجرة.

هل هناك ما يربط بين هاتين المرأتين:

قد يبدو للوهلة الأولى أنه لا يوجد رابط سوى الرابط النوعي، كلتاهما تنتمي إلى نوع واحد.

وكذا الرابط العمري، امرأتان في سن الشباب وإن كان التفاوت الطبقي عاملاً فارقاً بينهما.

ولكن في ظل التحولات الاقتصادية التي طالت المجتمع المصري منذ الثمانينات وما تلى ذلك، صارت هناك تشابهات في ظروف فئات طبقية كانت متفاوتة منذ عهد قريب ، هذا على المستوى العام. أما على المستوى الخاص، فهما امرأتان امتلكتا إرادة القوة (على حد تعبير نيتشه) وتجلى هذا في رحلة كفاح الأولى حتى تتشبث بموقعها الطبقي، ولا تتجاوزه إلى المستوى الأدنى، حيث رشحتها الظروف الموضوعية إلى رحلة هبوط طبقي، أما الثانية فقد كافحت من أجل الصعود إلى أعلى، وتحقق لها ما أرادت بالفعل، لقد صعدت إلى شريحة وسطى في المجتمع.

بين رحلتي التشبث بالموقع الطبقي وعدم الهبوط، والصعود الطبقي، تتضح لنا ملامح اجتماعية وثقافية واقتصادية عدة في المجتمع المصري، الذي تنتمي إليه هاتان المرأتان كما يكشف لنا عن جانب من حياة الأسرة المصرية في ظل حركة البندول المتأرجح هل تغيرت بعض القيم الأسرية، وكيف تغيرت، لماذا، ما هي آليات الصعود الطبقي في تلك الآونة المعاصرة؟ إن التعليم والزواج محوران رئيسيان نالهما الكثير من التحول؛ ومن ثم انعكس ذلك على دورهما كآليتين من آليات الصعود الطبقي.

هل مازالت الأسرة المصرية هي موقع قيم التضامن والتعاون والثقة بين أفرادها؟

ربما تميزت رحلة هاتين المرأتين ببعض السمات النوعية الفارقة عن حياة نساء أخريات في نفس الظروف الموضوعية ولكنها إرادة القوة، التي نحن بحاجة إلى استلهامها، حتى لا تتحول

الظـــروف الموضـــوعية القاهرة إلى قدر لا فكاك منه، مع علمنا بمدى حدود الحركة في ظل تلك الظروف المفارقة في حالتينا هنا، إن الأولى اقترنت بزوج أدنى طبقياً حيث عمل والده سائقاً، ولكنها الـــتحولات التـــي طالت المجتمع المصري وقاربت بين شرائح لم تكـــن مـــتقاربة على المستوى الاقتصادي، والثانية ارتبطت بزوج أعلـــى طبقـــياً ولكنهما تفاوتا من حيث الانتماء، حيث انتمت هي للقاهرة وانتمى هو للريف، ومن ثم فلم تكن رحلة صعودها كفاحاً فقـــط علـــى المستوى الطبقي، ولكن أيضاً على المستوى الثقافي دعونا نلقي بعض الأضواء على رحلتيهما.

تقـــول الأولى "والدي كان إداري في المكتب التجاري في بلد إفريقـــي، وكـــان والده من الدعاة الإسلاميين في هذا البلد وتزوج أبـــي مـــن هناك، وعندما عدنا لمصر لم تتأقلم ماما مع المجتمع والناس هنا، واكتشفت عدم وجود أصحاب ولا أهل، فانفصلت عن بابا ومشيت لبلدها وعشنا مع بابا – كنا أربع أخوة – بعد فترة بابا اتجوز وأنا طبعاً علشان كنت كبيرة لم أتأقلم مع زوجته، وحصلت صـــدامات كثيرة ، وعمتي قالت لي تعالي عندي، كنت طالبة في مدرســـة لغات، وكان جوز عمتي جامد شويه، مفيش عنده مرونة وهو كان ذو مركز مرموق".

انفصـــال الأب والأم، أي بمفاهيم علم الاجتماع رغم التفكك الأســـري الحـــادث ورغم زواج الأب ، وعدم التوافق مع زوجة الأب، فهـــي لم تنحرف عن مسارها، فقد وجدت في العمة (وهي أحـــد عناصر العائلة الممتدة) دعماً اجتماعياً ساندها طوال رحلتها

وهـذه إحـدى القيم المهمة، والتي كانت عنصراً أساسياً في فكرة العائلـة الممـتدة، التـي تشـمل إلى جانب الأب والأم، أخواتهما وأبويهما (أي الجدين) ورغم عدم اشتراك الجميع في مسكن واحد كمـا فـي الريف إلا أن الدور الاجتماعي الذي تؤديه تلك العائلة الممـتدة مازال له تأثيره، وإن كانت نالته بعض التغيرات المقترنة بالـتحولات الاقتصادية (وسوف يكون هذا موضوعنا في حالات أخرى).

اسـتمرت صـديقتنا فـي رحلـة التعليم حتى حصلت على بكـالوريوس تجـارة، ولم يتحقق حلمها الأول في الالتحاق بكلية الإعلام ولكن هذا لم يوقف تقدمها، فقد تدربت في أحد البنوك لمدة سبعة شهور تقريباً، ثم تعرضت للإحباط الثاني في حياتها، وإن لم تخضـع له، ولكـن أدركـت أسبابه وتجاوزته، تقول "أول حاجة ضايقتني إني كنت باحب العمل في مجال البنوك قوي، ورغم أني حبيـت العمـل واشتغلت، بس مش معنى إنه كويسة يبقى تاخدي اللـي انتى عاوزاه، أنا اتعلمت كويس واشتغلت كويس، وأنا كنت أجـدر بالوظيفة من البنت اللي خدتها، لكن الواساطة ، فهي كانت واسـطتها كبيرة وإنما أبي كان يعمل بالبنك في هذا الوقت، ولكن كـان أقـل مـن وسـاطة البنت، تركت الشغل وقعدت في البيت ودخلت الجامعة الأمريكية وأخذت كورسات conversation مع العلم أنها كانت تعرف الفرنسية.

وقفـت الواسـاطة حـائلاً دون حصولها على ما تريد، وما تسـتحق فالوسـاطة الكبـيرة غير الوساطة الصغيرة، ولكنها لم

تستسلم، فقد تركت العمل وواصلت التعليم وربما ساعدتها ظروفها الأسرية على هذا القرار، فهي لم تكن مضطرة بشكل قهري للعمل مثل نساء أخريات سنتعرف عليهن فيما بعد، ويصبح هذا عاملاً مهماً من عوامل عدم قدرتهن على الرفض والمقاومة لما لا يرضينه. ومع ذلك فقد عادت للعمل مرة أخرى بدعم صديقة لها.

"واحدة صاحبتي جابت لي وظيفة. لكني كنت زعلانة قوي علشان كنت باخد ١٢٠ جنيه، قلت خلاص الواحد لازم يبتدي صغير.. كان غيري من زميلاتي يأخدوا ٣٠٠ جنيه حسب الشركات اللي بيعملوا فيها، علشان كده ماكنتش حاسة بأهمية الشغل، كمان كان الورق مش متظبط وما كنتش حاسة أني باعمل حاجة".

كانت دائرة الأصدقاء من الدوائر الاجتماعية التي تساند المرء، وما زالت تلعب نفس الدور، فقد حصلت صديقتنا على الوظيفة من خلال هذه الدائرة، ولكن طموحها لم يتحقق من خلال هذه الوظيفة فهي لا تحصل على التقدير المادي المناسب، كما لا تقدم شيئاً له معنى من وجهة نظرها، أي أنها لم تستسلم لفكرة أن تعمل فقط، دون النظر لقيمة ما تعمل، فقررت أن تعيد ترتيب العمل حتى تشعر بقيمته.

"بعد كده قررت نعمل حاجة جديدة ، بعد ٣ سنين، عملنا حاجة كويسة، بدأنا نعمل سيستم system للشغل ونعمل أوراق جديدة، وبدأنا ننشئ عمل جديد وساعدني والدي فهو كان تايبست

Typist كويس قوي، وكنت أستعين به في كتابة الأوراق، وكان بيوجهني".

مرة أخرى ، هي لم تستسلم وساندها والدها الأب أيضاً فالدور الاجتماعي للأب لم في حياتها بزواجه مرة أخرى، كما لو تنته علاقاتها به وبأخوتها رغم إقامتها لدى العمة، "كنت أروح عند بابا وأخواتي يجولي وكل حاجة بس أنا ما بقعدش عندهم".

فخروج الفتاة من منزل الأب إلى منزل العمة مشروع اجتماعياً فهي فتاة التزمت بالحدود المفروضة اجتماعياً ولم تتجاوزها، بل وظفها واستفادت منها وهي سمة لازمتها في كل خطوات حياتها، كما حدث عند الزواج مثلاً فالزوج لم يكن مقبولاً لها على المستوى الشكلي ولكنها أعادت تشكيله من جديد، وتجاوزت ضعف إمكانياته المادية واستعانت بعملها الخاص، وبدعم العمة لها ولكن دون استغلال لهذه العمة وصديقتنا تلك نموذج للاستفادة من الدعم الذي تقدمه مؤسسات رأس المال الاجتماعي مثل الأسرة ولكن دون استغلال لهذه المؤسسة ومن ثم دون خضوع تام لها في تشكيل حياتها، وهو ما يشكل عقلانيتها الخاصة بها في الاستفادة من المتاح اجتماعياً وتوظيفه بشكل لا يجعله عبئاً على قرارات الفرد الخاصة.

"فلان، اللي هو جوزي دلوقت، كان معانا في الشغل، ماكانش بيني وبينه وفاق ، وماكانش شكله عاجبني، مش الاستايل بتاعي، أنا كان لي أصحاب في الجامعة كتير، وأصدقاء يعني، ما كانش فيه علاقات حب ولا حاجة، كانوا بيعتبروني ولد معاهم، وماكنتش

دلوعـــة، لكن كنت بخرج معاهم نروح السينما أو نتفسح ، حاول يفهمني أنه بتاع بنات وقال لي ممكن نخرج نتفسح، قلت له لا أنا مـــش بتاعة الكلام ده، قال لي طيب أنا عاوز أرتبط بيكي بس لما ربـــنا يسهل، قلت له لا، لما يكون عندك شقة نبقى نتكلم ونتفاهم، ولما لاقاني مصره بدأ يدور على شقة فعلاً وقال لي أنا عاوز أكلم باباك، وبدأنا أخذنا ٧ أو ٨ شهور نتعرف على بعض وخلاص أنا عرفـــت إنـــك إنسانه كويسه وهو كويس بدأنا نفكر في الخطوات اللـــي جايـــة مافيش رومانسيات، مافيش وقت للحب والكلام ده، عندنا حاجات تانيه أهم نفكر فيها، بدأنا نفكر إزاي نعمل فلوس".

اتسعت حركتها الاجتماعية ، لم تقتصر على الانتقال من بيت الأب إلـــى بيت العمة، وإنما امتدت لتشمل حركتها بين الأصدقاء (الخـــروج والتـــنزه معهـــم) ولكنها مرة أخرى وضعت الضوابط والمعايـــير علـــى تلك الحركة، فقد تماثلت في سلوكها مع سلوك أصدقائها الشباب حتى اعتبروها، ولداً مثلهم، وكان هذا هو الشرط حـــتى لا تدان اجتماعياً من قبل اختلاطها بالجنس الآخر على هذا الـــنحو، وعـــندما اتخذت قرار الزواج ، لم تقف كثيراً عند حدود عـــدم إعجابهـــا الشكلي بالزوج المرتقب، وبحثت في معايير أكثر موضـــوعية فـــي قـــبول هـــذا الزوج "أنا حسيت إنه ولد كويس، وبيحـــترم ويحافظ على كلمته وكمان بيتحمل المسئولية، حتى هو كان بيشتغل وهو طالب، ودي حاجة أنا بحبها في الرجل" فلم تكن هـــي المرأة التي تبحث عن معايير شكلية لقبول الزوج، وطرحت

السؤال العملي الأول "هل لديك شقة" ثم بعد تحقيق الشرط الذي أرادته كان السؤال العملي الثاني "كيف ندبر المال".

والحصول على المال تم عبر طرق ارتبطت بشرائح وسطى من الفئات الدنيا وبشرائح من الفئات الوسطى وهي طرق الجمعيات ثم القروض ثم دعم الأهل القادرين على الدعم المالي وهي طرق تزاوج ما بين الشكلين التقليدي والحديث في الحصول على المال.

"بدأنا نحوش مع بعض وندخل جمعيات علشان نكمل الشقة ومستلزماتها، وأخذنا سلفة، وطنط (العمة) بس هي اللي ساعدتنا علشان كان معاها فلوس، لكن بابا ماكانش عنده فلوس بجانب مسئولياته الكتيره، وتعليم أولاده وبدأنا إحنا الاتنين نجهز نفسنا ونشتري كل حاجة مع بعض".

بدأت صديقتنا أولى مراحل تكوين أسرتها الجديدة، معتمدة على ذاتها، وعلى قدرتها على اتخاذ القرار، وقدرتها على توظيف كل ما تملكه من موارد اجتماعية مثل عملها، مساعدة العمة، إعادة تشكيل الزوج شكلياً وسلوكياً حتى يتناسب مع طموحها، وخلق الطموح لديه، كل هذا دون أن تنسى التزاماتها الاجتماعية تجاه العمة، وتجاه أهل الزوج فهي لم تكن تلك الجامحة التي تستغل مواردها الاجتماعية دونما ضابط أو دونما التزامات اجتماعية، لقد أدركت الحد الفاصل بين استثمار ما تملك وبين استغلال الآخرين وأدركت الحد الفاصل بين الاستقلال في بناء حياتها وبين الالتزامات الاجتماعية المدينة بها لآخرين.

تقول صديقتنا:

"عمتي ست كبيرة ما أقدرش أخدها معايا لأنها اتعودت على مستوى معين ومعيشه كويسه ومقدرش أعيش معاها، دي بقى مشكله كبيرة قابلتني كنت باحاول أوفق بينهما، وكنت عاوزاها تبقى معايا، نفسي تعيش معانا علشان ماتعش لوحدها، وكان معانا ٨ آلاف جنيه ما كانتش تكفي لشراء العفش ولا بياض الشقه ، ولا الأجهزة، ففكرنا نقعد معاها هنا والأجهزة موجودة ونشتري حجرة نوم ونبيض الشقة ويبقى كدا ضربنا عصفورين بحجر، جددت في المطبخ حاجات وفي الحمام وبيضت الشقة وغيرت قماش الصالون واشتريت حجرة نومي، وعمتي كانت اشترت لي حاجاتي الخاصة، وعملت لي الفستان، وأخذت منها فلوس علشان أكمل وأشتري حاجات لكن بعد الزواج سددنا لها فلوسها اشتريت كنبه واتفقنا أنا وجوزي على أن كل احتياجاتنا إحنا المسؤولين عنها من مرتباتنا، طنط ملهاش دعوة، هي بس بتدفع تمن الجورنال وأنا بأدفع النور والإيجار والجراج، يعني أي التزامات علينا وهي مالهاش دعوة، تشتري حاجة زيادة لنفسها هي حره.

بدأنا المرحلة الثانية في تغيير شكل الزوج وبعض سلوكياته، وطموحاته، وفي كسب ود الأهل الذين كانوا يبغون زوجة بمواصفات مختلفة "أنا غيرت في شكله كتير، وطريقة ملابسه اتغيرت، وشنبه حلقه، ودايماً أقول إن الرجل شكله يدل على ذوق مراته، أنا باختار له ملابسه، وأنا مش مسيطرة ولا حاجة، بس

أحب إن شكله يبقى مناسب، وهو مبسوط من كده، ودايماً أقول له رأيي وهو يقول خلاص مادام إنتي شايفه إن كده أحسن، كما في موضوع السجاير، أنا كنت الأول أجيب له قاروصة سجاير ياخد منها كل ٤ أيام علبة، يعني بيدخن علبة سجاير كل ٤ أيام وخلاص، مش مشكلة فلوس بس عشان صحته، كان قصدي يقلل من التدخين، وما كانش فيه اختلاف شديد بيني وبينه إلا أن أهله كانوا عاوزين في زوجته مواصفات غير مواصفاتي مثلاً مامته كانت عاوزه زوجة ابنها تكون بيضاء حلوة لها مقاييس تانية وأنا مختلفة عن ما كانوا عايزين ودي حاجات أنا كنت باحسها من أول ما ارتبطت به، وزاد إحساسي بها بعد الزواج كمان كانوا عايزين يجوزوه واحدة قريبته، لكن أنا لما دخلت العائلة أحبوني جداً، حتى والده كان دايماً يستشيرني، مفيش حاجة تتعمل في البيت هناك إلا لما ياخد رأيي، وأنا كسبت حبهم بالمعاملة الكويسة، يعني دايماً لما تعاملي حد كويس لازم يعاملك كويس ، ووالدته بقت كويسة معايا، حتى أخته قالت لي مرة يا أبله عمري ما شفتك متنرفزه ولا عصبية، وعمري ما أتدخل في حياتهم وحتى لو حاجة تخصني عمري ما أتكلم أبص بعيني وأسكت، وأنا أراعي ربنا واعاملهم كويس،وإذا كانوا محتاجين مساعدة ولو كان آخر مليم معانا عمري ما طلبت منه عدم مساعدتهم مساعدة الأهل دي حاجة مقدسة طبقاً للحديث الشريف "أنت وما ملكت لأبيك" ، حتى مرة أمه قالت لي أنا مش عاوزه حاجة أكتر من كده، أنه

يبقى مبسوط كده كان يبقى مختلف وما عندوش طموح، لأنه كان قلق بالنسبة لأهله".

إنهـــا تجســـد بعض القيم الاجتماعية المقبولة والمطلوبة على المســـتوى المثالي، ولم تتعارض منظومة القيم تلك، مع اختياراتها واســـتقلالها، فقـــد تجـــاوزت مشكلة الشكل كعائق أمام قبول أهل الـــزوج لها حيث لم تكن تتسم بمواصفات الجمال المتعارف عليها اجتماعياً، ولكنها استثمرت قيمها الخاصة بحق الأهل على الأبناء وعدم التدخل في شئون الآخرين، واحترام خصوصياتهم في كسب احـــترام وقـــبول أهل الزوج، وفعلت كل ذلك بوعي عملي وديني "حديـــث الرسول (ص)، ولو فعلت غير ذلك لقضت على طموح الـــزوج وأهدرت الحياة في صراعات مع الأهل الرافضين لها في البداية".

حـــتى مع العمة التي رغبت في الحياة معها، عاشا معاً حياة منفصـــلة متصـــلة، فخلقت بذلك نمطاً مختلفاً للعائلة الممتدة، التي كانت تعني سيطرة أحد الأطراف على الباقين داخلها، والتي تعني اللاخصوصـــية في الحياة اليومية، كما تعني في جانب آخر منها الاعتمادية من قبل الأطراف الخاضعين للشخص المسيطر.

تقول صديقتنا:

"دايمـــاً المشاكل مع طنط إنها عايزه تعمل كل حاجة علشان تريحني لكن أنا عاوزه أعمل كل حاجة علشان دي مسئوليتي، أنا لـــي طـــريقة وهي لها طريقة، وعلى فكرة إحنا الاتنين شخصيتنا

قويـــة جداً ، وكمان هي لها حياتها الخاصة، إحنا نقعد مثلاً نتفرج علـــى الـــتلفزيون وهـــي قاعدة في حجرتها وعندها كل حاجتها الخاصة هي مش مرتبطة بينا، إحنا مثلاً يوم الجمعة نروح النادي وهي تواعد صحباتها وتروح في حته تانية، مش مرتبطين ببعض كل حد عاش زي ما هو عايز، وما حدش مقيد حرية حد".

أســـرة ممـــتدة، تتحدد فيها المسئوليات، ليس طبقاً لنمط رب الأسرة المسيطر، والذي يتولى بمفرده الإنفاق على العائلة، وعلى الآخريـــن الســـمع والطاعة، ولكنهم أطراف متساوية في حقوقها والتزاماتها، أفراد مستقلون في قراراتهم الخاصة، يديرون حياتهم كـــيفما يشـــاءون، ولا يعوقهم حاجز المعيشة المشتركة، ومن ثم تتوزع المسئوليات بين الزوج والزوجة على نحو شبه متكافئ، لن نقـــول متكافئاً تماماً، لأنه رغم كفاح الزوجة من أجل أن يشارك الـــزوج معها في رعاية الأبناء مثلما تشارك هي معه في الإنفاق، إلا أن هناك حدوداً لمشاركته فتقول الصديقة:

"في مصروف البيت هو سايب الأمر كله لي وهو عارف إني مدبرة ومش مسرفة، دايماً أنسق كل حاجة، حتى في ولادتي كنت حاطة فلوس في جيب الشنطة الفلاني وهو عارفها، مفيش مشكلة كل حاجة عاملة حسابها، وهو بيديني مرتبه على مرتبي، ونتشاور أقـــول له نوزع كذا وكذا، وهو غالباً يوافق، وكل واحد منا بياخد مصـــروفه، ومصـــروف البيـــت هـــو دخـــل الزوجين بعد سداد الالـــتزامات، يعني الإيجار والنور وقسط الجمعية، مثلاً مصروف البيـــت لا يدخـــل فيه العلاج، لأن العلاج مش بند ثابت، الملابس

برضـــه مش بند ثابت، وبعدين لما نستلم فلوس الجمعية نعمل بيها إيـــه كـــل حاجة بنفكر لها فبنتشاور فيها.. ولو أخذنا سلفة بنحط أولويـــات، مـــثلاً كانت معانا عربية عمتي وهي قديمة أخذنا سلفة وقارنـــا بيـــن تكملة الشقة الخاصة بتاعتنا، ولا نغير عربية عمتي بعـــد موافقـــتها طـــبعاً، قلت العربية أهم علشان الشغل والأولاد وتحركاتـــي بهـــم في المواصلات العادية صعب كنت باخد البنت أوصلها الحضانة في شارع عدلي وأركب أروح الإسعاف وبعدين أروح الكيـــت كـــات، وبعديـــن أركب أروح شغلي، قعدت كده ٣ شهور بعد ما بعت عربية عمتي على ما جمعت الفلوس واشتريت عربـــية تانـــية اتعرضت لمشقة كبيرة، بعد كل المشوار ده أروح علشـــان أطـــبخ وأغسل مواعين وأنشر غسيل وألم غسيل وأطبقه وأشـــوف الأولاد وهو طبعاً لما بييجي من الشغل يقعد يتفرج على الـــتلفزيون، ماعـــندوش حاجـــة مطلوبة منه، لكن أنا لازم أنظف المطـــبخ قبل ما أنام وأطبخ وأصحى الساعة ٦ أعمل سندويتشات للعيال، طلبت منه يتعاون معايا، يغسل للولد سنانه الصبح ويشطفه ويلبســـه وأنـــا أتولـــى البنت علشان كنا بننزل مع بعض الصبح، وتولـــى كـــل حاجة للولد الصبح، ودلوقتي بيتعاون معايا، لكن أنا عليا حمل أكتر".

هـــي تحدد أولويات الإنفاق بالمشاورة مع الزوج، حتى إنفاقه الشخصـــي، ولا نعتـــبر أن هـــذا يمثل سيطرة، وفي المقابل تقوم بالعبء الأكبر في العمل المنزلي، ولا تعتبر هذا خضوعاً، بل إنها تـــنظر للأمـــر باعتباره تقسيماً للعمل ومشاركة في الحياة وتحملاً

للمسئولية، وهي المسئولية التي جعلتها تختار شريك الحياة بمواصفات خاصة بها، وتعيد تشكيل هذه المواصفات فيما بعد، وتعتمد على العمة، ولا تخضع لما تحدده لها من أولويات حتى أنها ترفض تدخل العمة في طريقة تربية الأبناء، وتعتمد على الأب، وتتواصل معه ولكنها ترفض تدخله فيما قررته لزواجها، وتتحول مشاكلها العائلية قبل الزواج إلى العامل الأساسي في اكتسابها لسمة الاعتماد على النفس، ورغم المشاركة مع الزوج منذ البداية في استكمال ثمن الشقة، وبعد ذلك في التجهيز للزواج، ثم في ميزانية المنزل الشهرية، إلا أنها تطالب بإثبات حقها مادياً عبر ما هو متعارف عليه اجتماعياً لضمان حقوق الزوجة المادية مثل المطالبة بنظام القائمة مثلاً، أو كتابة الشقة باسمها فتقول "عادة في الزواج الأهل بيتدخلوا، لكن بالنسبة لنا، جوزي قال لوالدي إحنا حنبني نفسنا بنفسنا وطبعاً مافيش تدخل مادي منه، لكن هو ساعد شويه في موضوع الهدايا، وإحنا حتى يوم ما كتبنا الكتاب رحنا أنا وزوجي وكتبنا الاسم والعنوان وكل حاجة عند المأذون قبل الكتاب وأهلنا شافوا القسيمة في الآخر، وكتبنا المهر ٢٥ قرش والمؤخر ٥ آلاف جنيه يعني مبلغ معقول وبابا ماقالش حاجة، والشبكة أنا نزلت اختارتها واشريتها وما حدش اعترض على حاجة خالص واحنا اللي حددنا ميعاد الشبكة، وكنا بنخرج مع بعض ونلف على كل حاجة ونشتري ما يلزم لنا وكانت عمتي ما بتعترضش، الأب دايماً بيعترض علشان ما يفقدش هيبته أمام العريس، لأنه راجل البيت ولازم يكون له كلمة، لكن أنا كنت عند

عمتـــي". فقد الأب بعضاً من الصلاحيات الاجتماعية المعترف بها مـــثل الـــتدخل في الحركة، تقرير التفاصيل بتحديد ميعاد الفرح، الذهاب للمأذون بإمداده ببيانات الوثيقة، التدخل في اختيار الشبكة، وصـــديقتنا تعني ذلك، وتعي حدود الدور المرسوم للأب اجتماعياً فـــي أنه الرجل المسيطر، والذي يبحث عن هيبته الاجتماعية أمام العريس بتدخلاته في كل التفاصيل.

ولكـــن في حالاتنا لم تتوافر للأب شروط ممارسة هذا الدور لاعـــتماد الفـــتاة على نفسها اقتصادياً، ووجودها في منزل العمة، وإن كـــان هذا الأب مازال يحتفظ برصيد من قيم الطبقة الوسطى التي انتابها التغير الآن، ألا وهي فكرة أن سلامة الابنة وسعادتها فـــي الحـــياة أهـــم من أن تؤمن بالضمانات المالية، ولكنها تؤمن بالضمانات المعنوية .

فتقول صديقتنا:

"بابـــا مـــا كانش له أي طلبات، وقال لزوجي أنا ماليش أي طلـــبات غير أنك تعاملها كويس وماتتعبهاش وماكتبناش قايمة ولا حاجه، بابا قال أنا أمنته على بنتي حاأفكر في عفش وأنا لي واحدة صـــاحبتي جوازتهـــا باظت لاختلاف الطرفين في كتابة القايمة، تكتب الدهب لا، تكتب الصيني لا".

هـــذه القـــيم التـــي تمـــر بأزمة حقيقية تحت وطأة الظروف الاقتصـــادية والمشـــاكل الاجتماعـــية التي أفقدت الأسرة الثقة في

بعضهم البعض، وجعلت التأمين المادي لحياة الفتاة هو أساس بناء الثقة مع الزوج.

ونظـــام القائمـــة كنظام لتأمين الفتاة مادياً كان قائماً من قبل، ولكـــنه ينشـــط فـــي علاقات الزواج عندما تنتاب المجتمع أزمات اقتصادية وثقافية، ويتحول المال إلى وسيلة الضمان الأساسية في المجـــتمع، وتـــتوارى القيم التي كانت تشكل الضمانة الأولى لدى بعض شرائح الطبقة الوسطى تاريخياً.

ومنها أيضاً قيمة التكافؤ بين الزوجين عند الاختيار للزواج.

وعـــندما قلنا أن الزوجة أعلى طبقياً، لم نكن نعني بذلك الهوة الطبقـــية العميقة بين الزوجين، ولكننا عنينا أن كليهما على الحدود الطبقـــية للطبقتين الوسطى والدنيا، فالزوجة من أدنى سلم الطبقة الوســـطى، والـــزوج في أعلى سلم الطبقة الدنيا، والأولى تميزت بتعلـــيم أفضـــل نســـبياً، والثانية نالت التعليم مع ثورة يوليو، كما اختلفت مهن الآباء فالأولى تنتمي لأب إداري في إحدى السفارات ثم موظفاً في بنك، والثاني ينتمي لأب سائق في هيئة النقل العام.

كمـــا عرف والد الزوجة الصعوبات الاقتصادية التي واجهت شـــرائح الموظفين المتوسطين في المجتمع وخاصة عند الخروج إلـــى المعـــاش، حيـــث يلتهم التضخم هذا المعاش، ويضطر الأب للعمـــل بعـــد المعـــاش لتلبـــية حاجات أبنائه، ويلتقي هنا مع والد الـــزوج، الذي لم تعرف الراحة طريقها إليه حتى مات، فقد التقيا في الكفاح كما تقول الزوجة.

تقـول صـديقتنا عـن كفـاح الأبوين وعن ضرورة التكافؤ الاجتماعي:

"زوجـي وأنـا بيئتنا وتعليمنا مختلف شويه عن بعض، مش فـارق كبير يعني، أبوه كان سواق وبعدين بقى رئيس ورش في الحكومة، وبعد المعاش اشتغل والده علشان أخته كانت بتدرس في الجامعـة، وأنـا والـدي كمان اشتغل بعد المعاش لأن الدخل بعد المعـاش كـان حوالي ٣٠٠ أو ٤٠٠ جنيه بينما مصاريف أختي على الكتب وطلبات كلية طب الأسنان اللي بتدرس فيها كتير قوي علـى بابـا رغـم إنهـا باسم الله ما شاء الله شاطرة جداً وأخويا الصـغير في ثانوي ومصاريف الدروس كثير يعني والدي ووالده بـيكافحوا، والـد زوجي كان بيشتغل لحد مامات الله يرحمه، لكن الـتكافؤ بيـن الزوجين ده من الأساسيات اللي مافيش فيها كلام، يعني أن الزوج يكون قريب من زوجته في مستوى التعليم، يعني بابـا مـش هيجوز بنته لواحد أقل منها طب ليه، لازم يكون فيه تكـافؤ فـي التعلـيم والفكر، يعني يكون قريب منها في مستوى التفكـير، يمكن التفاهم معها، مش حاسه إن بينها وبينه تكافؤ في التعلـيم والفكر، يعني يكون قريب منها في مستوى التفكير، يمكن الـتفاهم معـاه، مش حاسه إن بينها وبينه اختلافات كبيرة، تعليم متكافـئ مش أكتر ولا أقل كمان لازم يكونوا قريبين في المستوى الاجتماعي، ما يبقاش حاجه عاليه وحاجه واطيه، على الأقل لازم يكون فيه تكافؤ يعني وده اللي أنا بشوفه صح برضه، يعني لو هو أعلـى فـي المسـتوى هيبص لك على أن إنتي أقل منه، هو أقل

هتبصـــي له علـــى إنـــك أعلى منه ومش هيحصل التكافؤ – اللي مفـــروض يبقى موجود. لكن كل ما كان الزوجين قريبين في كل حاجـــة، كل ما كانت مركب حياتهم هتمشي كويس وبابا مره قال لـــي إن الأولاد لما يكبروا ويروحوا مثلاً بيت الجد ده وبيت الجد ده ومـــا يلاقوش إن ده بيت شكله وحش وبيئته متوسطة والناحية التانـــية بيـــئة عالية فيسألوا في يوم من الأيام ليه هنا وحش وهنا حلو، ليه مثلاً دول عندهم صالون هنا ودول ما عندهومش، وقال لي لازم على الأقل الأولاد يحسوا إن فيه تكافؤ في كل شيء حتى في بيت الجد لأب والجد لأم، يعني ما فيش فرق كبير، لما يروح هـــنا أو هـــنا يشوف نفس الشكل، نفس النضافة، ونفس المستوى، نفـــس الـــتعامل، نفس الكلام، ما يلاقيش مثلاً حد بيشتم هنا بينما بـــيعاملوه فـــي الناحـــية التانية بأدب، يعني الزوجين لازم يكونوا قريبين من بعض على قدر الإمكان".

يتضـــح من النص السابق أن الأب ما زال يشكل قناة أساسية مـــن قنوات نقل القيم الطبقية للأبناء، على الرغم من أن الابنة لا تعـــيش معـــه في نفس المسكن، وكانت قيمة التعليم، والتكافؤ بين الزوجيـــن مـــن القيم التي تحرص عليها الطبقة الوسطى تاريخياً، وانتابتها بعض التغيرات كما سنرى في حالات تالية.

عليـــنا إذن أن نستكشـــف بعـــض القيم الأخرى، التي شكلت عضـــب قيم الطبقة الوسطى تاريخياً، وما انتابها من تغيرات، كما تظهـــر عـــبر حال بعض الأسر المصرية مثل أسرة صديقتنا تلك ومـــنها قـــيمة العمـــل، وضرورة العمل، الزواج ولماذا يجب أن

تـــتزوج الفـــتاة، وقـــيود الزواج ومن هو الزوج والأب المثالي، ومجـــتمع المـــرأة المتزوجة والمرأة غير المتزوجة وكيف يشكله المجتمع، والجنس والطهارة في حياة امرأة من الطبقة الوسطى ثم فـــي النهاية حلم الصعود الاجتماعي وكيف يتحقق عبر أيديولوجية هذه الفئة الاجتماعية.

كانت فكرة الكفاح في الحياة من أجل إنجاز الأهداف الخالصة فكـــرة محوريـــة لدى بعض شرائح الطبقة الوسطى، وخاصة منذ ١٩٥٢، وتأرجحـــت هذه الفكرة وممارستها لدى أفراد هذه الطبقة صـــعوداً وهـــبوطاً بالتحولات الاقتصادية والسياسية التي مر بها المجـــتمع المصري منذ ١٩٥٢ وحتى الآن وتجسدت في عدة قيم فرعية:

قيمة العمل، قيمة عمل المرأة، قيمة مشاركة المرأة للرجل في الأســـرة، قـــيمة الصعود الفردي والتطلعات الفردية خطوة خطوة وصديقتنا نموذج لتجسدات هذه الفكرة.

حيـــث تقـــول "أنا أصلي باحب الشغل، ومش من النوع اللي يحـــب الرغي في التليفونات أو تضييع الوقت في حاجات زي كده يعنـــي أنـــا مـــا حبش أقعد من غير شغل ولا اقعد قدام التلفزيون بالســـاعات، أنـــا عايزه أعمل كل حاجه بإيدي، يعني أفضل إني أشتغل لأني لا أزهق من الشغل، كمان لازم أشتغل لأن زوجي ما عـــندوش فلـــوس كفاية، وكان لازم أكمل شغل، من غير كده ما كـــانش حيـــبقى فـــيه جواز، فشغلي مهم لحياتنا مش وجاهة ولا تهريج، لكن كان نفسي أعمل مشروع صغير، أي حاجة علشان ما

اشـــتغلش لســـن الســـتين، أنـــا فكرت في مشروع ملابس أطفال مـــانفعش، وفكرت في مشروع محل أكل لكن العمال متعبين قوي ففكـــرت فـــي مشروع جاليري بس الموضوع مكلف لازم يكون عـــندك سيولة لما تلاقي حاجة نادرة تشتريها فوراً وأنا بأفهم فيه قـــوي، ربحـــه بسيط بس دي طموحاتي وأحلامي بسيطة على ما أقـــدر أحقق ، ما أقدرش أحلم إن عندي عربية عيون مثلاً صعب لو عندي مقدرة مالية أعمل المشروع ده، إن شاء الله أقدر أعملها، زي مـــا بيقولوا نطلع السلم واحدة واحدة، كل حاجة بتاخد وقت، زي مـــا بـــنقول كده السلم ما نقدرش نطلعه مرة واحدة حبة حبة هانوصل يعني اللي احنا عايزين نوصله"

العمـــل بالنســـبة لها ليس وجاهة، ولكنه قيمة حقيقية من أجل تحقـــيق طموحاتهـــا الخاصـــة وطموحـــات أسرتها، وهي تؤمن بالصـــعود خطوة خطوة، وهذه الفكرة تعرضت لتغيرات حادة في وعـــي بعـــض نســـاء الطبقة الوسطى في الآونة الحالية (وهو ما سوف نتعرض له في حالات أخرى قادمة).

لماذا يجب أن تتزوج المرأة؟

وهي من القضايا التي انتابها كثير من الخلط في وعي النساء ولكـــن لصـــديقاتنا رؤية واضحة ومحددة، وتتسق رؤيتها تلك مع نمـــط مـــن العقلانـــية كـــان يتسم بعض نساء الشرائح الوسطى المـــتعلمات ذوات الطمـــوح المهني، كما يتسق مع اتجاهاتها في اســـتثمار كل إمكانية متاحة لها كامرأة من أجل إنجاز طموحاتها دون الحاجـــة للتعرض لصدام مع قيم المجتمع أو تعرض للرفض

الاجتماعي، وتجاوز القيود المفروضة على المرأة غير المتزوجة فـتقول "تجوزت لأن كلمة عانس دي حاجة بايخة جداً، كل الناس تبصلك على إنك ماتجوزتيش إما لأنك مرفوضة كإنسانة أو لأنك إنتـــي اللي مش راضية، وعادة مافيش اقتناع عند الناس إن البنت هي اللي مش راضية تتجوز، كمان اتجوزت علشان يبقى لي بيتي الخاص، أنا كان نفسي إني أأسس بيت، بس قطعاً إنك تعملي بيت خاص بيكي يعني لازم تكوني مرتبطة بزوج، وماكنتش ضد فكرة الزواج والارتباط ، يعني ما كانش عندي رسالة معينة تمنعني من الارتـباط، ومـــا كنـــتش معترضة على مبدأ الزواج، وما سألتش نفسي هاتتجوزي ليه لأن الزواج حاجة طبيعية كده، وكمان السبب الأهم اللي خلاني اتجوزت هو تكوين أسرة وأولاد".

هـــي تسعى لتأسيس بيت خاص بها، والمجتمع يفرض قيوده على المرأة غير المتزوجة التي تعيش مستقلة في مصر، وهي لا تـــريد الـــتعرض لـــرفض المجـــتمع والناس لها، كما لا تريد أن تـــتعرض لـــرؤية الناس للمرأة العانس، وهي لا تملك فكرة ضد الزواج، فالزواج لدى شرائح متوسطة في المجتمع شيء طبيعي لا يجـــوز التفكـــير فيه أصلاً، ولديها الرغبة أيضاً في تكوين أسرة وأطفـــال، أسباب متعددة لإقدامها على الزواج رغم إدراكها لقيوده ولكـــن بحسبة عقلانية رأت أن فوائده الاجتماعية أكثر من قيوده، فاختارت الحل الأكثر فائدة.

تقـــول "الجواز مش معناه فسح وفرفشه وانبساط، الجواز ده حاجـــة تانية خالص، التزامات وقيود على الطرفين، ولو ما فيش

الرصيد المعنوي اللي يخليكي تقدري تستحملي فيكون ده من أسباب الطلاق، وكلمة متزوجة يعني يكون لك حياتك وبيتك، وتنتقلي مرحلة تانية من الحياة، خطوة تانية خالص، لك حياتك الخاصة المختلفة عن حياتك مع صديقاتك، كنا الأول نتكلم في الفسح والخروج والسينما، دلوقت لما أقعد مع صاحبتي أقول لها عملتي إيه وابنك بياكل ولا لأ ، يعني عارفة كل منا بقى بيتي شويه، الأول كان مواضيع أحاديثنا مختلفة، دلوقتي طبعاً مافيش خروج زي الأول، أو اهتماماتي الخاصة بقت مختلفة لكن بالضبط اتقفل على المتزوجة، اختلفت كتير مش شويه".

ولكن هذه القيود تختلف عن القيود الاجتماعية المفروضة على غير المتزوجة فتقول:

"قصاد المتزوجة العانس، وبعد وقت هيبقى ما فيش عندها حرية كفاية، الناس هيقولوا هي بتخرج كتير ليه، وبتروح فين، وبتتأخر ليه، وبالذات بعد سن معينة، فوق ٣٥ لازم تراعي غير المتزوجه، وكأنها مطلقة بحيث لازم تتعامل على أنها مطلقة، أي حركة تعملها رايحة فين، وعلاقاتها لازم تكون على سيستم معين، ومن فترة ٣٣ ، ٣٥ البنت تبقى مطمع للراجل، لو البنت عندها ٣٥ سنة وكويسة جداً ييجى راجل متجوز عايز يتجوزها على مراته مثلاً، نظرة مش حلوة والبنت لازم تبقى صارمة جادة في هذه السن، ما تتكلمش مع حد، ما تتدلعش، لازم يكون لها طريقة معينة في الحياة بعد كده تبقى أمر واقع ويقولوا ده نصيبها كده وخلصت على كده ورأيي إنها بتبقى تعبانة نفسياً وبتبقى الحياة

صعبة عليها بعد ٣٥، بتبقى فترة حرجة بعد كده، ما حدش بيبص خـــلاص بقـــى بيبقى واقع ويعاملوكي بحساسية زيادة علشان ما يســـبوش ليكـــي حـــرج.. كمان الراجل ما بيكونش عايز يرتبط بواحـــدة كبـــيرة بيفضل الأصغر، لكن البنت اللي سنها ٣٥ فأعلا ســـن الراجل اللي يطلبها إلى ٥٠ أو ٥٢ سنة أرمل أو مطلق، ما يبقاش فيه اختيارات".

تـــدرك صديقتنا أن للعنوسة ثمناً اجتماعياً غالياً كما ترى أن العنوســـة ليســـت مرحلة واحدة، بل هي عدة مراحل لكل مرحلة متاعـــبها الاجتماعية والنفسية بداية من نظرة الناس غير الإيجابية لهـــا، ومـــا يفرضه ذلك من تضييق حركتها الاجتماعية وضعف الاختـــيارات أمامها بعد ذلك، ثم تجاهلها وتهميشها اجتماعياً تماماً حيـــن تفوتهـــا السن الملائمة للزواج، وما يعنيه ذلك من متاعب نفســـية جمـــة، تجعلها موضع شفقة، من أجل كل هذه الصعوبات الاجتماعـــية والنفسية، فقيود الزواج أكثر احتمالاً من قيود المرأة غـــير المتزوجة. ولكن ألم يكن الجنس وهو ضرورة إنسانية من عوامل إقدامها على الزواج؟

تقول الصديقة:

"الرغـــبة الجنسية دي ما كانتش حاجه في نيتي خالص وكل أصحابي ما فيش واحدة فيهم عالية جنسياً، وهم بيحبوا يتكلموا في الجـــنس، لكـــن أنـــا مـــا أحبش أتكلم في المنطقة دي لأنها حاجة خاصـــة، يمكن قبل الجواز كنت بتكلم أكتر، زي كل البنات لأنها

منطقة مجهولة، لكن بعد الزواج لا وأنا عاملة عملية الطهارة، ومش رافضاها، فأنا اتطاهرت طهارة مصرية عادية، طالما مادخلتش منطقة الإحساس بتبقى نضافة وتجميل".

من عادة بعض نساء الشرائح المتوسطة عدم الحديث في الجنس فهو من المناطق المحرم الحديث حولها في سياق التنشئة الاجتماعية لهذه الشرائح، حيث يدخل الحديث فيها في منطقة العيب.

وبالتالي لم نعرف من صديقتنا لماذا لا تحب الحديث عنها، ولمن تتحدث حينما تقيم حياتها الجنسية مع الزوج.

هل مع الزوج مثلاً، وكيف تعالج أزماتها الجنسية، وشكل هذه الأزمات، وأثرها على حياتها الأسرية.

خاصة أن الزوج كان ذا علاقات نسائية خارج إطار الزواج، هل لهذا السبب لا تريد الحديث عن الجنس، وتكتفي بالحديث عن الأسرة والطموحات وترتيب الحياة.

هل انشغال المرأة في بعض الشرائح الوسطى بتكوين مؤسسة الأسرة ودعمها من أجل الاستمرار يأتي على حساب العلاقة الجنسية مع الزوج؟

(م)

تطرح علينا هذه الحالة قضية منهجية مهمة:

تتمثل في السؤال التالي: كيف نتعامل مع قصص النساء كما ترويها النساء أنفسهن؟

هـل يمـثل قولهـن وحكيهـن الواقع، أم صورة الواقع كما يتصورنها؟ هل يمكن أن نتحقق من صدق ما تقوله بعض النساء، أم لا نملك وسيلة إلى ذلك؟

إن ما تقصه علينا هذه الصديقة باعتباره وقائع حدثت لها في حياتها، وكانت مبرراً ودافعاً لما قامت به من سلوكيات مقبولة أو مرفوضة اجتماعياً، يضعنا أمام هذه المشكلة المنهجية..

ولأنـنا لا نملـك وسـيلة نـتأكد بها من صدق ما روته من أحـداث، ولأن هذا يتجاوز دور الدراسة الاجتماعية، فإننا نتعامل مـع مـا روتـه من أحداث باعتباره يمثل رؤيتها وإعادة إنتاجها لواقعها الاجتماعي ربما قد تكون مرت بكل هذه الأحداث، وربما تـبالغ فـي سـردها، حيث تصبح المبالغة في الحكي آلية دفاعية واعـية أو غـير واعـية تدفع عنها تهمة كسر الأعراف والتقاليد الاجتماعية وتحقق من خلالها بعض التعاطف الاجتماعي. وهو ما يسـاعدها على مواجهة قسوة حياتها وافتقادها للحماية الاجتماعية المفترضـة ثقافياً سواء من قبل الأسرة وخاصة الأب أو من قبل الزوج.

كما تمثل حالتنا نموذجاً لكيفية تحايل بعض الفئات الاجتماعية على القوانين الرسمية الخاصة بالزواج وذلك عندما لا تساعد هذه القوانين البشر على تجاوز إشكاليات واقعهم الاجتماعي، كما تمثل هذه الحالة أيضاً نموذجاً لعدم قدرة بعض النساء على إعادة قراءة تـاريخ حياتهن، فيتم حكيها بالتفكك، وبتداخل الأزمنة في الحكي، فهي تقص علينا حدثاً من الماضي متداخلاً مع آخر في الحاضر،

ولا نعـرف مـتى يبدأ الحدث ومتى ينتهي إليها، ومن الذي جاء، ومن الذي ذهب؟ وكان أمامنا خياران:

إمـا أن نقدم الحالة كما هي بكل تفككها ، وعدم قدرتها على السرد الزمني المتتابع. أو نحاول إعادة تكوين القصة مرة أخرى، حتى يمكننا أن نستشف دلالتها الاجتماعية.

فاخـترنا الحـل الثاني على أن نكتفي بالإشارة إلى ما تعانيه هـذه الحالة – وهي نموذج لحالات متعددة – من عدم القدرة على إعادة قراءة ما حدث لها ومعها..

قضـية بحاجـة إلـى مناقشة منهجية، حيث تمثل تحدياً أمام السرد الذاتي لقصة الحياة كآلية منهجية.

ولنبدأ قصة صديقتنا:

تمـثل صديقتنا نموذجا نمطياً لحالات التفكك الأسري، حيث انفصـل الأب عـن الأم مـبكراً، وهمـا ينتميان إلى أحد الأقاليم الريفـية، وتزوج الأب مرة ثانية، وكان الأب يعمل سباكاً واختلف مصـير الأبـناء مع اختلاف وضعية وموقف من تولى رعايتهم، فصـديقتنا كانـت من نصيب الخالة، وشقيقتها من نصيب العمة، وبيـنما نالت الشقيقة الرعاية الكاملة من العمة حتى أنهت دراستها الجامعـية، كان لصديقتنا مصير مختلف تماماً، دعونا نستمع إليها حين تقول:

"وإحنا صغيرين خالص، أبويا وأمي انفصلوا وبعدين أبويا اتجـوز تاني، واحنا كنا نقعد في كل بلد شويه، كانوا دايماً يودونا عـند خالتي، أو عند عمتي، وأنا رحت المدرسة وطلعت من سنة

أولـــى علشـــان الظروف دي. لكن أختي عمتي خدتها عندها في مصـــر، وأنا قعدت عند خالتي في شبين القناطر، وأنا سمعت إن أختي بتعمل بعثة، عمتها دخلتها الجامعة، وزي ما تقولي كده كان لهـــا حظ، وأنا قعدت شويه الأول مع مرات أبويا، وكانت بتعمل تفرقة بينا وناكل في أوضه لوحدنا، ومانطلعش للضيوف".

تقـــول صديقتنا إن الحظ هو ما جعل لشقيقتها مصيراً مختلفاً عـــنها، لكن ألا يمكن أن نقول إنها الصدفة الاجتماعية، والصدفة الاجتماعـــية التـــي تجعل مصائر بشر يخضعون لظروف تتفاوت وهـــو أمـــر ربما لا يعترف به كثيراً في التحليل السوسيولوجي، ولكـــنه دليل على العشوائية الاجتماعية التي تسم الحياة اليومية في المجتمعات المتخلفة فالتخطيط الاجتماعي لمصائر البشر ليس من العـــادات اليومـــية المترســـخة فـــي الوجـــدان وفي الممارسات الاجتماعية. فماذا كان مصير صديقتنا إذاً لدى الخالة:

تبدأ بقولها: "جوز خالتي كان بيحاول يعمل حاجة كده، خالتي مـــا كانتش في البيت وهو قال لي تعالي واتهجم عليا كان عمري ١١ ســـنة ـــ وأنـــا كنت خايفة لأن ما كانش فيه حتة نروحها، نام معايـــا بالعافية وما حاولتش أقول له لأ، يعني أنا أوقات بطلع بره ومـــا أكونش عايزاه هو ينادي عليا، وكان فاتح كافيتريا وبيسرح فـــي الموالد وماحدش كان عارف خالص إنه بينام معايا فطفشت من البيت".

تحـــت وطأة الخوف لم تخبر أحداً بما كان من زوج الخالة، واستسلمت لعدم وجود مكان آخر بديل يأويها، ولكن استسلامها له

لـــم يستمر، إذ قررت الفرار، وكان هذا أول هروب لها من منزل أقاربها.

فـــإلى أين كان الفرار ؟ كان محاولة للنزوح إلى مصر دونما هدف محدد تقول صديقتنا:

"مـــا أعـــرفش، كنـــت خارجة رايحة عند أي حد، كانت فيه واحـــدة جارتـــنا، وأخواتي شغالين عند أولادها نجارين بالصدفة لاقيتها وأنا راكبة القطر رايحة مصر هي وجوز بنتها وحكيت لها إن جـــوز خالتـــي اتهجم عليا، فقالت لي تعالي اقعدي عندنا لغاية نفسيتك ما ترتاح وأبقى أرجعك تاني".

تســـقط حالتـــنا مـــن الحكي ما حدث منها مع زوج ابنة هذه الســـيدة، ولا نعـــرف مـــاذا حدث ودفع هذه السيدة لطرد صديقتنا ســـوى مـــن الإخباري الذي كان وسيطاً بيننا وبين الصديق: تقول الصـــديقة: "راحـــت لخالتـــي وقالـــت لها تعالي خدي بنت أختك هـــتخرب على بنتي". لماذا قالت السيدة التي تعاطفت مع صديقتنا في البداية ذلك، هذا ما يفسره لنا الوسيط، ولا تخبرنا به الصديقة، يقول:

"صـــديقتنا قعدت مع الابنة وجوزها، ولما الست غضبت من جوزهـــا ومشـــيت من البيت، صديقتنا كان المفروض تمشي هي كمـــان ممشـــيتش علشان كده الزوجة شكت فيها وراحت لخالتها وقالت لها إن فلانه دي مش بنت وتعالوا خدوها".

إن الشـــك في كونها فتاة بكراً كان بداية الخيط الذي استدعى ما حدث معها سابقاً، وبداية مأساتها.

"خدتني خالتي وبعدين أنا قلت لها على جوزها، طبعاً هي ما صـــدقتش، وكشـــفت خالتـــي عليا هي ومرات أبويا علشان كانت شغالة في عيادة، خدوني وعملوا محضر لفلان (زوج السيدة اللي استضافتها) إن هو اللي عمل كده لكن أنا قلت إن جوز خالتي هو اللـــي اتهجم عليا وإن فلان نام معايا مرة، أنا لما شفته في القطر واتعرفـــنا على بعض ارتحت له وقلت له على جوز خالتي وقالي لي طب اقعدي لما نشوف حل، لكن مراته غضبت، هي حست إن فـــيه حاجـــة بينا زعلت وسابت البيت، وبعدين لما عملوا محضر اتحولنا على النيابة، ورئيس النيابة قاله تتجوزها يا فلان قال أيوه فكتبنا ورقة عرفي في النيابة".

تقص صديقتنا ببساطة وتلقائية قصتها مع الرجل الذي أصبح زوجهـــا، فقـــد تعرفت عليه بالصدفة وحكت له قصتها مع زوج الخالـــة، وأقامـــت مع زوجته في منزل واحد، وأقامت معه علاقة جنســـية وعـــندما غـــادرت الزوجة لشكها في الفتاة وفي زوجها، رفضت هي مغادرة المنزل على أمل أن يتزوجها إنها تبحث عن مـــلاذ اجتماعي افتقدته عند الأب والأم والخالة، ولم نعرف كيف تحـــول تعاطف الرجل الإنساني مع قصتها إلى علاقة جنسية مع فـــتاة قاصـــر، حيث لم تكن قد بلغت السادسة عشرة بعد، ولكنها تـــبرر هذا بقولها: "هو قال لي حاتجوزك"، تفاصيل كثيرة تسقطها الفـــتاة من ذاكرتها ولا تخبرنا بها، ويبدو الأمر كأنما هى مسوقة إلى مصيرها بفعل تنويم مغناطيسي لا تملك حياله شيئاً.

وتقول عن زواجها العرفي، ولماذا كان عرفياً:

"الله أعلم".

هـــي لا تعلم لماذا زوجها رئيس النيابة لزوجها بورقة عرفي ولكن المحامي الذي يتولاها يقول:

"علشـــان لـــو فـــي أي علاقة زوجية هي مجبرة عليها تبقى اغتصـــاب حـــتى لـــو هي موافقة، علشان يحموه هو" أي يتحول الزواج إلى عرفي من أجل حماية الرجل ، وبمباركة ممثل السلطة التنفيذية ومن ثم تفقد كل حقوقها وهذا ما حدث.

وما حدث لها في قسم الشرطة كما ترويه قصة أخرى فتقول "علشـــان أعترف مين اللي عمل فيه كده ، ضربوني ولطشوني ، جـــامد في القسم، كمان لما قلت جوز خالتي، خالتي قالت لا مش جـــوزي وأبويـــا كان عايز يضربني علشان أقول على فلان ده" تعرضـــت كما تروي لبطش ممثلي السلطة التنفيذية ولبطش الأب والخالـــة حيث لم يعبأ الأب بمصيرها وغادر قسم الشرطة وكان الحـــل للجمـــيع هو زواجها العرفي من هذا الرجل المتزوج حتى تخرج من القسم بعد ليلة قضتها هناك تقول فيها " الضابط قال لي نامي في أوضه تحت السلم علشان العساكر مايضايقوكيش، دخلت أنام الصول جاء وحاول يخلع البنطلون بتاعي، أصلي كنت لابسه بنطلون وتي شيرت، ومقدرش علشان أنا منعته".

هـــل أصـــبح جســـدها مباحاً للجميع، حتى لمن يفترض فيهم حمايتها لمجرد دخولها قسم الشرطة مجنياً عليها في قضية اعتداء جنسي ؟

وهـو مـا يطرح علينا مناقشة قضية استباحة المرأة؛ بمجرد تجاوزهـا الحدود الاجتماعية التي تقسم النساء إلى شريفات وغير شريفات، فدخولها قسم الشرطة وهي مجني عليها يضعها في خانة النسـاء غير الشريفات المستباحات حيث تصبح المرأة ، الضحية مسـئولة عما يحدث لها من استباحة اجتماعية. ويوضح المحامي هذا الموقف بقوله:

هم مش حيقولوا اعتدى عليها ، بيقولوا إنها موافقة، تبقى كده مـباحة، دايمـاً يقولوا البنت هي اللي غلطت رغم إن الراجل هو اللي غلطان".

ويتكرر الموقف ذاته مع شقيق الزوج:

فيقول المحامي عنها:

"أخـو جوزها عاوز يعاشرها، خبط على الباب قلت له أمك مش هنا، وهو متعود كل شهر، كل فترة يعطيها ٥ جنيه أو عشرة علشـان تشـتري أكـل ، لما خبط على الباب قلت له أمك مش موجـودة راح داخـل وقافل الباب وحاول يعاشرها وهي رفضت وحاولت بكل الطرق الممكنة وقالت له أنا ها صوت واتهجم عليها كتـير وهي ترفض، كل اللي عملته إنها مسكت البنطلون والسبب إنـه عـارف إن جوز خالتها اعتدى عليها، وإن أخوه بيعاشرها وجـاب مـنها ولـد وهو مش متجوزها وكل ده علشان يصرف عليها، حتى جوزها ده قبل يجوزها عرفي في القسم علشان يهرب من القضية وتسقط من عليه التهمة".

الاحتياج المادي، والحاجة إلى مكان إقامة، والرغبة في الحماية كانت هي دوافع خضوعها لزوج الخالة في البداية، ثم في إقامة علاقة جنسية مع رجل متزوج فيما بعد، ولكنها لا تتاجر بجسدها، إذ لم تستجب للصول في قسم الشرطة، كما لم تستسلم لشقيق الزوج.

هي حالة تضعنا في منطقة رمادية فليست الأمور بالبساطة الأخلاقية التي تصنف النساء بها طبقاً لموقفهن من جسدهن ما بين نساء يتاجرن بالجسد، ونساء يحافظن على أجسادهن ولا يتاجرن بها، فهي لم ترغب في استباحة جسدها، ولكنها خضعت في لحظات لاستباحته ورفضت في لحظات أخرى.

إننا بحاجة لإعادة تعريف مفاهيم الشرف كما هي محددة اجتماعياً وكما هي ممارسة بالفعل في الحياة اليومية؛ إن التصنيف الاجتماعي للشرف، والذي يضع خطوطاً فاصلة إما بيضاء أو سوداء بين المرأة الشريفة والمرأة غير الشريفة يدفع بعض الفتيات والنساء إلى دوائر مرفوضة اجتماعياً وأخلاقياً دونما رغبة أو إرادة منهن بحكم أن المجتمع أصبح ينظر إليهن على أنهن غير شريفات.

إن صديقتنا لم تخضع لشقيق الزوج على الرغم من قدرته على الإنفاق عليها إذا استجابت له، وتنتظر الزوج المقبوض عليه، حيث تأمل أن يتحول الزواج العرفي إلى زواج رسمي، وتأمل أن يسجل المولود باسمه.

وتأمل أن تستمر مع هذا الرجل لأسبابها التي توضحها بقولها " هــو كويس معايا يعني لما بيضربني بيصالحني بعدها ، وحاول مرة يسقطني بس ربنا ما أرادش.

وهــو بيضــربني لما الناس بيتكلموا عليا وأنا بحبه بس لكن مش بحبه ينام معايا كل يوم ، ما بحبش الحكاية دي خالص ، لكن هــو بيضــربني وبــيقول لــي اشمعنى جوز خالتك أنا عايزاه، واستحمل علشان خاطر ابني ، بس هو غلبان وكويس وطيب".

إنها تريد الزواج لأنه يوفر لها المأوى والطعام والطفل ، ولا تــريد العلاقــة الجنســية التي تمقتها ، والتي تخضع لها دائماً ، ويمكنــنا أن نستشــف أسباب مقتها لها ، حيث كانت دائماً مهددة ودائمــاً مقهورة في تلك العلاقة ، أو في حالة اغتصاب مستمرة ، فحــتى الزوج لا ينسى أن زوج الخالة اغتصبها ، ويرى أنه كان برغبتها ، وحينما ترفض المعاشرة الزوجية اليومية لا يرى سوى أنها ترفضه الآن ، ولم ترفض زوج الخالة في البداية.

وزوج الخالة أمكنه الإفلات من القضية بجريمته ، فقد وقفت الخالــة بجانــبه ، وأنكــرت ، ورفــض هو المثول أمام النيابة ، وضُــغط على الفتاة من قبل الأب والخالة حتى تتهم الرجل الذي زوجوه لها عرفياً بأنه المغتصب وليس زوج الخالة.

إنه التواطؤ الاجتماعي ، حيث يتواطأ جهاز تنفيذي كالشرطة مــع الأهل من أجل الخروج مما يعتبرونه مأزقاً ، الشرطة تريد اســتكمال تحقيقاتها ، ووجود متهم ماثل وله تهم سابقة ، والأسرة تريد إخفاء الحقيقة والتستر عليها خوفاً من القيل والقال ، والرجل

يقبل الزواج العرفي تحت ضغط الشرطة ، ولكنه لا يتعامل معها كزوجة ، بل كبغي.

ورغم رضوخها لاعتداءاته المتكررة عليها ، ولاغتصابه لها في أوقات لا تريدها ، فهو لا يعترف بأن لها حقوقاً عليه ، مثل حقها في عدم إقامته علاقات جنسية متعددة خارج علاقته بها ، فماذا يفعل الزوج ، وما هو رد فعل الزوجة التي اعتادت الاستكانة".

تقول صديقتنا:

"أهلي ما حدش بيميل لي ، وأبويا سابني في القسم ومشي ، ها أعمل إيه".

ولأنها لا تجد سبيلاً آخر ، فهي تستمر على أمل أن يترسخ هذا الزواج ، وتقيم مع أم الزوج في حجرة ضيقة ولا يتورع الزوج في إقامة علاقات جنسية مع أخريات في وجودها ، ولا تجد ما تفعله سوى تقطيع ملابسها ، يقول المحامي عنها:

"جوزها بيجيب لها ستات ويعاشرهم أمامها بياخد فلوس ، في يوم جاب لها واحدة من الأقزام وقال لها دي مرات واحد صاحبي معلهش أنا هاأنام معاها النهاردة علشان آخد منها فلوس ، والشقة بتاعتهم عبارة عن حجرة من غير باب ، قفل الستارة وهي قاعدة بره مع حماتها وهو كمل معها وخرج وخد الفلوس من القزمة ، صوتت وزعلت ضربها علشان يسقطها وبعدين صالحها ، وفي يوم تاني أخدها عند واحد صاحبه قال لها اخرجي اتمشي بره

شـــويه قالـــت لا رجلـــي على رجلك ــ قال لها لا وبعدين أخدها وروح وسابها في البيت ورجع ، رجعت وراه في نفس الشقة لقته معاها ، قالت له هصوت وألم الناس مقدرتش تعمل حاجه علشان هـــي معهـــاش حاجـــه تثبـــت إنه متجوزها ، وهي اتعودت على الاستسلام".

ربما استطاعت الشرطة أن تجبر الرجل على الزواج العرفي بهـــا ، ولكـــنها لا تملك حتى تلك الورقة العرفية ، ولا تملك حق الاعـــتراض علـــى أن يحولهـــا الزواج إلى قوادة لأفعاله ، وليس زوجة له.

ربمـــا نتخـــيل استكمالاً لهذه المأساة أن الطريق أصبح ممهداً أمـــام هـــذه الصـــديقة لتتحول إلى بغي رسمي ، فكل خبراتها في الحياة ، منذ الطفولة وحتى الشباب تؤهلها لهذا الدور، وتدفعها إليه ظروف اجتماعية قاهرة ولكنها تبحث عن شيء آخر.

تقول صديقتنا :

"أنا عايشه مع حماتي في أوضه ، وفي واحدة بتدينا عشرين جنيه أول الشهر ، وبنقضيها ، ونفسي أشتغل ، مش لاقيه شغل ، ما حدش راضي يشغلني علشان معايا الولد وحماتي الناس بيحنوا عليها ، وحماتي ست كبيرة متقدرش تاخد بالها من ابني".

إنها تعيش على الإحسان ، ولا تجد عملاً يتناسب مع ظروفها وتلهث وراء إمكان نجاح المحامي في تحويل العرفي إلى رسمي، وفي انتظار خروج الزوج من السجن في قضية سرقة بالإكراه ..

فإلى متى تنتظر ، لا نعرف ... ولا نعرف إلى متى يمكن لقنوات التكافل الاجتماعي أن تقوم بأداء الدور المنوط بالدولة ، وتصبح ملاذاً لحماية الكثير من النساء في مجتمعنا.

ويسعى المحامي إلى التحايل على القانون من أجل أن يحقق لها قدراً من الاستقرار في حياتها ، فحين يصبح القانون غير قادر على تحقيق مصالح الناس ، يلجأ المتضررون منه إلى التحايل والالتفاف حوله.. يقول المحامي :

"جابوا ماذون يكتب لها في القسم ، قال لهم ماينفعش علشان السن ، فكتبوا ورقة عرفي ، وأنا ما قدرتش أجيب الورقة دي من النيابة علشان ماليش صفة ، وهي ما تقدرش تعمل لي توكيل لأنها قاصر ، وجوزها في السجن علشان قضية قديمة ، واحنا عاوزين نعمل أي ورقة جواز دلوقت ونوثقها علشان نطلع شهادة ميلاد الولد.

وهي مجني عليها في قضية ماشيه ، وعلشان لو فيه قضية نقول له احنا هنحميك منها واتجوزها رسمي ، واحنا عايشين على أمل إنه يخرج من السجن ويقول آه ونعمل تصادق يعني العرفي نحوله رسمي ، وأنا قلت له أنا أحميك من القضية يعني تعمل عقد عرفي بتاريخ قديم قبل الاعتداء بأثر رجعي وأي قضية بعد الاعتداء يبقى خلاص كده هو متجوزها والورقة دي تلغي ورقة المباحث لأنها قبلها".

يسعى المحامي إلى تخليص الزوج العرفي من قضية الاعتداء على قاصر بكتابة عقد عرفي سابق للعقد المكتوب في

الشـــرطة ، على أن يحول الزوج هذا الزواج العرفي فيما بعد إلى زواج رســـمي ، فهي صفقة بين الطرفين من أجل أن يبقى معاها قسيمة رسمية تثبت حقها وعلشان تسجيل الولد".

وتســـتمر صـــديقتنا التـــي لم تكمل عامها السادس عشر في رحلـــتها مع الزوج المسجون من أجل الحصول على قسيمة زواج رسمية ، ومن أجل تسجيل الطفل بصورة رسمية.

المأذون

ربمـــا قـــد يكـــون آن الأوان لنسمع قصص النساء من أفواه الـــرجال ، وبتحليلاتهم وتفسيراتهم ، لقصص نسائية خارجة عن العـــرف الاجتماعي السائد ، وهؤلاء الرجال ليسوا هم أبطال هذه القصص ، ولكنهم ممثلون لجهات رسمية .

لديـــنا صـــديق مـــأذون شرعي، سيقص علينا قصص بعض النســـاء الخارجـــات عن العرف الاجتماعي كما يراها هو ، حيث يحدثنا في البداية عن امرأة جمعت بين زوجين:

"فـــيه محامـــي في أسيوط عقد لزوجة رغم علمه بأنها على عصـــمة زوج ، جوّزهـــا عرفي ، والزوج الأول من نفس البلد ، بـــس مقـــيم فـــي مصر ، وكانت عايشه معاه في مصر، ولما ما عجبـــتهاش حياته مشيت ، وهو متجوزها مافكرش إن هي راحت بلده ، دوّر في كل حته ولو كانت راحت بلده كان أهله اتصلوا به وهي لما جت تنزل بلده ، نزلت في بيت واحد تاني ، يعني واحد من اللي كانوا بيترددوا على الراجل ده من بلدياته ، هي لجأت له،

وقعـدت عـنده يوميـن تلاته الأول في القاهرة ، وكان الحل إنه يوديها البلد ، وفي البلد يحلوا المشكلة ، وهما مسافرين اتفقوا على إنهـا تعيش معاه ، ترددت وخافت ترجع لجوزها لأنها غابت كام يـوم فقـال لهـا أنا ممكن أتجوزك وافقت وراحوا داخلين على المحامـي وعملـوا العقـد العرفي وراحوا داخلين البلد على إنهم أزواج ، أقارب الأول شافوها بس داخلة زوجة معلنة ، فما حدش فكـر إنهـا لسه على عصمة زوجها واتجوزت ، واحدة صعيدية ومـن العامة مش مثقفة مش ممكن تعرف تجمع بين زوجين في مخيلتهم كده – تصوروا إنها مطلقة واتجوزت".

نقـرأ في هذه الفقرة الموجزة كثيراً من التحولات التي طالت حياتـنا الاجتماعية وتضرب بعمق كل تصوراتنا النمطية ، وعلى الرغم من أنها لا تمثل ظاهرة عامة ، إلا أنها مؤشراً على بعض الـتحولات ، ترفض الزوجة حياة الزوج ، فلا تطلب الانفصال ، ولكـنها تهـرب ، وتذهـب لأحد معارف الزوج فلا يتدخل لحل المشكلة بين الزوجين ، بل يطرح عليها فكرة الهروب من القاهرة إلـى أسيوط ويتزوجان ، ويساعدهما أحد المحامين في هذا رغم علمـه بـزواجها الحالـي – ولا نعلم هل كان خوف المرأة من الـرجوع إلـى الـزوج الأول بعد غياب استمر لعدة أيام حيث لا تسـمح التقاليد بهذا الغياب غير المبرر هو الدافع وراء تجاوزها للقـانون بالجمع بين زوجين في نفس الوقت ؟ أي أن الخوف من تجاوز التقاليد والخوف من العقاب المترتب على تجاوز التقاليد هو الدافع وراء تجاوز القانون ؟

ولقد لعب الطرفان – الرجل والمرأة – على كسر التوقع من أجـل تمريـر زواجهما ، وهي آلية اجتماعية تساعد البعض على الإفـلات بسلوكيات وممارسات غير مبررة اجتماعياً .. فقد عاشا في بلد الزوج الأول ويستكمل صديقنا الحكاية فيقول:

" هو الزوج الأول ما اتصلش بأهله وبلغهم ففضل الموضوع نـايم ، أغلب الصعايده البسطاء مش بيروحوا كل شهر ،بيروحوا بلادهـم فـي المواسم ، في رمضان ، في العيد ، لو فيه مولد في بلدهـم ، فالـزوج كان رايح البلد ، وقابل ناس بلدياته في القطار وسألوه إيه اللي خلاك طلقت البنت اللي كانت معاك ، قال لهم دي طفشـانه ، قـالوا له دي موجـودة في البلد ، وولدت من جوزها الجديـد ، راح علـى الـبلد وما دخلش من الشارع اللي فيه الولد وراح علـى أهله راح جايبهم وعملوا كردون على الولد وأخدوه هـو والبنـت ، وطبعاً مسألة إن الناس تنتقم في الصعيد مش زي الأول ، يعنـي لمـا الـنهارده واحـدة تقول لي أنا أهلي صعايده وهيموتوني مش بتهزنى الكلمة دي زي الأول ، كنت الأول أخاف إن ممكن واحد يطلع سلاح ويضربني أنا كمان لكن النهارده لا ، الـزوج جابهم وراح نازل بهم على مصر وجاب ورق المحامي والمولـود علشـان يصفي حسابه ؛ لأن أهل مراته كانوا واخدين علـيه شـيك علـى بياض عند الزواج وقائمة بـ ٦٠٠ جنيه ، فالزوج كان مش عايز يعاقب مراته ولا يعمل فضيحة إلا لما ياخد الأوراق دي ، فجـاب أمها وأخوها عندي ، والغريب إن أمها ما كانـتش تعـرف إنهـا هربت ، وهم ما دوروش عليها بسبب إن

الـــزحام النهارده كتير مين حيدور وفين الامكانات اللي حيدوروا بيها".

ربمـــا هي كما قلنا سابقاً حالة لا تتكرر كثيراً ، ولكنها تؤشر علـــى مزيد من التحولات : هروب زوجات لا يبحث الأهل عنهن بســـبب ضـــعف الإمكانـــيات ، وبسبب الزحام . إن التقاليد لا يتم المحافظـــة علـــيها بنفس القدر وبنفس الحدة مع تفاوت الأوضاع الاجتماعـــية والطبقـــية ، فالفتاة من أسرة فقيرة لا تملك إمكانيات البحـــث عـــنها ، والزوج لم يتأثر بغيابها ، فلم يبلغ أهله أو أهلها واكتفـــي بمحضر إداري يحفظ له حقوقه عند غيابها حتى لا يتهم فـــيها إن حدث لها مكروه .. والمأذون يرى أن الصعيد قد تغير ، فلم يعد يأبه بهروب زوجة من زوجها ، ففي حالتنا تلك ، لم يكن رد فعل الزوج التلقائي العفوي هو الانتقام لشرفه المهدر أمام البلد ، ولكـــن كان همه الأكبر التخلص من القيود المادية التي فرضت عليه عند الزواج (القائمة والشيك).

وكمـــا رأى المـــأذون ويقول "كان الزوج الأول عايز يستغل الموقـــف لاستفزاز أخوها، وأخوها كان قاعد الدنيا بتلف به وزي اللـــي هـــيغمى علـــيه وحسبت إنه هو المجني عليه هو وأمه لكن البنـــت تســـتحق الإعـــدام ، هـــي بتقول إنها تعبت ، وأنها كانت تزوجت الولد ده مرة واطلقت وبعد كده رجعت له ، وبتقول إنه ما كانش بيأكلها الأكل المناسب ، يعني البيت عندهم فقير ، بالإضافة إلـــى أنهـــم بيكنزوا الفلوس هو وأهله ، وأخواته متدخلين جامد ، ومسيطرين عليه ، وما فيش حاجه اسمها ماله المستق هو وأخواته

بـيجمعوا مـالهم علشان يشتروا بيت وأراضي والمعيشة ضعيفة لأبعـد الحـدود ، فالبنـت بتشوف الجيران اللي بيلبسوا والبنات زميلاتها اللي كانت بتمشي معاهم كل واحدة بتجيب حلق أو خاتم أو غويشـــه ، فالبنـت الحـاجـات دي بتثيـرها ، لعابها بيجري على الحاجات اللي بتشوفها بعينها ، وفي نفس الوقت يوم ما بتتكلم أخت جوزها بتتدخل وجوزها بيضربها ، فهي قاعدة في بيـت العيلة طيب إيه اللي حيخليها تستحمل ما دام قدامها الفرار ، الباب مفتوح ، وهي عارفة إن ما فيش حد حيدور".

الفـتاة تسـتحق الإعـدام ، الفتاة معذورة لما تراه وتعيشه ، تـتأرجح رؤيـة المأذون بين هاتين النظرتين ، فإشفاقه على الأخ الذي يستفزه الزوج جعله يحمل الفتاة مسئولية ما حدث لأخيها من إحسـاس بالخزي والعار ، ولكن حينما يحلل أسباب هروبها يضع يـده وبعمق على العوامل الاجتماعية المسئولة عن هروب الفتاة ، الزواج داخل عائلة ممتدة ، والحياة داخل منزل واحد ، يتسلط فيه الأخـوة على الزوجة، رغبة أهل الزوج في الصعود الاجتماعي والـذي يتمـثل فـي امتلاك الأراضي على حساب الإنفاق على الأشـياء التـي تـرى المرأة ضرورتها مثل الإنفاق على الطعام والملـبس... فالفتاة تريد محاكاة من هم في بيئتها الاجتماعية من النسـاء الأخـريات اللاتي ينفقن الكثير في الاستهلاك ، ولا تهتم بمعايـير القوة المحلية والمتمثلة في الثروة بكل أشكالها ، والزوج لا يحقق لها شيئاً من طموحاتها ، فتهرب... وتجد الطريق مفتوحاً للهـروب ، فالـزوج غـير المستقر مادياً عن أسرته ، والمعني

بامـــتلاك الـــثروة على حساب الإنفاق على الاستهلاك ، وتعرض الـــزوجة للاعتداء البدني عليها من قبل الزوج حينما ترفض مثل هذه الحياة ــ كانت دوافعها للهروب من هذا الزوج.

عـــدم إنفـــاق الـــزوج ، وتسلط الأخوة على الزوجة والإيذاء البدنـــي الـــذي تتعرض له ، كلها أسباب لا تبرر رفض الزوجة لحـــياتها مـــع الزوج من وجهة نظر المأذون ، ولكن الطلاق من الأمـــور المســـتحيلة أمامهـــا كما يقول هو نفسه : "الصعوبة في الطلاق إذا كانت رخيصة ، هيطلقها ليه ما هي مش مكلفاه حاجة، يعنـــي مـــا غـــرمش فلوس ولا حاجة وبتخدمه ، وعفوا للفظ في الأوساط دي بيلطش فيها ، يعني شغاله ببلاش".

رغـــم كل ما يقوله فهو يطمس كل هذه الأسباب الاجتماعية ويخفـــيها تحت فكرة طمع الزوجة حيث يقول : "نوعيات هروب الـــزوجات بـــتكون ســـببها ناحـــية اقتصادية لو بدأت مشكلة بين الزوجين النهارده ما بقتش صعبة إن الست تجري بقت سهلة جداً، اللي سهل الموضوع إن الطمع في الست غريب ، والست اللي من النوعـــية دي بتفكر إنه مجرد إنها خرجت انفتح لها باب الوصول للعربية واللبس اللي هي عايزاه والمستوى المادي اللي بترسمه في دماغهـــا ، واللـــي بتشـــوفه فـــي التلفزيون واللي شافت فيه بنت الجـــيران ، الحاجـــات دي بـــتأثر في تفكيرها ، وبعد ما بتخرج وبتهرب بتلاقي نفسها اتورطت كده في هروب ، حترجع لجوزها، تقـــول له طلقنـــي ، مش حيطلق ، وحيعذبها ، والهروب نتج من

معاملـــة سيئة فهي ما قدرتش تهاجم ولا تصد فهربت ، لما هربت الأبواب اتفتحت لها كتير ، هي بتفكر إزاي تستريح دلوقت".

مـــرة أخـــرى يتأرجح المأذون بين ثقافته الذكورية التي تدين المـــرأة علـــى هروبها وبين الأسباب التي تتبين له من حديثه مع النســـاء ، وأنها وراء هروبهن ، إن هروب النساء هنا ليس مرده قوتهن في مواجهة التقاليد التي تحتم البقاء في زواج تعس ، ولكن مرده عدم قدرتهن على المواجهة ، فلا يجدن سوى الهروب كحل سحري أمامهن يدفعن ثمنه فيما بعد.

ثـــم يعـــود ليسرد علينا كيفية حل المأزق : زوجة تجمع بين زوجين ، وأنجبت من الزوج الثاني.

يقول المأذون :

"المشكلة دي علشان تتحل لازم بوليس ، والبوليس هاياخدهم ويرمـــيهم ولازم يتعرضوا على النيابه وقضية الجمع بين زوجين بتاخد سنين تضارب ، ما بين أن الزوج يتهمها بجريمة الزنا وما بيـــن الجمـــع بين زوجين في التحقيق مش اقل من ستة أو سبعة أشـــهر مع النيابه وتجيب شهود على إن الولد ده مش ابن الزوج الرســـمي، لأن الزوج الرسمي هيرفض تبنيه والنيابه مش هتثبته وفـــي نفـــس الوقت مين يثبت الولد ده لأبوه الثاني ، اللي هو أبوه الفعلـــي اللي متجوز عرفي محدش يقدر يثبته لأنه ابن زنا ، كان يهمني إن الست دي تطلق بسرعة من الزوج الرسمي ، وهم فعلاً اطلقـــوا ، هم كانوا جايين هيطلقوا وعايزين الولد التاني من البيت

علشـــان يجوزوه علشان يثبتوا الطفل ، وهنا نلاقي خمس أو ست مشـــكلات دخلوا في بعض في وقت واحد ، ولو كانوا اتعملوا عن ســـذاجة أو جهل كانت بقت مصيبة ، كلفته قانونية وممكن وكيل النـــيابه يقعـــد شهرين يدي استمرار حبس لحد ما يقدر يستوعب الموضـــوع يعني واحدة متجوزة والمفروض هتطلق وبعدين نقول لمـــاذون تانـــي ان هـــي بنت ، وأنا بقول للولد يا ابني هتتجوزها إزاي أنـــا بأطلقها دلوقت هجوزها لك إزاي ، قال لي لا هتأخدها لمـــأذون تاني ونقول عن ده جوزها اللي متجوزها عرفي وكانت بنـــت ساعة ماتجوزت وآدي المولود ونعمل العقد القديم اللي هو التصادق ، لكن التصادق ده في حالة إنها ماتكونش مقترنة بزوج خلال المدة دي ، وإذا كانت مقترنة بزوج قبل كده خلال المدة دي ، وطلقت منه فتجيب لنا وثيقة الطلاق ونحسب العده ونشوف هي اتجوزت خلال مدة العدة وإلا لأ، وإلا تكون زانية وعلشان كده ما ينفعش تتجوز الرجل التاني رسمي إلا لما تنتهي مدة العدة.

يـــتحايل الـــناس علـــى بند في القانون خاص بالتصادق وهو تحويـــل الزواج العرفي إلى رسمي ويحاولون الاعتداد به للمداراة علـــى مشاكل اجتماعية أخرى مثل الجمع بين زوجـــين ، وفي نفـــس الوقت فهم لا يعرفون الحلول القانونية الصحيحة لمشكلاتهم ولا يفضـــلون اللجـــوء إلى الشرطة حسبما يرى المأذون فيقول : "مـــثلاً مشـــاكل كتيرة ، زي واحدة متجوزه وينتج منها حمل من واحـــد تانـــي خارج الزواج ، دي مشكلة معقدة ، وأنا ما أعرفش حلها القانوني إيه ولكن في منطقة شعبية أو ريفية زي منطقتنا ــ

بـــيكون حلهـــا ان إحنا نحلها بطريقة ودي لأنه مش هينفع ندخل المســـألة فـــي طـــريق القانون والشرطة وضباط الشرطة بينزلوا ياخدوا أي حد من الشارع يعني ممكن آخد الناس اللي في المشكلة إلـــى القســـم والضابط يركنهم يومين ثلاثة علشان يسمعهم ، وإذا كان فيه ذنب مين يشيله ، اشيله أنا".

"أنا رحت المركز لقيت واحد صايغ بيقفل محله ، قالوا له إيه اللـــي مقعدك لدلوقت الساعة واحدة ، قال لهم أنا ميعادي من ١٢ إلى واحدة ونصف بعمل جرد للخزنة قالوا له لأ شطب فلما شطب قـــالوا له اركـــب وأخدوه، فأنا نزلت للضابط وقلت له ده إنسان محترم ، قال خليها لبكره".

إن المـــأذون لا يأمـــن علـــى مـــن يأتون إليه طلباً للمساعدة القانونـــية فـــي مشـــاكل لا يعـــرف هو حلولها ، من اللجوء إلى الشرطة، فالشرطة تتعسف مع الأبرياء فما بالنا بالمخالفين ، وهذا عامل من عوامل لجوء الناس إلى أشكال من التحايل على القانون خوفاً من الاحتكاك بسلطاته التنفيذية ؛ ومن ثم يفضلون البحث عن حلـــول ، قـــد توقعهـــم في المزيد من المشاكل القانونية ، حتى لا يلجأوا إلى السلطات التنفيذية والقانونية.

(ج) :

عاشت صديقتنا "ج" بين شقي رحى ، أم قاسية وبين زيجتين فاشلتين: تهرب من الأم إلى الزوج ثم تعود مطلقة إلى الأم في كل مرة.

هربت من امتهان الأم لها ، إلى التعذيب البدني الذي مارسه الزوج الأول عليها ثم إلى الامتهان البدني والنفسي الذي لاقته مع الزوج الثاني ، وتحسب أيام سعادتها التي عاشتها في عمرها الذي تجاوز الخامسة والعشرين ، فلا تجد سوى أربعة أشهر ، وخمسة عشر يوماً ، لم تكن خاضعة للظروف بل حاولت تعديل شروط حياتها ، ولكن الأمر تجاوز إرادتها وإمكاناتها التي تقاوم بها أضعف من أن تقف فى وجه ظروف موضوعية قاهرة مارست حقها في اختيار زوجها الثاني ثم في طلب الطلاق منه ، وفي النهاية احتضنت طفلتها ومصدر رزقها وقالت الحمد لله كده رضا.

تقول صديقتنا :

"كان عندي خمس سنين ، وكانت أي حاجة تضيع من البيت أمي تقول إني اللي ضيعتها ، وكانت تمسكني تضربني بسبب وبدون سبب ، ومرة كتفتني وضربتني بسلك الكازلين ، وقبل كده حدفتني بالكباية فتحت دماغي بها ، وكان ضربها أصلاً وحش ، هي كانت بتبيع خضار في الشارع ، وإخواتي مش متعلمين زيي وأختي كانت بتبيع شوية خضار وربنا فرجها واتجوزت".

لا تعرف أهي قسوة الحياة على أم تعول بمفردها خمسة أبناء وبنات هم صديقتنا وأشقاؤها من عملها البسيط ، حيث تعمل بائعة خضار ، أم خضوع صديقتنا لها – كما تفسر هي – هو سبب قسوة تلك الأم عليها .

فتقول :

"أنـــا بـــس اللي كانت بتعاملني كده على طول ، عشان كنت بخـــاف ، كنت باسمع كلامها ، تقولي حاجة أقولها حاضر وكنت بعمـــل كـــل حاجة في البيت أغسل وأطبخ وأملا ميه" في بعض الأحيان تصادفنا في عملنا الميداني أمهات وآباء عاشوا قهر الحياة فأوسعوا أبناءهم قهراً...

عاشـــت صـــديقتنا طفولـــتها مع تلك الأم التي قطعت حتى صـــلاتها بأخواتهـــا ، وتحمل أبناؤها وزر سوء علاقاتها بأهلها ، ففقدوا دعم العائلة الأكبر. تقول صديقتنا :

"أصـــل خالي لا بيحبني ولا بأحبه ، كده حاسه إنه بيكرهني مســـكني ضـــربني فـــي الشارع وبهدلني بسبب أمي ، هو وأمي متخانقين وما بيحبوش بعض"

عرفـــت صديقتنا طريقها للعمل مبكراً واستولت الأم على كل ما تحصل عليه.

"أنـــا اشـــتغلت في محل ملابس أبيع ،وبعدين في مصنع أقعد علـــى مكنة أخيط ، وكنت بقبض من المصنع كل أسبوع عشرين جنـــيه ، وأمـــي كـــل ما كنت بقبض حاجه ، كانت بتاخدها مني وكانـــت بتيجي لو اتأخرت شوية ، تشتمني وتزعق هناك وتقولي مـــا تروحيش الشغل ده تاني ، وتقعدني من الشغل وبعد كده بيجي الأســـطى يقـــول لها تخليني أرجع الشغل ويزودها ، هي المشكلة عندها الفلوس".

لم تكتف الأم بما كانت تحصل عليه من ابنتها من العمل ، بل كانت تسعى إلى زيادة مرتبها بالتهديد بتركها للعمل ، وكان صاحب العمل يرضخ لها في كل مرة ، حتى ملت صديقتنا هذه اللعبة ، ولم تجد أمامها سوى زواج فرض عليها ، فاختارت – مكرهة – وعلى أمل أن تنجو بهذا الزواج من قسوة الأم وتسلطها.

فكيف حدث زواجها الأول ؟ وكيف تزوجت هذا الرجل؟ تقول صديقتنا:

"جالي واحد ابن حلال ، وبعدين أمي رفضته ، وفي مرة رحت العتبة أجيب بضاعة مع الأسطى ، ولما رجعت بالعربية لقيت أخوات العريس مستنيني ، وسألني أخوه، أمك متهمة أخويا إنه هو خطفك ، أنتي كنت فين قلت لهم أنا كنت في العتبة ، قال لي تعالي معانا النقطة رحت معاهم بعد ما ودينا الحاجة المصنع وقلت للضابط ده ماخطفنيش ، فقعدت أمي تزعق لي وسبتني وقالت ده ضحك عليكي – وقالت لهم يكشفوا عليا، رحت أنا بقى شتماها – هيه تقول حاجة زي كده وهي عارفة إني عمري ما أعمل حاجة زي كده ، راح ضابط قال لي تتجوزيه ؟ طبعاً أنا ما أعرفش فكرت شويه ، قلت أتجوز أرحم من ذلها فيه، تشتمني وتبهدلني وتجيلي المصنع وتبهدليني وكفاية هي اتهمتني في شرفي، دي ما بقاتش أمي" .

وافقـت صديقتنا على الزواج هرباً من ذل الأم ، ورداً على اتهامها لها في شرفها ، حيث لا يمكنها الصمود أمام أهل المنطقة بعد اتهام أمها لها بهذه التهمة ؟

"سـبتني في شرفي إنه هو ضحك عليّه، وعرفت الناس كلها فـي بـولاق في حتتنا هناك إن هيه ما كانتش اتجوزت الرجل ده اللي ضحك عليها، هي اللي اضطرتني إني أتجوزه كده".

كيف تمت مراسم هذا الزواج ، الذي تم درءاً لفضيحة سببتها الأم ؟

تقول صديقتنا :

"راح الضابط بعت معانا واحد عند المأذون ، وكتب كتابنا ، وقـبل مـا نطلع ، الضابط كتب قايمه بـ ١١ ألف جنيه ، إن هو يضمن حقي ، واتجوزنا ما جابش أي حاجة كنا ممكن نقول هات لـنا مهـر وشقة وعفش والحاجات دي ، بس هي اتهمتني وكده، وقالـت لـي يا تتجوزيه يا ممتجوزيهوش أنا كان عندي الجواز أحسن من البهدلة اللي هي بتبهدلها لي".

تنازلـت عن كل أحلامها في الشقة والأثاث والمهر، من أجل الـتخلص مـن قسوة وامتهان الأم ، ولم تجد من أسرتها من يقف معهـا ويضـمن حقوقها المادية ويبدو أن الضابط استشعر هذا ، وتدخل كطرف يفرض على الزواج حقوقاً مادية لها.

هل حقق لها الزواج أهدافها ، أو هدفها البسيط والوحيد وهو التخلص من القسوة والضرب والامتهان ؟

تقول:

"أنا كنت قاعدة في شقة مع أهله ، والشقة كانت كبيرة وكانت سيعانا كلنا وكنا بنقعد ونسهر واللي عايز ينام يخش ينام ، وأنا واخدة أوضة معاهم ، قاعدة فيها بناكل وبنشرب مع بعض ، وكان اللي بيشتغل بيه بيديه لأمه هي اللي بتصرف على البيت".

عاشت صديقتنا في بيت عائلة الزوج ، أشقاؤه وزوجاتهم والأم ، ورغم حسن معاملة الجميع لها ، فقد طالبته بالانفصال في السكن ، لماذا ؟ تقول:

"أما كان يتخانق مع أمه يقول لي يللا ، نقعد نلف في الشوارع وبعدين نرجع ، وبعدين ييجي يضربني ويشتمني ، وبعدين أنا قلت له ما ينفعش كده أنا عايزة أوضه ، مكان أقعد فيع لوحدي وفعلاً شاف لنا أوضه كبيرة وقعدنا فيها ، وكان بيديني مصروفي ، واللي يفيض كنت باحوشه وأما يكون هو معاه فلوس أخده وننزل السوق نجيب حاجات سمنة ، وزيت ونملا الأوضة بدل ما يضيع الفلوس علشان لو قعد من الشغل يكون عندي الحاجة".

رغم استقلالها بحجرة ، وتدبيرها لشئون حياتها فيها ، وتوفير احتياجاتها ، إلا أنها عادت مرة أخرى لمنزل الأم لسبب تراه وجيهاً وقوياً.

حيث تقول:

"كنا قاعدين في بيت ، البيت ده فيه أوضتين، أوضة إحنا فيها، والتانية مقفولة ماحدش ساكن فيها ، والأوضة اللي أنا

واخداهـــا ديـــة كانت واحدة مقتولة فيها واحنا ما كناش نعرف ، كانـــت الحاجة بتختفي من البيت ــ وأجي مالاقيش حاجة ، وكنت أشـــوف قطـــة قصـــادي مش عارفة مالها تلاقيها قاعدة تبص لي وتبرق لي كده الصراحة بقيت أخاف، أنا قلت أكيد فيه حاجة ولما فاتحـــت صاحبة البيت ، قالت لي معقولة ، ده أنتم جيتوا بيضتوا الأوضة وعملتوا لها بلاط برضك بتطلع لكم ، قلت لها مين دي ، قالـــت لـــي أصل كان فيه واحدة قبلكم واتقتلت، طلع النهار نقلنا حاجتنا ورجعنا لأمه تاني".

الخوف من الحجرة وما حدث فيها كان أقوى من رغبتها في الاســـتقلال ، فعـــادت للحياة المشتركة مرة أخرى قد يبدو لنا أن الحياة استقرت بها سواء في إقامتها المستقلة ، أو في بيت العائلة، ولكـــنها ذات يـــوم قررت الهروب من الزوج ، وطلب الطلاق ، فماذا حدث ، وما هي أسباب إصرارها على الطلاق؟

"أنـــا اللـــي طلبـــت الطلاق منه ، ما كملتش معاه ٣ شهور وسبته، وقعدت سنة ونصف على ذمته بس أنا عند أمي، وهو عند أمـــه ، لغايـــة مـــا اطلقـــت منه ، كانت معاملته وحشة ، وكان بيضـــربني ضـــرب وحـــش ، خلاني قبل كده نايمة على السرير الضـــهرية كنـــت باستريح شويه وتعبانة ، بأبص لاقيت اللي جه ضـــربني علـــى إيـــدي بالعصـــاية لما إيدي انكسرت ، طيب ليه بتضـــربني أنـــا عملت إيه ، وأنا نايمة في حالي، يقول لي سايبة أهلـــي قاعديـــن بره ونايمة ليه ، هو بدلا ما يخليني أحبه خلاني كرهـــته مـــن أسلوبه معايا ، يخش معايا يضربني ضرب وحش

بسبب ومن غير سبب ، حتى حلة الملوخية كان بيدلقها في حجري، وهي سخنة مولعة ، انا رجلي مشوية من السخونية بتاعة الأكل اللي دلقه عليّا وبعدين كمان شكاك، وأنا ما أرضاش أقعد مع واحد زي ده لدرجة إنه مرة قفل عليا الأوضة ومسكني ضربني بالخرطوم أنا من النوع اللي يكلمني أكلمه واللي ما يكلمنيش ببقى قاعدة ساكتة ، أسمع اللي بيتكلم ، طبعا هو بيقول إيه ماتقعديش ساكتة اتكلمي معانا وخدي في الكلام معانا قلت له حاضر ، أضحك معاهم ، وناخد وندي في الكلام يقول لي ما تضحكيش معاهم ، ما انت اللي قلت لي ، يروح ماسكني ضاربني، كانت إيده تقيلة وفظيعة هو من النوع الشكاك ، حتى لما باقعد أضحك مع أخواته طب أعمل إيه ، لو ضحكت بتضحكي ليه إنتي مش محترماني وأنا قاعد قدامك طيب قل لي أعمل إيه".

كانت سوء معاملة الزوج هي السبب الأساسي لهروبها منه ، يحاول أن يسيطر على كل حركاتها وكلماتها وعلى صمتها وحديثها حتى مع أخوته ، وإذا ما خرجت عما يتصوره هو – وهي لا تعلم ماذا يريد بالضبط ، كان الضرب هو عقابها ، هي لم ترفض الامتثال له ، ولكن لم تكن تعرف كيف تمتثل للصورة التي يريدها والتي تحقق له الاحترام بين أخوته، متى تتحدث ، متى تصمت ، متى تضحك كي تتفاعل مع أهله ، وكيف تتفاعل، كان يريد كل شيء بمقاس لا تعلمه هي ، ولكن لم يكن الضرب هو

الـنقطة الفاصـلة التـي جعلتها تهرب ، أي لم تهرب بعد واقعة ضرب ، ولكنها هربت بعد واقعة جنس ، فلماذا؟

وكـيف سارت علاقتهما الحميمة في ظل هذه الشراسة وهذا التسلط؟

تقـول: "الصبح أول ما قمنا من النوم وشرب الشاي قال لي تعالـي رحت معاه وحصل اللي حصل ، ورحت اتشطفت وعملنا الأكـل واتغديـنا ، وكنت ناقعة الغسيل عشان كنت باغسل على إيـدي، عايـز إيه تاني ، كان عايزني أسيب الغسيل وأخش معاه الأوضة تاني ، قلت له لما أخلص غسيل طيب ما حبكش دلوقت ، عايزنـي أسيب الغسيل وأشوفه هو ، طب أشوفك في إيه ، أصلك متغدي وشارب الشاي سبني أشوف اللي ورايا، وما هو مش طول الـنهار، طبعه كده عايز الصبح والضهر والليل وكل شويه طب أعمل إيه أنا تعبت ، سبته في الأوضة قاعد يتكلم مع مرات أخوه ورحـت سيبت الغسيل على السطح ورحت مشيت بالجلابية اللي علـيّه مـا حدش يعرف طريقي لغاية ما رحت عند أمي، وقعدت سنة ونص لغاية ما اتطلقت منه وتنازلت له عن القايمة".

الجـنس فـي حياتها لم يكن وليد علاقة حب ، فالزواج كان هـرباً مـن الأم، ومن ثم فهو وظيفة عليها تأديتها مثل تأدية باقي متطلـبات البيت مثل الغسل والطبخ ...إلخ ولأنها ترى أنها أدت هـذه الوظـيفة فـي الصباح ، فعليها أن تتفرغ لباقي مهامها في البيـت، وهو يريدها طوال الوقت وفي أي وقت، فغادرت المنزل

هـروباً وأصـرت على الطلاق الذي تم بعدما تنازلت عن القائمة التي تصور الضابط أنه ضمن لها بها حقوقها.

ولـم يكن طلاقها سهلاً ، حيث تدخلت أمه وأخوته من أجل عودتها، ولكنها رفضت رفضاً قاطعاً.

"أنـا قعـدت سنة ونص على ذمته مش عايز يطلقني ، أمه جات لي وقالت لي هاخليكي تقعدي معانا تاني ، ومش حخليه يمد إيده عليكي، قلت لها لأ ده ضربه وحش وعمري ما حرجع له لو قلـت حيديكـي كـل يوم ١٠٠ جنيه برضه لا، ده انا كرهته من أفعالـه اللـي بيعملها وجه هو وقلت له أنا مش عايزاك خلاص كرهـته، ومـا دام الإنسان بيكره الواحد اللي قدامه.. خلاص ما ينفعش إن هي تعيش معاه تاني".

لـم تحـتمل كراهيتها له ، رغم أنها لم تتزوجه حباً ، ولكن كانـت تـتوقع أن تـؤدي الحياة بينهما إلى هذا الحب، وعندما لم يحـدث، وعلـى الـرغم من قسوة البديل ألا وهو الأم ، إلا أنها أصرت على قرارها.

تقول:

"رجعـت لأمـي مرة تانية ، أعمل إيه ، أروح فين ، مليش مكان أقعد فيه ، قالت لي مش قلت لك هيطلع دون ، وقعدت تشتم وتقول لي كلام وسخ ما يتقالش، وبعد كده رجعت المصنع تاني ، أشـتغل فـي المصنع تاني باخد نفس الأجر، وبرضه كانت أمي تيجـي ورايـا في المصنع وتقعدني من الشغل ، علشان صاحب

الشـــغل يزودنـــي ، كنت باروح من ٨ صباحاً وبارجع ١٠ مساءً وبيديها كل الفلوس، يا كده يا تضربني وتشتمني، وكنت باخد يوم أجـــازة فـــي الأســـبوع ، أملا فيه ميه وأغسل وأعمل كل حاجة وأنفـــض البيت وبرضه لما بارجع من الشغل كنت بعمله وأخليها مـــش عايـــزة حاجـــة حتى لو فيه طبق وسخ كنت باغسله عشان ماتجـــيش تعمـــل لي مشكلة ولا حاجة، لأن أنا كنت في يوم من الأيام باخاف منها ومن الضرب بتاعها".

لـــم ترضـــخ للـــزوج ، وكـــان لتحملها معه حدود، وطلبت الطـــلاق، ولكـــن مـــاذا تفعل مع الأم سوى الرضوخ لها مؤقتاً ، ومحاولة الهروب مرة أخرى من خلال زيجة جديدة.

تقول:

"جالـــي واحـــد تانـــي ، أخته شافتني، وأمي برضه رفضت ماعرفش هي الكلمة اللي بتقولها بتطلع صح كانت بتعرف الإنسان الوحش من الكويس، هي شاطرة في ديه وقالت لي هيتعبك، وفعلاً تعبنـــي، بعـــد مـــا رفضته أمي جه تاني، وأنا كنت رجعت تاني لمشـــاكل أمـــي ، قلت الجواز هيرحمني، ويمكن يطلع أحسن من الأولانـــي، علشـــان ناس قالوا لي صوابعك مش زي بعضها مش جايـــز يكـــون أحســـن من ده ، وقلت ماهيته كبيرة مش هيخليني محتاجة حاجة حيجيب لي شقة".

البحـــث عـــن رحمة أوسع من رحمة أمها كانت من دوافعها للـــزواج الثانـــي ، وأيضـــاً الحلـــم بالشـــقة وتحقيق الاحتياجات

الضـــرورية للحـــياة ، ووافقـــت عملاً بالمثل الشعبي المصري : صوابعك مش زي بعضها.

بـــالفعل الأصـــابع لا تتماثل، وبالفعل اختلف الزوجان، ولكن كلها في النهاية أصابع، وكان قرار جديد بطلب الطلاق ... فلماذا؟ تقول صديقتنا:

"قـــال لي هنقعد أسبوع عند أختي وبعد كده هجيب لك شقة، ومـــا عملـــناش فرح، ما أنا عمري اصلاً ما لبست طرحة لا في الأولانـــي ولا فـــي التاني، ولا جاب لي دهب ، قال الفلوس اللي أجيـــب لك بيها دهب أجيب بيها الشقة، واتجوزنا من غير أمي ما تعرف، قال لي أمك رافضاني، إيه رأيك والله ما هخليكي محتاجة أي حاجـــة، وفعلاً رحت معاه بعد الشغل على المأذون واتجوزنا وجبنا شهود من على القهوة، وكتب لي قايمة برضه".

كـــان فـــارق العمر بينهما كبيراً، فهو كان في الخمسينيات، وهي في العشرينيات، ولكنها تقول:

"ان عـــنده ٥١ سنة بس تشوفيه ما تقوليش عليه عنده يصبغ شعره ويلبس أحسن لبس ، هدومه شبابي".

هربـــت هذه المرة حقيقة ومجازاً من الأم واختارت – تحت ضغط احتياجاتها – هذا الزوج، وتزوجت مرة أخرى دون وجود أهـــل حيث كانت المرة الأولى في قسم الشرطة، وفي الثانية لدى المأذون وبشهود من الشارع.

وتصـــورت أنهـــا وصـــلت لنهاية المطاف في رحلة شقائها وبـــالفعل تحقـــق لها هذا لمدة أربعة أشهر تقول عنها: "فات أربع

شـــهور، دول كانـــت أحلـــى الأيام اللي عشتها بصراحة، أحسن أيامـــي، كان بيفسحني، ويوديني الكازينو، ويجيب لي أحسن لبس، مش مخليني عايزه حاجه، وكان بيديني فلوس، كنا قاعدين كل ده عند أخته، وكنت مبسوطة معاه".

ولكـــن... لم تكن الشقة – الحلم الذي حلمت به ولم يحققه لها – هـــو الســـبب الوحـــيد في تحول مشاعرها تجاهه، فقد اكتشفت أشـــياء جديدة لم تكن تعلمها، ولم تتفق مع رؤيتها ونظرتها لنفسها فتقول:

"اكتشـــفت إن هو متجوز ومعاه عيال كبار وأكبر عيل عنده أكـــبر منـــي بســـنتين، كان على ذمته واحدة ومطلق واحدة، وأنا عمري ما خربت بيت حد بعد كده أعتبر إن أنا خربت بيته وبيت إنسانه تانيه معملتش لي حاجة، وهو ضحك عليّا في حاجات كتيرة قـــوي وكداب كبير، وبتاع نسوان، وبيصرف فلوسه عليهم، وكل يوم مع واحدة".

صادفنا صديقة سابقة قبلت الزواج برجل متزوج لأنه لم يكن أمامهـــا بديـــل آخـــر أما صديقتنا هذه ، فرغم قسوة البديل المتاح أمامهـــا – العـــودة للأم – إلا أنها لم تستمر في الزواج من رجل مـــتزوج، رغـــم أنها لم تكن تعلم بأمر هذه الزيجة، ولم ترض أن تـــرى نفســـها فـــي صورة المدمرة للبيوت؛ وكان هذا مبرراً إلى جانـــب كذب الزوج، وعلاقاته النسائية المتعددة وعدم توفير شقة للزوجية في طلبها للطلاق.

ومــثلما كانــت القشة التي دفعتها للطلاق في التجربة الأولى هــي الجــنس، فقد كان الجنس هو أيضاً الطريقة التي دفعت بها الزوج إلى طلاقها فقد استخدمته كأداة في طرد الزوج من حياتها بعدمــا أدركــت أن الجنس كان هو هدفه من الزواج منها، تقول: "أكــتر وقــته كان بيقضيه بره، وبيرجع بالليل علشان مزاجه بس وفــي يوم كنت تعبانة، وكان عايزني أنام معاه، قلت له أنا تعبانة مــش قــادرة، وقعد يتحايل عليّا، وقال لي أنا مش هاجي، قلت له أنــت متجوزنــي ليه، علشان الحاجه دي، أمال أنا متجوزك ليه، طــبعاً علشان كده حسيت إن الدنيا اسودت في وشي وأنا ما كنتش بقــول له لا علشــان ده حــرام واحــدة تمنع جوزها عنها، ربنا يحاســبها حســاب كبــير، بس مدام تعبانة المفروض يستحملني، مافرقــتش مــن يوم، أنا تعبانة ، بدل ما يقول لي تعالي أوديكي للدكــتور، يقول أمال أنا متجوزك ليه تيجي إزاي هو الجواز نوم وبــس وخــلاص، لمــا لاقيته كده ربنا يسامحني قعدت ٨ شهور ماخليــتهوش ييجي جنبي أبداً، وكان ييجي أروح أحط الأكل وكده ويمشي، وكان عايز أقول له لا معلهش مش النهارده يمكن حسيت إنــي ولا حاجة قدامه هو متجوزني علشان حاجة زي كده، كل ما أفــتكر الكلمة اللي هو قالها أضايق وأقول لنفسي المرة مالهاش طمعانين فيّه وكل واحد عايش علشان مزاجه وبس ويصعب عليه نفسي وأقعد أعيط وبعد كده أقعد أتخانق معاه".

حيــنما يتعامل الرجل مع المرأة باعتبارها فقط وسيلة لإشباع رغباته تشعر المرأة بالامتهان، وبأنها لا تساوي شيئاً آخر، هذا ما

عـبرت به صديقتنا التي لم تنل أي قدر من التعليم عن رأيها في الـزواج، فالـزواج ليس جنساً فقط من وجهة نظرها ورغم أنها تعتـبر الامتناع عن الزوج من الأمور المحرمة، إلا أنها ترى أن لديهـا من المبررات ما يجعلها تنال السماح من الله على ما فعلته، وتزامـن امتناعها عنه، مع عدم تحقيقه لوعده لها بالحصول على شقة لهما، وقد كانت قد أنجبت طفلة، فأصرت على طلب الطلاق.

تقـول: "قلـت له طلقنـي، قـال مش هطلقك سبت له البيت ومشيت، وكان عايزني أبقى زي كرسي في البيت، سبقته وطلعت رحلـة مع ولاد أخته، كل واحدة مع جوزها، وأنا وبنتي، قال لي طالعة على حساب مين، قلت له مش على حسابك، على حسابهم، لكـن طلعـت من الفلوس اللي كنت بحوشها، ارتحت فيهم جامد، وكان أجمل حاجة في الـ١٥ يوم دول إن أنا كنت بعيدة عنه، لأن أنا كرهته، وبعدين اتجوز وأنا على ذمته، وكان كل ما ييجي أقول له روح يا أخويا عند مراتك الجديدة، ومشيت وسبت له البيت لما بنتي كملت سنة إلا كام يوم، وقعدت عند أمي وكان برضك يجي عايز ينام معايا، كنت أقعد أزعق وأقوله إنت خربت عليّا خلاص، لمـا تجيب لي مكان أقعد فيه يا سيدي، أبقى أعمل اللي إنت عايز تعملـه معايـا بس لما أحس إن ليه بيت، بس كل ما يجي زي ما يدخل زي ما يخرج".

أصـرت على الطلاق، ورغـم تعدد الأسبـاب، تعللت بالشقـة كمبـرر نهائي للطلاق.

ورفضت أمها إصرارها على الطلاق ، حيث كانت تحصل من الزوج على مصروفات شهرية للطفلة لم تكن تريد انقطاعها.

"كانت أمي بتاخد منه فلوس ، ١٥٠ جنيه في الشهر وأما كان يغيب يقعد خمس ست سبع شهور ما يجيش، ما يسألش فينا خالص، كانت تقعد تشتمني وتبهدلني وتقول لي روحي هاتي مصاريف من جوزك وأنا مش عايزه أروح له، كانت بتاخد مصاريف ما تدنيش منهم حاجة، وقعد ٣ سنين ما يدنيش مصاريف خالص، وطلبت الطلاق في المحكمة، والقايمة بتاعتي كان سرقها وقطعها علشان مافيش حاجة تثبت إن ليا حق عنده ولما رحت عند المأذون أجيب القايمة قالي ضاعت في الزلزال، الكلام ده ما حصلش، أنا كنت متجوزة بعد الزلزال بسنة ولا اتنين، عرفت بقه إنه هو راح إداله فلوس وخد القايمة التانية وقطعها، وعلشان هو من حتته".

مرة ثانية: طلاق دون الاستفادة مما كانت تتصور أنه كان يحمي لها حقوقها، أي من القائمة، فقد تواطأ الزوج مع المأذون وتخلصا من القائمة وحصلت على الطلاق دون أية حقوق. وعادت مرة أخرى، ولم تجد أمامها سوى العمل كحل لمأزق حياتها.

تقول صديقتنا:

"اشتغلت في محل ملابس ، بعد ما سبته على طول، وكنت باخد منه ١٠٠ جنيه في الشهر بفتح من ١٠ صباحاً إلى ١١

مســـاءً، وكـــان صـــاحب المحل مآمني على المحل، وكان مديني المفتاح وبسيب بنتي عند أختي ، وأمي كانت بتاخد مني الـــ ١٠٠ جنيه لا بتأكلني ولا بتشربني ولولا أختي ربنا يخليها هي وجوزها كنـــت زماني دلوقت بشحت على بنتي، وكنت آجي ألاقيها كشفت على بنتي وجايبه لها علاج، وأمي أقول لها إديني ٥ جنيه أكشف علـــى بنتـــي، ما كانتش تديني تقول لي روحي لجوزك، قلت لها أروح إزاي وأنـــا مطلقـــة مـــنه، كانت تقعد تردح لي في الشارع وتشـــتمني شتيمة وسخة، ولولا أختي وجوزها كنت ضعت وبنتي دي كانت راحت مني من كتر السخونية".

فقدت رعاية الأم، ولكنها لم تفقد اهتمام وعطف الأخت، التي ساندتها بعد طلاقها وفي رعايتها لابنتها، ورغم كل قسوة حياتها، فلم تسلك سلوكاً تدان عليه اجتماعياً، واتسمت بالأمانة التي جعلت صاحب العمل يتحمل مشاكل أمها فتقول:

"كان صاحب المحل مآمني وكانت الفلوس اللي بتيجي بحطها فـــي الـــدرج وأقفل عليها بالمفتاح وكل اللي بأبيعه أروح أحطه، ومـــا سابتنيش، والراجل زودني، وجات قعدت تتخانق وتزعق له وقال لي ما تروحيش المحل تاني، وما رحتش"

ورغم أن الأم تسببت في فقدانها لعملها إلا أنها كانت تجبرها علـــى دفع ٢ جنيه يومياً نظير إقامتها لديها وإلا طردتها فساندتها الأخـــت مرة ثانية بإعطائها عشرة جنيهات بدأت بها عملاً خاصاً بها تنفق منه على نفسها وعلى ابنتها.

فتقول صديقتنا: "أختي إدتني عشرة جنيه ، جبت حمص شام وترمس وبقيت أعمل، حتى واحدة حجة جانبى إدتني حله عملت فيها حمص الشام، واشتريت كبايات وكبشة ومعالق واستلفت وابور من الحاجة وهي ست كويسه جداً أحسن من أمي وبيطلع لي آكل وأشرب وادفع لأمي ٢ جنيه، ومكسبي حلو والحمد لله.

وفي الصيف ببيع درة مشوي وهدومي كانت بتتحرق من الدرة، وببيع طول الصيف ولميت مكسب حلو وعملت جمعية وقبضت ٤٥٠ جنيه.

والحمد لله رضا".

الرضا هو محصلة كل رحلتها الشاقة في الحياة لم تسندها أسرة، ولم يسندها زوج، ولم تسندها دولة، فعملها التي تحمد الله عليه يعتبر من الأعمال الهامشية التي يتعرض أصحابها لمضايقات وملاحقات يومية من قبل مسئولي الأحياء.

(ع):

ربما تكون صديقتنا هذه المرة أيضاً ضحية لظروف اجتماعية مختلفة، حاربت من أجل تغييرها، وفي اللحظة التي حققت فيها الانتصار، وحصلت على ما تريد امتلكها الإحساس بالندم على هذا النصر، حيث حوله المجتمع إلى هزيمة وتمنت أن تعود إلى لحظة ما قبل الانتصار دعونا نستمع إليها.

تمحورت حياتها في المرحلة الأولى من شبابها حول زواجها من رجل، دللته أمه كثيراً، حيث كانت تعمل، وكانت تسافر من

أجـل عملهـا هذا، وتركت أبناءها الصغار في رعاية شقيق أكبر اتسـم بالقسـوة، ممـا أدى إلى هروب أحد الأبناء فشعرت الأم بالذنب، وحاولت تعويض هذا الإحساس في الأبناء المتبقين ومنهم هذا الزوج.

تقول صديقتنا:

"كانـت حماتـي دي مسـافرة الكويت تشتغل علشان تربي أولادهـا، وكانت عاملة شقة باسم ابنها الكبير، فلما جات ومالقتش واحـد مـن ولادها، مش عارفين طريقه، دورت عليه وماخلتش، وتعبت من تحت راس ابنها ده، وهو كان بيمشي لأن أخوه الكبير علـى طول كان يضربه كان قاسي عليهم، وجوزي وهو صغير كـان أخوه يسيبه من غير أكل وشرب، ويربطه في المنور، فالأم حسـت إن تعـبها علـى الفاضي، لقت واحد طفش من المعاملة، وابنها التاني (اللي هو جوزي) يمشي والناس تجيبه، فكانت مدلعاه جداً جداً زيادة عن اللزوم.

هـي المرأة – الأم التي تشعر بالذنب عندما تترك أبناءها في رعايـة آخرين، حتى ولو كانوا إخوة، حتى ولو كانت تتركهم من أجل العمل الذي يوفر لهم الحياة حينما يتوفى أو يرحل الأب بأي صـورة كانـت، والتدلـيل إحدى الوسائل التي يلجأ إليها بعض الأمهـات مـن أجل مواجهة الإحساس بالتقصير في حق الأبناء، ولكن للتدليل نتائجه الأسوأ من قسوة الأخوة الكبار.

دعونا نستكمل قصة هذا الزوج المدلل عبر حكي زوجته...

"زوجـــي وأخواتـــه كلهـــم نقاشين، ولما جه يتجوزني، كانت حاجتـــي كلها عندي، يعني عزال كله، كان عليه أوضة النوم بس، وأنـــا جبت كل حاجة من دهبي. كنت لابسة الدهب هو ما جبليش إلا الدبلـــة بـــس، وأول ما بعت كنت لابسه حلق، قال لي علشان نبـــيض الشـــقة وأمه كانت بتساعدنا في تسديد الأقساط، كان يقعد بالشهرين والتلاتة ما يشتغلش تطبطب عليه، وتدفع هي كل حاجة من فلوسها ومن معاش أبوه".

لـــم يـــتحمل الـــزو ج أي شيء من تكاليف الزواج، تحملت المـــرأتان الأم ، الزوجة عنه كل الأعباء، وتعوّد هو على التدليل، على توفير كل ما يحتاج حتى الزواج واستمر على هذا الحال مع زوجته بعد الزواج حيث كان يقطن في شقة الأم، وعاش الزوجان مثل كثير من الأزواج المصريين حياة هادئة – باردة على السطح تمـــوج بالخلافـــات والصـــراعات فـــي العمق حتى حدثت لحظة الانفجار.

"فـــي الأول هـــو كـــان كويس صراحه، وكان بيحب أولاده، وكـــان بيحب إخواتي، يعني أقول الحق وأي مناسبة عند إخواتي كان بيجيب لهم هدايا".

وكانـــت تتغاضى عن منغصات في الحياة تعتبرها عادية مثل غيرة الزوج، وإدمانه وضربه لها.

تقول: "ما كانش يخليني أروح أي فرح، كان يروح هو وينقط مـــا أعـــرفش لـــيه، ولمـــا كنت أقول له ما أخرجش يقول لي ما تخرجـــيش، تخرجي ليه هتتزنقي في الناس والناس تتزنق فيكي،

وكان برضه بيتعاطى حاجات وكتير أكلمه ما يسمعش الكلام، ولو واحد سأل عليه ووقفت أكلمه يدور فيا الضرب، ويقول لي تكلميه ليه".

رغـــم الضرب والإدمان والغيرة فالحياة تسير على ما يرام. أمـــا بالنسبة للزوج، فليست الأمور على ما يرام، ويبدو أن الجنس كان عاملاً أساسياً في هدم هذه العلاقة الزوجية.

تقول الزوجة:

"كـــان بيضربني خانقني علشان الموضوع ده (الجنس) ولما كنـــت أقـــول له لا يقول اه ما أنت كذا، وما انت ماشية غلط، ولا مؤاخـــذة كانت عليّه الدوره، قلت له أهو ده ضرر لك قال لي ما لكـــيش دعـــوه، مجرد ما جـــــا كده قلت له أنا خايفة عليك أخد بعضـــه ومشي ومجاش غير الصبح فجه إخواته واشتكو لي انت مقصره معاه ليه، إنت مزعلاه ليه، هو بيحكي لنسوان إخواته كل حاجـــة، جايز علشان أنا ريفية وما اتعودتش أتكلم زي بتوع هنا، كـــانوا بيجوا نسوان إخواته ويقولوا لي إنت ليه ما بتعمليش معاه كـــده ولا كده، ولما كنت أبقى متمكيجه أو لابسة قميص نوم يقول لـــي إنـــت عاملة كده ليه، إنتي مستنية حد، أقول له جايز مستنيه جـــوزي، ومـــا يحكمش رأيه إلا لما بيكون عندي الدوره، وأحياناً أبقـــى تعـــبانة، بس أصل هو مش من النوع اللي كل شهر ، وكل أســـبوع، ده لـــو كـــل يـــوم ما يتعبش أقول له حرام عليك وكان بصـــراحة بيبقى عنيف معايا شويه، وكان بيبقى شديد عليّا وأحياناً

بيضـــربني فـــي الآخر يشتمني، وإذا كان عليه عايز كل يوم بس ياريته يصبح بعد كده يروح الشغل، أقول له مش هتروح الشغل، يقول وأنت مالك".

لـــم يكـــن الزوج والزوجة على موجة إنسانية واحدة فحينما تـــريده يتعامل معها بإهمال، وهو يريدها في لحظات لا تصلح... ولأن خطـــوط التواصل الإنساني مقطوعة، فالضرب والسب من جانـــب الـــزوج، والرفض من جانب الزوجة هي أدوات التواصل الوحـــيدة المـــتاحة ولأنها ريفية ولأنه حضري وله زوجات إخوة حضـــريات يناقشن الأمور الجنسية بشكل مفتوح، فهي لا تعرف بحكـــم نشأتها كيفية مجاراتهن، أو مجاراته، بل تخجل من مجرد الأحاديث الجنسية.

وتقـــول الـــزوجة: "علشان أسلوبه وحش، أقول له إنت بتقعد تخانق معايا، طيب لو قربت مني أبقى تعالى قابلني".

وهي ترى الجنس مهمة ثقيلة، وهو يراه ضرورة يومية حتى لو على حساب العمل، وربما كان هذا أحد مبررات الزواج الثاني للزوج، ولكن الزوجة ترى زواجه الثاني بمنظور آخر فتقول: "هو مشـــيه غلط، أكبر عيب فيه الستات والحاجات اللي بياخدها دي، كمـــان عمـــري ما قلت لجوزي تعالى معايا للدكتور، يعني مش شـــايل مســـئولية، واللـــي يتجوز على مراته ده يا إما قادر يا إما فاجر"

في منظورها، أن عدم تحمل الزوج لمسئولية الأبناء، وسلوكه المـــنحرف همـــا وراء زواجـــه للمرة الثانية ولكن كيف تم زواج

الـــزوج للمـــرة الثانية، وما هي المناورات التي قام بها من أجل التمهيد لزواجه الثاني والتغطية على علاقته بفتاة أصبحت زوجته فيما بعد. تقول الزوجة: "كان بيوقع بيني وبين أمه، عشان شافني أنا وهي قريبين من بعض، يعني قال لها إنتي بتحبيها فوق العقل، دي بتعمل لك الأكل مش كويس، وكنت باديها الحقن، جا هو يديها الحقـــن بدالـــي جـــاب لها خراج، هو عايز يوريها مش دي اللي بتديكي العلاج، مش دي اللي بتديكي الأكل، أنا هغنيكي عنها".

كانت الخطوة الأولى هى اكتساب أمه في صفه ضد الزوجة التـــي تحبها وتقدم لها الخدمات اليومية المعتادة، ثم تواصل حديثها "ضـــرب فيَّ، ضرب في الأولاد، وما فيش مصاريف.. وخناقات تلكيك".

والـــتوقف عـــن الإنفـــاق، والاعتداءات البدنية على الزوجة والأطفـــال ثم الوقوف مع الأشقاء في صراعهم مع الزوجة، تقول الـــزوجة: "هو غضبني من تحت راس الشقة، وزعلوني وودوني البلد على أساس يخدوها مني، وأنا كنت سافرت بعد ما أمه ماتت علشـــان مش عايزه أدخل في حاجة بينهم، جيت لاقيته بايع أوضة الـــنوم، بايع كل حاجة، ولما اتخانقت أنا وهو علشان متصور مع واحـــدة جه إخواته عايزين يعملوها خناقة، هم عايزين الشقة بأي طريقة– أخوه يقول له: إمشي وسيبها وهو لخبط الدنيا في بعضها وقـــال إنـــي ســـبيت واحدة قريبتهم وقال لجوزها، طبعاً هم كانوا عامليـــن تمثيلـــية ونجحت، أو حاجة عملوها مع بعض ونجحت،

كانوا دايماً يعملوا مسلسلات وأفلام عليّ وتنجح، وداني البلد وهو على آخره وقال لأبويا بنتك أهه وبنتك سبت واحدة قريبتي".

ربمـــا حقيقة، ربما هي تتصور أنها الحقيقة، ألا وهو تواطؤ الـــزوج مـــع أشقائه للتخلص من الزوجة، والاستيلاء على الشقة، وخاصة إنها تراهام لا يتعاملون معها كزوجة لأخيهم، بل كخادمة لهم، حيث تقول:

"خلاني قاعدة عند أخته، وقال لي روحي اقعدى معاها شويه، طـــبعاً مـــا كانتش واخداني زي مراة أخوها قاعدة عندها، كانت واخدانـــي يعني زي لا مؤاخذة في الكلمة دي زي خدامة عندها، غسيل وطبيخ وتوضيب وهي قاعدة بقى مع جيرانها، وبنت أخوه تقـــول له إيه القرف ده، إيه الأشكال اللي إنت متجوزها دي، إيه اللي إنت رحت جبتها".

رغـــم أن الفارق الطبقي ليس هو الأساس بينهما، ولكن يبدو أنه الفارق الريفي – الحضري.

نعود لنستكمل الخطوات التي خطاها الزوج حتى حقق زواجه الثاني.

تقـــول الـــزوجة: "كان سافر يشتغل مع مهندسة في فيلا في إســـكندرية، والبنـــت اللي اتجوزها دي كانت هناك يعني، وكانت بتبعـــت له جوابات وهدايا للأولاد وتكلمه في التليفون، أتاري هو مع البنت دي وأنا ما أعرفش، وأنا عرفت من إخواته بعد كده، إنه راح يطلـــبها من أبوها، أبوها ما رضيش، أخدت بعضها وهربت معـــاه، وعرفـــت إنه كان مفهمها إنه مطلقني، وهو لما كان رايح

يـــتجوزها ما كنتش أعرف، وكان عندي وقلت له رايح فين، قال لـــي رايـــح أتجوز، يا فلان رايح فين؟ يا بنتي والله رايح أتجوز، وهو كان كلامه جد بس واخده بضحك وهزار وفوجئت بعدها إنه رايح يتقدم للبنت دي".

مـــارس الـــزوج خداعـــه للـــزوجة الثانية بادعائه أنه مطلق الأولـــى، ومارس خداعه للأولى في خلطه الجد بالهزل في حديثه معها ... فماذا حدث بعدما هربت معه الفتاة، وهي قاصر لم تكن قد تعدت السادسة عشرة من عمرها؟ تقول الزوجة – والأخوة هم مصـــدر معلوماتها – : "هو خدها عند أخوه، وقعدوا عنده ١٥ – ٢٠ يـــوم، وراحوا يكتبوا عند المأذون، المأذون قال له دي قاصر فخاف وراح عند المحامي وكتب عليها عرفي، ومراة أخوه قالت لـــي إحـــنا سترناها، إنتي معاكي بنت وأنا معايا بنتين، ولما أخته عرفـــت إنـــه مـــتجوزها عرفـــي، لطمت علشان هو عرفي مش شـــرعي، وقالـــت لأخوه التاني، إحنا عايزين نكتب عليهم أحسن أهلهـــا يجوا يقطعونا، وخافوا من أهلها وجابوا المأذون وكتب لهم وبسمع إن الجواز العرفي ما بيضمنش حقوق الواحدة، وهو زمان على أيام الأنبياء كان كده أيام الرسول صلى الله عليه وسلم.

الأخوة يبررون وقوفهم مع الأخ في زواجه الثاني بكونه طلباً لستر الفتاة التي عاش معها دون زواج، وحينما ساهموا في تحويل الـــزواج العرفـــي إلى زواج رسمي كان خوفاً من أهل الفتاة، أما الـــزوجة فتقول: "أنتم سترتوها طيب والولاد دول أروح بيهم فين، وبعدين اتضح بقه إن هي أغنته عني".

فالـزواج الثانـي لـزوجها حرم أولادها من مصدر الإنفاق علـيهم، وأغـنى الـزوج عن الزوجة الأولى... وظلت المقارنة حاضرة بين ما فعله معها عند زواجها منه، وما يفعله مع زوجته الجديـدة من حيث مستوى الإنفاق، تقول الزوجة: "صاحبة البيت اللـي خد شقة فيه بقت تقول لي: ده بقى يصرف عليها مصاريف بالهـبل، هي كانت متملكاه بقى، هو ما جابش لي قشاية، جاب لها غسـالة أوتوماتـيك، وجاب بوتاجاز بشواية من فوق، عمل الشقة خشـب والأرض زرع وشـجر وورق حيطان، هي مش عايزاه يدينـي تعـريفة، وأنـا كنت عايزه فلوس علشان العيال وهو ما بيسألش".

تـرى صـديقتنا أن المـرأة حين تمتلك الرجل، ينفق عليها بسـخاء، فهـو ينفق على الزوجة الثانية لأنها امتلكته أو أصبحت قـادرة علـى التأثير عليه، ويبدو أن الخلاف في التنشئة بين فتاة ريفـية من إحدى قرى الغربية وبين فتاة سكندرية حضرية كانت لصالح الثانية، فما تراه الثانية خروجاً على التقاليد كان هو العامل المؤثر الذي استمال الزوج إلى الثانية.

تقول الزوجة: "هي طبعاً اللبس والمنظر والتسجيل على طول شغال، والرقص، وياكلوا ويسهروا وشرب وسكر، وكاسات وإبر ودش وحاجات خارجة".

تفاصـيل يومـية مخـتلفة يعيشها الزوج مع الزوجة الثانية ترفضـها الـزوجة الأولى، فهما عالمان مختلفان؛ ولأنها لا تملك

شـيئاً تواجهه به، فلم يكن أمامها للحصول على مصاريف الأبناء سوى اللجوء إلى الإخوة وحينما تيأس لا تجد سوى الدعاء عليه.

تقول الزوجة: "رحت لأخته وقلت لها أنا عايزة فلوس للعيال دي، بقـى له أربـع شهور ما أخدتش منه ولا تعريفة ما عانديش حاجـة أشـتيكيه بهـا وأروح فين وآجي منين، رحت قلت له قام شـتمني المهـم أنا صعبت عليّه نفسي من ضيقتي، وصعب عليّه الولاد، رحت معيطة ودعيت عليه بصراحه"

ثم العودة إلى الله.

تقـول: "لمـا لاقيـته بيتغير وفيه حاجات كتيرة بتتغير بقيت أصـلي بصراحة وبقيت أروح الجامع، ولبست الخمار بعد ما هو مشـي، ومـرة حصلت لي سرقة في السوق، خلتني قلعته، مش عارفة لقيت نفسي كده قلعته، ربنا بقى يسامحني وألبسه تاني، بقى كل اللي يشوفني يقول لي ده مكبرك، أبويا وكلهم".

لجـأت إلـى الصـلاة والذهـاب إلى الجامع والاستماع إلى الدروس الدينية ثم ارتدت الحجاب، ثم اتخذت قرارها بخلعه، فهي إمـرأة – رغم كل المشاكل التي تمر بها- لا تحب أن ترى نفسها أكـبر مـن سـنها الحقيقي، فلم تصمد أمام الضغوط الأسرية من الأهل بأن الحجاب يزيدها عمراً على عمرها.

وربمـا لأنهـا فـي هذه اللحظة اتخذت طريقاً آخر لمواجهة الزوج، ألا وهو طريق المحاكم للحصول على الطلاق والحصول علـى نفقـة الأولاد بعدما أعيتها الحيل التقليدية، حيث حاولت في الـبداية اللجـوء لأهله ففشلت، ثم لجأت لأهلها ففشلت، ثم تعرفت

بالصـــدفة على إحدى الجمعيات الأهلية المعنية بالمرأة فوقفت إلى جوارها وساندتها في معركتها القانوينة مع الزوج.

تقول الزوجة:

"كنـــت غارقانـــة وتايهـــة وفـــي دوامة، ومش قادرة أتمالك أعصـــابي من العياط وأطفالى الصغيرين معايا، وحتى أهلي كانوا بيســـتعجبوا إزاي تقف على رجليها رغم إنهم شمتانين وفرحانين فـــيّا وكـــانوا بيقولوا إزاي دي هتبقى أب وأم للولاد دول، علشان سابني كده ٤ و٥ سنين من غير مصاريف، بدل ما يهدوني".

مـــرة أخـــرى لا نعرف لماذا يشمت الأهل في ابنتهم ولكنها ترجع ذلك لأنها لم تستجب لهم وتركت عملاً كانوا قد حصلوا لها عليه في الحكومة. تقول:

"خالـــي بيزعق لي ويقول لي إزاي تسيبي شغل الحكومة ــ كان مشغلني شغل حكومة، بس كانوا بيدوني ٤٢ جنيه ما كانوش هيفتحوا لي بيت، وحضانات وأكل وشرب وعلاجات ثم تستكمل: أنـــا مقطوعـــة رحت لابن عمتي، وقلت له مش ممكن إنك تيجي ونلم أخواته ونجيب كمان راجل من ناحيتي أنا، ونعمل قعدة، قال لـــي أقول لك تعالي نتصل به في التليفون اتصلنا بأخته قالت لا، والتانـــية لا، حلوها بينكم وبين بعضكم، ما فيش داعي نتلم وعلى إيـــه مش مستهلة، كل واحد بيريح دماغه، وأخوه قال مستعد آجي ومـــا جـــاش، كله كلام في كلام، واتصلنا تليفونات هنا وهنا، وما فيش فايدة".

حاولت أن تلجأ للطرق التقليدية، في جمع أطراف العائلتين وحل مشكلة عدم إنفاق الزوج على الأبناء، فلم تفلح، فالكل لا يريد التدخل انشغالاً بحالته، وزوجات الإخوة لا يريدون من أزواجهن السؤال عنها، خوفاً من استمالتها لهم.

فتقول: "مراة أخوه كانت بتتضايق وتزعل، وتقول له إنت بتروح لها ليه، بتديها فلوس ليه، فأنا قلت طالما الحريم بيتخانقوا مع بعض بسببي، ما كنتش باروح أخبط على حد علشان ما يقولش دي بتبص على ده ولا بتكلم ده أصل كان فيه حتة غيره شوية، فقلت لجوزي علشان ده ما يحصلش أبعت لي فلوس بالذوق أحسن".

ولأن الغيرة بين النساء قادرة على سد أبواب المساعدة لمن تحتاجها منهن، ولأن الزوج لم ينفق عليها برضاه، فلم تجد سوى المحاكم طريقاً.

"واحدة بنت حلال قالت لي فيه مكتب انفتح هنا روحي اشتكيه".

بالفعل اتخذت طريقها للمكتب، وساعدتها المحامية المسئولة عن المكتب في رفع قضية نفقة وقضية طلاق، وساعدتها في تدبير أمور حياتها وحياة أبناءها.

تقول صديقتنا: "الأستاذة فلانة دي بصراحة عندي أحسن الدنيا بحالها، لغاية اللبس جابته لي، يعني بصراحة أنا بحبها أكتر من أي حد، والنفقة قعدنا فيها سنتين، على ما حكمت وعملوا لنا برنامج في التلفزيون هنا في المركز، وأنا قلت اللي عندي، هم

زعلوا مني اللي بيصوروا وقالوا لا إنتي كده هتدخلينا في مشاكل، راحوا قافلين الشريط، أنا قلت لهم المحاكم دي بصراحة ما بيتجبش حقنا، وبتيجي مع الراجل، إحنا عايزين حقنا، واحده زيى معاها اتنين يحكموا لها بـ ٧٠ جنيه، هم دول هيعيشوا !".

بعد رحلة طويلة في المحاكم وبمساعدة المركز حكمت لها بسبعين جنيهاً لها وللأولاد، فماذا تفعل بهم، كما لم تقف المحاكم مع المرأة، فلم يقف الإعلام أيضاً معها، ولم يعبر عن آلامها بوضوح بل لعب دور المضلل، ورفض أن يستكمل حديثها الصريح عن المحاكم، فهذه المرأة تشعر بتواطؤ الجميع من أجل دفن مطالبها المشروعة بعد حكم المحكمة، لم تجد أمامها من سبيل سوى ترك أبنائها للزوج حتى يرى بنفسه، كيف يمكنه أن يتولى مسئولية الإنفاق عليهم بمبلغ السبعين جنيهاً.

تقول الزوجة:

"مش هو هيديني ٧٠ جنيه طيب خدهم (أي الأولاد) واشربهم بقى خدهم عندك واتحمل مصاريفهم، كمان الأولاد نفسيتهم بقت تتغير وأنا طبيعي ما بقيتش قادرة عليهم راحوا شافوا عيشة أبوهم والشقة والعربية، وبقى ابني يقول لي تعالي نسيب الشقة دي أصلها مش حلوة، شقة بابا حلوة".

لأنها لم تقو على مواجهة المقارنات التي يعقدها الأبناء بين الحياة التي يعيشونها، والحياة التي يعيشها الأب؛ ولأن مبلغ النفقة

لا يكفـــي شيئاً قررت أن تتخذ أكثر القرارات ألماً في حياتها بأن تتخلى مؤقتاً عن أبنائها للأب.

ولكن خوفاً على الأبناء مما يرونه عند الأب وزوجته من قيم وســلوكيات لا ترضاها أعادتهم إليها مرة أخرى، "أنا قلت البنت هتضيع مني، والبنت رجعت من عنده نفسيتها متغيرة، مراته تآخد الفلــوس مــن وراه وتديها لأمها وتقول بنتي اللي خدتها، وبقيت أسايسهم علشان أضمهم ليا تاني".

وترى في نفسها عدم القدرة على التأثير على الزوج من أجل الاحــتفاظ بــه لــرعاية الأبناء مثلما فعلت (سلفتها) زوجة شقيق زوجها الذي تزوج عليها، ومع ذلك احتفظت به ولم تجد صديقتنا ما يبرر الزواج الثاني للأخ، ولكن لزوجته الأولى رأياً آخر تقول الصــديقة: "أنــا قلت لمراته: طيب ده اتجوز عليكي ليه، جوزي ومشــيه غلط، لكن ده مصلي ويعرف ربنا، وعمره ما كان مشيه بطال، قالت لي إنه قال لها أنا معايا قرش زيادة، يعني هعمل بيه إيه إنتي عمرك ما حملتيني مسئولية بنت ولا ولد، ولا عيل عيان ولا عــنده مشــكلة في المدارس ولا حاجة إنتي مسئولة عن كل حاجــة، إنتي شايلة كل حاجة، هو بيروح يشغل الصنايعية وطول النهار فاضي يتفرج على التلفزيون والدش، وفي الآخر بيقول لها مــش أحسن ما أمشي في غلط مش كده أحسن ما أجيب أي حاجة أغلــط أو أشرب، أهو ده على سنة الله ورسوله. فقالت له بس لو في يوم من الأيام لو بت عندها ليلة هكون مطلقة منك".

يبرر هذا الزوج المصلي، الذي يعرف الله زواجه الثاني بأنه لديه الوقت والمال، فماذا يفعل في الحياة.

ليست لديه مسئوليات ولا يريد ارتكاب محرمات مثل شرب الخمور أو خلافه، فليفعل إذاً شيئاً لا يغضب الله وهو الزواج الثاني، إن خبرته الاجتماعية لم تؤهله لفعل أشياء أخرى في الحياة بما توفر له من وقت ومال، كما أننا نفتقد مؤسسات مدنية قادرة على اجتذاب فئات غير المثقفين والمهتمين بالشأن العام، فماذا يفعل الرجل، تزوج ... ولكن كان لزوجته الأولى وهي لا تملك رداً تجيب به زوجها سوى وضع شرط سعت بكل ما تملك من حيلة لتحقيقه، وهو ألا يبيت ليلة واحدة لدى الزوجة الثانية.

فماذا فعلت ؟

كان للزوج ابن شقيقة كان من المفترض أن يتزوج ابنته فاستخدمت الزوجة رغبة الشقيقة في تحقيق هذا الزواج كعامل ضغط على الزوج من خلال شقيقته، تقول صديقتنا:

"مراته قالت لأخت زوجها: لو أخوكى بات عند ضرتي يوم عمر ابنك ما هيتجوز بنتي، علشان ابنك يتجوز بنتي لازم أخوكي ما يباتش عند ضرتي، وعندها تأثير جامد ما أعرفش إزاي، بيروح طول النهار يقعد، ولم تقتصر الزوجة على هذا الضغط المعنوي على الزوج من قبل شقيقته، بل استخدمت حيلاً أخرى لمجابهة الزوجة الجديدة وكيدها كما تقول صديقتنا "لما ولدت مراته الجديدة راحت جابت لها حاجة دهب وراحت تزورها،

سألتها وقالت لها إنتي عايزه تروحي علشان تعرفي جايب لها إيه قالت لي لا أنا عايزه أروح أذلها، قلت لها هتذلي فيها إيه خلاص، قالت لي لا أنا رايحة أفهمها إن أنا رايحة لابن جوزي، رايحة أحرق دمها شوية".

وعلى الرغم من عدم قدرة صديقتنا على فعل مثل زوجة شقيق زوجها ، فهي تدافع عنها عندما يرفض بعض الأخوة ما تفعله بعدم سماحها لزوجها بالبيات لدى الزوجة الثانية.

تقول صديقتنا: "حتى كتير خانقوها، أنا كنت قاعدة قلت لهم ده حقها، إن هي تعبت وشقيت معه من الصفر، ما تجيش بقى واحدة تخده على الجاهز، قالوا كده مش عدل ربنا، قلت لهم لا ده عدل ربنا، علشان التانية تستاهل تبقى موعظة، لها ولغيرها أما تيجي عيلة صغيرة تاخد واحد على الجاهز وتتهنى ويكتب كل ده باسمها غير لما واحدة عايشة معاه من الصفر وشايفة معاه الحلو والمر".

إنها تعبيد تأويل عدل الله كما تراه هي، فالبعض يرى أن العدل ينبغي أن يتحقق بين الزوجتين الأولى والثانية لشقيق الزوج، بأن يقتسم بينهما ليالي البيات ولكنها ترى أن العدل يتحقق في حصول الزوجة الأولى على كل ما تريد فهي التي كافحت مع الزوج ومن العدل ألا تحصل الزوجة الجديدة على حقوق مساوية للزوجة الأولى.

وفي نهاية رحلتها التي توجتها بالحصول على الطلاق، والتي تراه انتصاراً لها على الزوج، عادت لتندم على ما فعلت.

تقـول صـديقتنا: "أنا برضه أخدت عملية الطلاق دي مسألة عـند، بس رجعت دلوقت اتندمت عليه كنت أقول له طلقني، يقول لـي عمرك ما إنتي مطلقة، لو طلت السما من الأرض ما انتيش مطلقـه، ودلوقـت بقـى بتـندم عليه يعني كان اسمي على ذمته وخـلاص برضه كله يقول دي اسمها مطلقه، يعني لو رحت عند حـد ولا بتاع ، دي مطلقه، يعني أروح لها ايه دي واحدة مطلقه، أو هـي جايـة هنا ليه، دي واحدة مطلقه، كان اسمي على ذمته وخلاص"

مـا يجعلهـا تـندم على قرارها بالفرار ليس تغير الزوج أو رغبـتها فـي الحـياة معه مرة أخرى، ولكن ما يجعلها تندم هي الحـدود الاجتماعـية المفروضة على المطلقة، في حركتها وفي علاقاتها بالآخرين، فهي كانت تريد الاحتفاظ برخصة الزواج من أجـل حـرية علاقتها بالآخرين، تلك المساحة الممنوحة اجتماعياً للمـتزوجات. ورغم هذا فلم تفكر في الزواج مرة أخرى، فهي لا تـريد أن تفعـل مـع الأخريات مثلما حدث معها، حيث لم يتقدم للزواج منها سوى رجال متزوجين وأيضاً خوفاً على أولادها.

تقـول صـديقتنا: "ولادي هيتبهدلوا، أكترهم اللي بيتقدموا لي متجوزيـن، ده أنـا مرضهوش، لإني ما أقدرش اللي يتعمل فيّه أعمله في الناس".

إن تجربـتها المريـرة لم تجعلها تحقد على النساء الأخريات المـتزوجات، وتسـعى للزواج من أزواجهن، ولكن جعلتها أكثر إحساساً بالأخريات.

فـــي العمـــل، والتـــي صقلت وعيها وساهمت في تحويل تفكيرها وأولوياتها في الحياة – شيئاً آخر جعلها تتجه وجهة مختلفة.

تقول صديقتنا:

فـــي شغلي ده، كنت بساعد نفسي مادياً، فكنت باكتب أبحاث علـــى الآلة الكاتبة لدكاتره في الجامعة فكنت سريعة جداً ومنسقة ونظـــيفة، وبدأت أوسع شغلي عن طريق المكتب اللي أنا فيه ده، ومامـــا جابت لي آلة كاتبة في البيت وكنت باشتغل عليها، وكنت باشـــتغل الصـــبح، وأروح بعـــد الضهر آخد كورس إنجليزي في الجامعة الأمريكية، وكانت مزنقة معايا شوية، فكنت كمان باشتغل عند محامي بعد المكتب بالليل فكنت أخرج من البيت الصبح على المكتب وبعدين من ٤–٦ على الجامعة وبعدين مكتب المحامي من ٦–١٠ مســـاءً وكنـــت باذاكـــر في يوم الأجازه، بعدما اشتغلت، ونزلـــت مجـــال العمل اتفتحت، أصل أمي كانت قافلة عليّا، وبابا طيـــب زيادة عن اللزوم، وماما شديدة وما كانش فيه وسط، وبما أننا خمس بنات فكانت معاملتها قاسية جداً، يعني تضرب لكن مع الشغل، كنا كبرنا، وكانت الثقة فينا زادت، فكنت برجع بالليل من غير ما تعمل معايا مشاكل".

نزلـــت سوق العمل، ولم تكتف بعمل واحد، ولم تكتف بالقدر الـــذي حصـــلت علـــيه من المهارات عبر التعليم المتوسط (الآلة الكاتبة) بل حاولت أن تضيف إليها خبرة اللغة الإنجليزية، وسعت إلـــى أعمـــال أخرى خلال تقديمها للسيرة الذاتية لها في أكثر من

مكـــان لعلها تجد فرصة أفضل في العمل، ولم تجد في قسوة الأم عليها وعلى أخواتها عائقاً في الحياة، بل حاولت من خلال جديتها أن تحـــول هـــذه القسوة إلى ثقة ونجحت، فلم تنغلق أمامها فرص تجاوز الحدود الاجتماعية المفروضة على حركة الفتاة.

"أنا كنت مقدمة في كذا حتة، في البنك، في مصلحة الضرائب ووزارة المالـــية، وكـــل ما ينزل إعلان في الجورنال أقدم، وقلت أقعد في المكتب لغاية ما تجيلي حاجة من دول وطبعاً الشهادة اللي خدتهـــا مـــن الجامعة الأمريكية في كورس الإنجليزي قدمتها في C.V. بتاعتـــي في البنك، والبنك بعت لي وعملوا لي امتحان آلة كاتبة وتلكس وكان عامل زي الآلة الكاتبة، لأني ما كنتش بعرفه، لكـــن ربـــنا لما بييسر ويكون لي نصيب في حاجة، واشتغلت في البنك، وكان فيه واحد اتقدم لي واتخطبت قبل ما أشتغل في البنك، ومـــا حصلش نصيب معاه، لأنه قالي بعد ما لقيت الشغل اقعدي، قلـــت له لا، ماحدش يلاقي شغل بسهولة، وأنا عايزه أشتغل، وهو كان مهندس وأنا كان الارتباط بالنسبة لي مش مجرد بنت تتجوز وتقعـــد فـــي البيت وخلاص وانتهى الموضوع على كده، لا.. أنا عايزه أذاكر وبحب القراءة الكتيرة جداً وكنت أحب أبقى لوحدي، ومـــش كفايـــة إن خطيبي يكون كويس، أنا دايماً ما أحبش أكون ضـــعيفة، ومـــا أحبش أتجوز وأقعد في البيت، أنا أخواتي الاتنين الكـــبار، متجوزيـــن ومش متعلمين وما بيشتغلوش، وأنا شايفاهم قدامـــي مكســـور جناحهم لجوزهم ومش قادرين يتكلموا لإن كلمة الطلاق في مجتمعنا كلمة بشعة، الطلاق ده كارثة".

استمرت في التعليم والعمل حتى تعرفت على زوجها الحالي، فكيف تعرفت به ولماذا قبلت الزواج منه.

تقول صديقتنا:

"جـوازي كـان تقلـيدي، عن طريق زميلة أختي، فزميلتها تعـرف مرات خال جوزي، وكان جوزي بيدور على سكرتيرة، وكنـت سـاعتها سـايبة مكتب المحامي ومحتاجة فلوس علشان الدراسـة والمصاريف فقلت أروح، على أساس إنه شغل إضافي بعـد البنك، فأنا طموحة وفي نفس الوقت لازم الواحد يبقى عنده عـزة نفـس وما يزلش نفسه لحد، ويتعود يعتمد على نفسه، وأنا بحـب أعـتمد علـى نفسي وجريئة،وما أخافش، لأن الخوف من جوايـا ممكـن يظهر عليّا فلازم أبين للي قدامي إني مش خايفة، مفيش حد يهمني، وفي نفس الوقت الإنسان لازم مايعش ضعيف، الواحـد مـرت فـي حياته وهو صغير حاجات كتيرة، كنا مادياً ضـعاف جداً، الأب مرتبه على قده والأم بتشقى، فلازم أتعلم بقى مـا أشـتغلش الشغلانة دي، وأتجوز جوازه كويسة، المهم رحت اشـتغلت عنده وهو كان عنده سكرتيرة تيجي تعمل الشاي والقهوة لـه ولضـيوفه، قعدت وقلت له شغلي وكنت باشتغل إيه قبل كده، فقـال لي على شغلي، وعلى حكاية الشاي والقهوة، قلت له لا، أنا آسـفة، علشان عزة نفسي وكرامتي، قال لي لأ ليه للي قبلك كانوا بـيعملوا؟! قلت له أنا جايه أشتغل سكرتيرة مش ساعي، فقال لي طيـب على الأقل اعملي لي، قلت له لا ، ولا لحضرتك، قال لي

طيـب واشتغلت، وكنت اتحجبت، فأنا بحب القراءة جداً وخاصة فـي النواحـي الدينـية، وعرفت إن الحجاب لازم وشعرنا حرام وكنت مستحرمة، وبعد ما اشتغلت بشوية بدأت المعاملة تتغير كان معانـا اتنين من المحامين وساعي قاعد جنب المطبخ وكنا بنتكلم مـع بعـض، فكان كل ما يسمعني أتكلم يندە لي يطلب أي حاجة، علشـان ما أتكلمش مع المحامي لحد ما ينزلوا، وكنت بأحس إنه بيـبقى غـيران وبدأت من هنا خطوة خطوة، ومرة قعدني قدامه وقال لي إنتي مرتبطة، قلت لا، ما فيش حد في حياتك قلت له لا، قـال لـي أصل عايز أبقى حياتك، قلت له ما عنديش مانع، فقال إحنا عايزين نيجي نشرب الشاي عندكم بس عايزين نتعرف الأول قبل ما نتكلم في أي حاجة، جه هو وخاله قابل بابا وماما وبعد كده جاب والدته والأهل".

لـم تتسـم صـديقتنا بالسلبية والخنوع في مواجهة الفقر، بل اكتسـبت عـزة النفس والاعتماد على الذات والطموح، فلم ترض بـأن تعمل نفس عمل الأم، بل سعت إلى التعليم، والعمل والزواج الجيد من وجهة نظرها وجاء تعرفها بالزوج تقليدياً، فخروجها إلى التعلـيم والعمـل لم يكسرا الحدود الاجتماعية التي تشربتها عبر تنشـئتها مـن الأم عـن الفتاة المحترمة، وهي التي لا تسعى إلى الـرجل، بـل يسـعى هو إليها، ومن ثم جاء زواجها تقليدياً عن طـريق معـرفة العمـل، وهنا بعد مميز لشخصيتها يلازمها منذ الطفولـة حيث كانت تفضل الوحدة والقراءة، فالوحدة تصبح رفيق طفلـة فقـيرة لا تتاح أمامها فرص الاحتكاك الاجتماعي الواسع،

المفتوحة، وقالت لي على مصاريفها وأسلوب الدراسة، وعندنا في البـــنك الكوادر الوظيفية بالنسبة للي معاهم مؤهلات متوسطة غير اللي معاهم مؤهلات عالية فدخولي الجامعة كان علشان أرفع من مستواي الاجتماعي بالنسبة لزمايلي في البنك، وبعدين إحنا بنتقدم وبنـــتطور بســـرعة والدبلوم دلوقت حاجة قليلة جداً، وزمايلي كل واحـــد حاســـس إنه في نفسه سلطان، واللي معاهم دبلومات دول مفـــروض يبقوا مداريين ما حدش يشوفهم من العملاء فقلت لازم آخـــد جامعـــة، ونفســـي أشتغل في الودائع، فأنا بطبعي اجتماعية وبحـــب الـــتعامل مـــع العملاء فلازم جامعة، خاصة وإن فرصة الجامعة دي (المفتوحة) كانت سهلة مش هتأثر عليّا في حاجة، كل يـــوم جمعـــه كنت بروح لماما، اللي يودوني عندها الصبح أروح الجامعـــة وبالليل أقعد معاها كمان التعليم هيفرق معايا وسط أهل جوزي، كلهم متعلمين تعليم عالي، وأنا كنت متعلمة تعليم متوسط، بل لما آخد البكالوريوس، فالرؤوس تتساوى".

كـــان الدبلوم يمثل مرحلة متميزة في مرحلة ما، ولكن لم يعد لـــه مثل هذا التميز، في توقيت مغاير ومن ثم لابد لها من التكيف مـــع مقتضيات اللحظة الجديدة، فقد تعلمت في طفولتها ألا تنحني لأحد، وألا تشعر بالدونية تجاه الآخرين؛ ومن ثم لابد من مجابهة أســـباب دونيـــتها، تلـــك التي تتمثل في التعليم، فلابد من الدراسة الجامعـــية حتى تتساوى مع أسرة الزوج التعليمية، وحتى تتجاوز الإحســـاس بالدونية في درجتها الوظيفية في العمل، فالتعليم يجعل الإنسان سلطاناً في نفسه، ويحركه من مستوى إلى آخر ليس فقط

علـــى المستوى الاجتماعي، ولكن أيضاً على المستوى السلوكي، والأخلاقي.

تقول صديقتنا:

"أنـــا حاســـه إني اتغيرت كتير وفرقت معايا، وأنا في الدبلوم كانـــت مداركـــي واسعة، وكويسه، لكن الجامعة فرقت معايا في الجامعـــة، تتعاملي مع ناس جديدة متعلمة، وتشوفي أوساط تانية، حـــتى شـــكلي أنـــا كنت الأول ممكن ألبس أي حاجة، ما أهتمش بشـــكلي، بعدما دخلت الجامعة، لأ لازم أحافظ على جسمي، مش علشـــان اتجوزت أدهول لا، فرقت معايا الجامعة في ألفاظي، في تعاملـــي مع الناس وفي الذوق والعلاقات الاجتماعية، لازم الواحد يكون اجتماعي".

تنتمـــي صديقتنا إلى قيم جيل كان التعليم الجامعي مدخله إلى عوالـــم اجتماعية وثقافية مختلفة عما عايشه في حياته، فالتعليم لم يكـــن بالنســـبة لها معبراً شكلياً إلى وضع اجتماعي أفضل، ولكنه معـــبر حقيقـــي إلى تحول في القيم والتوجهات والسلوكيات. كيف اســـتطاعت صـــديقتنا التوفـــيق بيـــن العمـــل والزواج والإنجاب ومواصلة رحلة التعليم العالي؟

تقول صديقتنا:

"لما قدمت في الجامعة، كان ابني الكبير ما كملش سنة، كنت بـــروح الجامعـــة كل جمعة وآخد شريط وكتاب، وما كانش لسه

بالآخريـــن، وتصور كل منهما عن دور الرجل في الحياة الأسرية ولنبدأ بالكيفية التي يديران بها حياتهما المادية.

تقـــول صـــديقتنا: "إحنا أول ما اتجوزنا مرتبي كان لي، بعد شـــوية فيه حاجات كانت بتعمل مشاكل بينا في البيت، يعني لازم أقـــولـــه على الحاجة اللي بحبها في البيت، يعني مثلاً ما أغيرش الـــتلاجة مـــن غير ما أقول له، لو قلت هاجيب حاجة وأنا معايا فلوس يقول لا، هو طبعه ريفي شويه، ريفي على شرقي، وبعدين حليـــنا الموضوع بالتراضي فقال أنا حاسس إن كل واحد فينا في حـــتة، والـــتعامل المادي دايماً بيخسر الناس من بعضها فما بالك بـــالأزواج ؟ وأنـــا دخلي أكتر منك بكتير، ومش هطمع فيكي، ده اللـــي إنـــت بتجبـــيه في سنة بجيبه في يوم، في صفقة أو قضية واحـــدة، فهو بيشتغل مع ناس كبار وبيجيب دخل حلو فقال لي أنا مـــش طمعان فيكي، بس مجرد مشاركة أبقى عارف أنا معايا إيه وأنـــت معاكـــي إيه، وفتحنا حساب مشترك في البنك، وأي فلوس نســـحبها أقـــول له هنســـجب كذا، وهنجيب كذا، يعني هو له حق الســـحب والإيداع وأنا لي حق السحب والإيداع، وأنا مش عندي مرتـــب بـــس، كمان حوافز، ومن الحوافز دي عليّا التزامات ما أحـــبش زوجي يعرفها، مثلاً أنا بساعد والدتي كل شهر، ما أحبش إنـــه يعـــرف، مش علشان هيرفض، لا ، هو إنسان متعلم ومتدين وأفقـــه واســـع، وهو كمان بيساعد والدته، بس مش دايماً، لكن أنا أمـــي طلع عينها لحد ما ربتنا، وانا حاسه إن لها جميل عليّا فوق العـــادي، فـــي عـــز ما كنا نحتاج القرش كانت تديني دروس في

الدبلـــوم وتجيـــب لي اللبس اللي أحتاجه، علشان ما أكنش أقل من حد، يعني ما حسيتش بنقص فقلت أنا مرتبي لك، لكن حوافزي لي أرّفه بها عن نفسي ومتسألنيش عنها، أجيب بها أي حاجة، وكنت أدي ماما ولما أروح عندها نفسي عزيزة شويه، وأنا متجوزة يعنى مش المفروض أروح آكل وأشرب فلازم أبعت أجيب لحمة، فـرخة، فاكهـة، كمان إحنا متعودين نجيب لبعض هدايا حلوة في أعـياد الميلاد، وجوزي علشان فلاحين يقول إيه عيد الميلاد ده، فكنـت أجيـب لأمـي ولإخواتي من فلوسي بتاعة الحوافز اللي بحوشها، وأنا علشان بخاف دينياً شوية استشرت شيخ، وسألته هل لـو خـدت من مرتبي وأديت أمي يبقى حرام، لأن قرش جوزي داخـل على قرشي، فقال لازم تقولي لجوزك، فقلت ما أخدش من المرتب وآخد من الحوافز".

لأنهـا تعـودت على تحمل المسئولية منذ الصغر فلم تتخلى عـنها حيـنما تزوجـت، وكانت ترى أن من واجبها الإنفاق مع زوجهـا علـى المـنزل، وكذا الإنفاق على الأم، ودون أن يعلم الـزوج، حـتى لا تسبب إحراجاً للأم في نظر الزوج، وحتى لا يشـعر بأنهـا أدنى منه طبقياً. حيث تقول الزوجة: "مش عايزاه ينظر لأهلي على إنه بيساعدهم، أو إنهم محتاجين وبيديهم"، ولكن الـزوج ولأصـوله الريفية والتي تشبع بقيمها وتحدد دوراً أساسياً للـرجل وهـو الإنفـاق على الأسرة، فقد كان يرفض أن تشتري زوجـته شـيئاً مـن مالها الخاص للبيت، ولكنه قبل بصيغة أكثر شـفافية أن يعلم كل منهما دخل الآخر، أن ينفقا معاً على متطلبات

الحـياة، وهـو يعلـم علم اليقين أن دخلها لا يساوي شيئاً بالنسبة لدخلـه، وتـرك لها حرية التصرف في المبلغ الأهم وهو الحوافز التـي تتكرر طوال العام حسب طبيعة عملها، ولأن للتدين جذوراً فـي ملامح شخصيتها ولأنه جزء من تكوينها فقد استشارت شيخاً في هذا، وأشار الشيخ بالشفافية المطلقة في التعامل بين الزوجين، ولكن رغم تدينها فقد آثرت أن تحجب عن زوجها جزءاً من حقيقة إنفاقهـا فالأمر هنا يتعلق بنظرته الطبقية إلى أسرتها، فالخوف مـن أن تـنال نظـرة طبقية لا تحبها من زوجها كان أقوى من المشـورة الدينية بالشفافية المطلقة كما أن إحساسها بالجميل الذي صنعته الأم معها يجعلها تعيد تأويل المشورة الدينية بما يحفظ للأم كرامـتها، فهـي الأم التي علمتها عزة النفس وألا تشعر بالنقص تجاه أي إنسان.

ولـم يجئ اتفاقها مع الزوج على الحساب المشترك والإنفاق المشـترك مـنذ بداية الزواج، بشكل تلقائي، بل جاء بعد مشكلات مـتعددة، خاصـة أنها قد تعلمت من الأم أن المال هو سترها في الحياة وليس الزوج، وإن كانت قد اختلفت عن أمها في ذلك.

تقول صديقتنا:

"أمـي تقـول القرش في إيدك أأمن من جوزك، يمكن يسيبك ممكن يرميكي، وده الفرق بيني وبين ماما، ماما مش متعلمة، لكن أنـا متعلمة، فجوزي ده زي ماما وبابا وإخواتي ما ينفعش أتخلى عـنه، وأنا مش حاسه إنه ممكن يرميني، حتى لو سابني إيه اللي

هيحصل لي، أنا دلوقت معايا مؤهل عالي وبشتغل في بنك ومعايا أولادي، ولـــو حصل عليها لا قدر الله هبقى قاعدة في شقتي، فلو حصـــل طلاق لا قدر الله فأنا حاضنة، يعني مش هغلب، ساعتها، وممكن أشتغل بعد الضهر، وأجيب دخل أحسن من الأول، وممكن أعمل قرض آخد به شقة من بكرة فأنا حاسة إني في مركز قوي".

لأن الأم تنتمـــي إلـــى شـــريحة دنـــيا، وكانت الأسرة تعتمد بالأســـاس على عملها، وليس عمل الزوج، فلم تكن تشعر بالأمان فـــي الحـــياة، فلـــم يوفر لها الزوج هذا الإحساس، فأدركت عبر خـــبرتها أن الأمان في المال، ولكن الابنة اختلفت، ليس فقط لأنها نالت قدراً من التعليم، ولكن أيضاً لأنها تعمل في وظيفة ذات دخل عـــال، ولديهـــا شقة، أو حتى قادرة على الحصول على شقة عبر عملهـــا، ولديها أولاد فهي تشعر بالأمان أكثر من الأم، وزاد من إحساســـها بهذا الأمان طبيعة الزوج ذاته حيث تقول عنه: "حسيت إن نيـــته كويسة، لكن لو كنت حسيت عند التعامل المادي والحياة الزوجـــية غـــير كـــده، كنت فكرت كتير في كلامه عن الحساب المشترك بينا".

فالـــثقة بالزوج كانت وليدة ممارساته وأفعاله، فقد كتب الشقة باسمها وباسم الأولاد كما جاءت الثقة عبر إحساسها بالأمان والقوة فـــي قدرتهـــا علـــى تحمل الحياة بأطفالها حتى ولو بدون الزوج، فخبرتها السابقة قبل الزواج أهلتها لتحمل أعباء المسئولية.

وقد استمر لكل منهما حسابه الخاص، حتى ثلاث سنوات من الزواج، ثم اختلط حسابها وجاء الأمر عن تراض.

تقـول الزوجة: "ده كان عن تراضي، ما كانش غصب عني سـابها لـي مفـتوحة، قـال لي براحتك، وده أحسن لإن واحنا منفصـلين في الحساب، كانت مشاكلنا كتيرة جداً، وكل ما أجيب حاجة يزعق لي ويقول لي أنا طرطور قاعد في البيت".

إن الحسـاب المشـترك سـاعد الزوج على تجاوز إحساسه بالدونـية تجاه الزوجة في حال إنفاقها، وهو لا يعلم كم تنفق، أما حيـنما يعلم حجم دخلها وكم تنفق ويدرك أن الفارق لصالحه، فلا يشعر بأنها تحل محله في الإنفاق على البيت.

ويضـع الـزوجان أموالهمـا في البنك، ربما نشعر أن هذا يتناقض مع تدين صديقتنا الملموس، ولكنها تقول:

"إحـنا بنحط فلوسنا ودايع في البنك وبنآخد عليها أرباح، وده مش حرام لأن البنك بياخد الفلوس دي ويشغلها، ويسلفها للعملاء، زي مـا إحنا عملنا قرض علشان ناخد شقة فالبنك أخد مني فايدة أعلى من فايدة الوديعة، علشان مش الناس تاخد الفلوس تعمل بها وديعة وتستفيد من الفرق.

وإذا ما كان الزوجان قد اتفقا بعد خلاف على إدارة أحوالهما الماديـة، فما هو مصدر الخلاف الأكبر ؟ تقول الزوجة: "بتحصل بينا مشاكل كتيرة، بس أساسها الغيرة، فزوجي غيور جداً، لما حد بييجـي البيـت أنا ما بطلعش، يعني مثلاً صاحب له، أنا أعمل له الحاجـة في المطبخ وهو يطلع بالصينية زي الفلاحين، علماً بأني بشـتغل بره، وبتكلم في التليفونات وليا أصحاب، وبرضه حاجب صـلتي بأصـحابي في الشغل، يعني ما فيش زمايل رجالة ييجوا

البيـــت وأنا ما أروحش أجامل زمايل رجالة ، أجاملهم في الشغل بـــس ولاتلـــيفونات منهم في البيت، في الشغل بس، لأن البيت له حرمـــته، وده بيتعبني لأني بطبيعتي اجتماعية، ما ينفعش، أحتجب كـــده، ففترة الشغل هي الانطلاق عندي، وهو دلوقت بيزن علشان أسيب الشغل".

الغـــيرة هـــي المشكلة الأهم في حياتهما، على الرغم من أنها تعمـــل، وتســـاهم بقدر ما في الأعباء المادية إلا أن الزوج مازال يضـــع لهـــا حـــدوداً عليها ألا تتجاوزها مثل الخروج لمصافحة أصـــدقائه الـــرجال، أو مجاملة زملائها الرجال في العمل، وهي تشـــعر بالاختناق، فهي بحكم ظروفها الأسرية القاهرة في البداية، وعلـــى الـــرغم مـــن قسوة الأم في التربية، إلا أن مجال الحركة والاحـــتكاك كان أمامها أوسع بحكم الخروج للتعليم والعمل وبحكم الثقة التي بنتها عبر علاقتها بالأم.

وكأن هذه أول ضريبة تدفعها في رحلة صعودها لأعلى، أي صـــعودها إلى الشريحة الوسطى ذات الجذور الريفية بعد الزواج، فالزوج بحكم جذوره الريفية لم يعتد مثل هذا الظهور للمرأة.

تقول صديقتنا:

"عـــندهم فـــي الـــريف، الست ما تقعدش مع ضيوف تكون موجـــودة، هو مش شايفها حرام، لكن شايفها عيب، أنا رحت البلد عـــندهم، وهـــم عندهم البيت بسلم داخلي من جوه زي الفيلا، لما ييجـــي ضيوف يقعدوا في الدور اللي فوق، والكل يبقى تحت، ما

فـيش ست تطلع تقعد معاهم ولا يسلموا في الداخلة ولا الخارجة، يعني ما فيش اختلاط".

ولـم تكـن تلـك هي المشكلة الوحيدة، بل وصل الأمر إلى الخلاف حول عمل الزوجة ذاته، هذا العمل الذي من أجله تركت الخطيـب الأول، فمـاذا كـان رد فعلها على طلب الزوج بترك العمل، وهي الآن زوجة وأم؟

تقول صديقتنا:

"قـال لـي هعمـل وديعة بـ ١٠٠ ألف جنيه باسمك خديهم لوحـدك، وتقعدي في البيت، قلت له لا ، ولو حتى ٥٠٠ ألف ما أقـدرش أقعـد، لإن طبيعتي ما تسمحش أقعد، كمان ظروفه في الشـغل ما أقدرش أقعد لوحدي ٢٤ ساعة، ما أقدرش بعد حياتي دي كلهـا، والمـراحل اللـي مريـت بها، وولادي أنا مربياهم ومحافظة عليهم جداً ولا عمري عرضتهم للإصابة بمرض، لأني إنسـانة متعلمة وواعية ، المشكلة إنه بيغير جداً ، وما أحب على قلبه إني أكون قاعدة في البيت، ومقفول عليّا، وما أتعاملش مع حد ولا أكلـم حـد، وبعديـن قال لي يا أنا يا شغلك، فقلت له لا، ما تحطش نفسك قصاد الشغل، وبعدين أنا اللي بتعب وبمسح وبطبخ، وعملـنا مشـكلة جامدة وجبنا خاله، فمسكت العصاية من النص وقلت له آخد أجازه سنة بدون مرتب على أساس إننا لو استريحنا أقعـد، لأنه حط العقدة في المنشار يا أنا يا شغلك فحل السنة بدون مرتب ده حل وسط ، وفعلاً أخدت سنة أجازه وقطعتها بعد شهور

لأن لا أنـــا ولا هو استحملنا تعبت جداً وتعبته جداً، لأني محبوسة ومـــا أقدرش أروح لماما لوحدي، فلازم هو اللي يوديني بالعربية ومـــا أروحـــش لأختـــي لوحـــدي علشان جوزها ولا لأصحابي، اتحبست".

لـــم يكن إغراء المال بقادر على جعل صديقتنا تترك العمل، الـــذي شـــقيت من أجله كثيراً ، ولكنها في الوقت ذاته غير قادرة علـــى الاختـــيار بين العمل والزوج مثلما اختارت في بداية الحياة حيـــنما تركـــت الخطيب، فالآن هي زوجة وأم، وللزوج خصال كثيرة طيبة، والطلاق كارثة في وسطها الاجتماعي مثلما قالت من قـــبل، فاخـــتارت الحـــل الوسط، وعليها أن تقنع الزوج بما تريد، وبالفعل أكدت التجربة أن المرأة التي صنعت لها جناحين من العلم والعمـــل حيـــنما تصبح قادرة على الانطلاق، تصبح أكثر إرهاقاً للـــرجل مـــن المرأة مكسورة الجناح وهي ليست امرأة من النوع الثانـــي، لـــذا دفع الزوج ثمن عدم انطلاقها في إرهاقه اليومي بما جعله يسلم لها وعادت إلى العمل مرة أخرى.

والشـــد والجذب ما بينهما لاختلاف خلفياتهما الطبقية والريفية الحضرية كان دائماً ما ينتهي بتسليمه لها أو تسليمها له.

تقول الزوجة:

"أنـــا جـــات لي شركة بترول أشتغل فيها قال لي لا مع اني هـــاخد مرتـــب ما يقلش عن ٢٠٠٠ جنيه وأنا ساعتها كنت باخد ٤٥٠ جنـــيه فـــي البـــنك، علشان ما حدش يتحكم فيّا، ما تقدميش

تـــنازل، فالمديـــر في الشركة أو القطاع الخاص ممكن يطلب أي حاجـــة ومـــا تضـــمنيش أخلاقـــه، يعني شغلك هيكون على كف عفريت".

استســـلمت لـــرأيه لأن الأمـــر لم يكن مجرد غيرة عليها من الـــتعامل مع آخرين، ولكن يحاول أن يوفر لها مناخاً صحياً للعمل لا تخضـــع فيه لنزوات مدير فاسد مثلاً، وهذا يتفق مع قيمها، فقد كانـــت على وشك ترك العمل لديه في مكتبه الخاص قبل الزواج لأنـــه خلـــط بيـــن عملها وعمل الساعي، فما بال في حال تجاوز المدير لحدود العمل.

وحـــول الشد والجذب في محاولة كل منهما أقلمة الآخر طبقاً لعاداته وتقاليده وأفكاره، تقول صديقتنا:

"فيه حاجات نجحت فيها وحاجات فشلت فيها، بس في الغالب حاولـــت إني أكيف نفسي على طباعه علشان تستمر الحياة، يعني جيت احاول أكيفه على طباعنا لقيت حاجات صعبة، زي إيه، مثلاً هـــو كـــان مـــن الـــنوع اللي لما يسلم على ست يسلم بطراطيف صـــوابعه، كـــان يبص في الأرض، وما يبصلهاش، طباع الريف بـــأه، إن الست ما تمدش إيدها تسلم على راجل، فعلشان عندنا في مصر الستات بتمد إيدها تسلم، كان يسلم بطراطيف صوابعه، وما يقعدش في مكان فيه حريم كتير، ما يهرجش، كل ده بيعتبره عيب مش حرام، أنا بقي جرأته شويه، فالحياة في مصر غير الحياة في الأريـــاف، مـــثلاً وإحـــنا مخطوبين كان ييجي يسلم بطريقته دي، كـــانوا يتريقوا عليه، إخواتي وأولاد خالي، كمان في مصر، مثلاً

لو راح وشاف فرح ولاد ناس هاي شوية، وعادي عندهم يبوسوا بعض مع السلام، يعني مش من البق، يقول لي شوفي السفالة، فده عادي في الطبقة دي، لإن في كل طبقة أوضاع معينة تبقى عادية، أنا كنت بأشوفها حاجة عادية، لكن هو لا، دي قلة أدب وسفالة، يعني إيه ست تبوس راجل إن شاء الله لو كان ابن خالها، أنا عن نفسي كتربية قبل ما أتجوز، أصلاً ما كانش ده عندنا، وحتى أنا كنت متزمتة قوي، قبل ما أشتغل، وما كنتش بسلم على رجالة، لكن بعد ما اشتغلت، كنت بلاقي ده عادي بين بعض الناس".

على الرغم من عدم ممارستها لعادة التقبيل عند السلام، بحكم نمط تربية الأم وبحكم تدينها، إلا أنها ومع انفتاحها على عالم العمل، وعلى طبقات مختلفة في المجتمع، أدركت أن لكل فئة ممارستها الثقافية التي تعتبر عادية من وجهة نظرها واعتادت الحكم على البشر ليس باعتبار أن قيمها هي المعيار الذي تقاس عليه ممارسات الآخرين، ولكن الحكم يرتبط لديها بإدراك التفاوتات الطبقية في العادات والتقاليد، وهو الأمر الذي لم يدركه الزوج، وظل يحاكم سلوكيات وممارسات الآخرين الثقافية من منظوره هو الخاص، وظل على ممارساته في السلام التي تجعله لا ينظر حتى في وجه المرأة التي يسلم عليها، وهو الأمر الذي كان مثار سخرية إخوتها وأقاربها فالاختلافات الثقافية بين الطبقات وبين الريف والحضر هي موطن سخرية كل طرف منهما من الآخر.

تقول الصديقة:

"قلت له انت راجل مش ست، لما الست تعمل غير كده تقول قلعت برقع الحيا، لكن الراجل مهما عمل، حتى لو كانت وقاحة فاسمه راجل، ما يتعيبش، وما يبقاش محطوط تحت المنظار، زي الست تصرفاتها دايماً تحت ميكرسكوب لكن الراجل دايماً بيتغفر له كل حاجه ويتقال ده رجل".

لقد لعبت على محورين من أجل تغييره فيما يتعلق بطريقة سلامه وعلاقته بالنساء، الأول هو تنبيهه إلى سخرية الآخرين من سلوكه، وكيف يقلل هذا من شخصيته، والثاني هو أن يستفيد مما تتيحه الثقافة للرجل، فالرجل لا يعاب مهما عمل، حتى لو وصل إلى حد الوقاحة، فكل شيء مغفور له لأنه رجل، لقد استفادت صديقتنا من الثقافة الذكورية في المجتمع وما تتيحه للرجل من مساحة كبيرة في صالح تعديل الزوج مثلما تريد، ورغم أنها ترى أن الزوج في المقابل استطاع تحجيمها بعض الشيء، إلا أنها تريد الاستمرار معه تقول: "هو حبه حجمني، لكن هو متدين وأخلاقه كويسه، وعلشان كده كملت معاه، وبحاول أتجنب اللي يثيره ويعمل مشاكل، مثلاً لو بحكي حاجة في الشغل، وفيها اختلاط، بأحاول أتجنبها بالذات مع الرجال، مثلاً لو كلمت فلان في التليفون، ما أقولش إني بكلمه كتير، هيقول لي بتكلميه كتير ليه".

وقد استجاب لها الزوج في بعض التفاصيل مثل النظر في الوجه عند السلام، والتخلي عن السلام من طرف الاصابع، واستمر على رفض فكرة التقبيل عند السلام وقد اتسق هذا مع

موقفهـا، فهـي علـى الرغم من فهمها وعدم حكمها على الذين يمارسـون هـذه العادة بالسفالة، إلا أنها لا تمارسها بحكم التربية والتدين.

ونسـتكمل رحلـة صراعها وتكيفها في الحياة الزوجية تقول الزوجة:

"لما اتجوزنا، هو ما كانش عامل لنفسه حاجة، كان من النظام اللـي عايش وقته وخلاص حتى لو كان معاه قرشين، كان شايلهم وقـاعد، وما كانش عنده الطموحات اللي تخليه يعمل اللي عملناه لمـا اتجوزنا، يمكن أنا اللي ساعدته على ده، دفعته على حتة إنه يركـب عربية مع إنه كان معاه فلوس وممكن يركب عربية، وأنا اللـي دفعـته ننتقل لشقة أوسع، هو كان بيعمل إيه بالفلوس، كان يقول ما دام عندي شقة وقرشين ساتريني، أديني عايش، طموحاته مـا كانتش واسعة قوي، أنا طموحة عنه شويه، علشان أنا عشت فـي مصـر وهو عاش في الأرياف، يعني هناك ما تلاقيش عند أخواتـه غسـالة أطـباق، ما تلاقيش غسالة أوتوماتيك، مع إنهم مقتدريـن، البنـت تقعد تغسل على إيدها، وهي وراها إيه، فهناك ستات بيوت، متعلمين وقاعدين، فالأصل عندهم أن الست تقعد في البيت، ابتديت أحفز فيه، ده ما ينفعش، ده أنت في مصر، والناس هتخدك تريقة، وبتقلل من قدرك".

لعبـت الـزوجة علـى الوتـر الطبقـي ومحددات المكانة الاجتماعـية فـي المجتمع، فنمط الاستهلاك هو أحد محددات هذه المكانـة والـزوج لديه المقدرة على الإنفاق، مثلما تريد الزوجة،

ولكـــنه لـــم يعتد هذا النمط من الإنفاق في الريف ... فاستسلم لما تـــريد وانـــتقلا إلـــى شقة أكثر اتساعاً في منطقة أرقى، كما اقتنيا سيارة خاصة، واقتنيا الكثير من السلع الاستهلاكية، لقد استطاعت الـــزوجة أن تكـــيفه طبقاً لمقتضيات الحياة الحضرية ولمؤشرات الانـــتماء الطبقي إلى شريحة أعلى، ولا تعتبر الزوجة أن تحقيق هـــذا الأمر كان محض صدفة، بل كان نتاج وعي وطموح لديها، وتخطيط وتعاون بينهما.

تقول الزوجة:

"مـــا كانش صدفة جات معانا كده، فيه طموح واجتهاد، وفيه تعـــاون لأن دخلـــي إلـــى حد ما معقول، واخدين على إننا نعمل جمعـــيات، ونحـــوش، ونعرف نمسك على القرش، هو إيده سايبة عنـــي، مـــا يعرفش يحوش، لكن أنا أفكر في اللي معايا، واشوف هـــأعمل إيه وأيه يعني لو معايا ١٠٠٠ جنيه، هو يصرفهم في بند واحـــد، وأنا أفكر إزاي أجيب أكبر قدر من الحاجات بالفلوس دي بس هو ميزته، إنه صريح، وعارفة كل دخله، وما فيش شك بينا، لأنه لو بيشيل لنفسه ما كناش عملنا ولا كنا وصلنا للمراحل دي ، وأنـــا كمـــان كل حاجة أجيبها يكون عارفها، فالماديات أساس كل المشاكل بين الناس، وتعمل بينهم فجوة سواء أغنياء أو فقراء".

عمـــل الجمعـــيات كان آلية ادخار لديهما، استطاعا عبرها، وعـــبر العمل، وعبر الشفافية، في العلاقة المادية بينهما، وثقة كل مـــنهما فـــي الآخر، وأن لا يخفي عن شريكه شيئاً سواء كسبه أو

أنفقـــه، استطاعا عبر كل هذا امتلاك ما تعتبره الزوجة دليلاً على الصعود الاجتماعي.

ولكـــن للصـــعود الاجتماعي تكاليفه كما تقول الزوجة: "إحنا بنتكـــبد مصاريف كتيرة، مثلاً دفع نثريات دي أجرة بواب وإنارة عمارة وأسانسير وغسيل عربية وصيانة زرع، مثلاً لو كنت بدفع قبل ما تيجي المنطقة دي ٣٠جنيه بواب، دلوقت بدفع ١٠٠ ، كل حاجـــة هنا بنجبها بالتليفون ففاتورة التليفون زادت، بطلب السوبر ماركـــت والخضري والجزار، فالحياة هنا كلفتنا زيادة، مصاريف المـــدارس، ورحـــلات المـــدارس لما نيجي نشتري اللبس، نروح المحـــلات الغالـــية، ولازم أجيـــب اللبس الغالي، ما ننزلش العتبة والموســـكي والحتـــت الشـــعبية دي، بننزل مصر الجديدة، مدينة نصـــر، بندخل على المحلات الغالية، والنضيفة ونلبس غالي، فكل وضع بيفرض عليكي تكلفة أكتر".

هـــي تدرك أنها تحركت طبقياً، وكما أن لهذه الحركة تكلفتها مـــن أجـــل الوصـــول إليها، ومن أجل الحفاظ على ما تتطلبه من مظهـــر وإنفـــاق، فعل الجانب الآخر لها تميزها الاجتماعي، وإن كان هو تميز الشرائح الوسطى وليس العليا.

تقول صديقتنا:

"لاحظـــت كتير إن أختي بتغير مني، لأن أنا تفوقت عليها في حاجـــات كتيرة، سواء في دراسة أو جواز، وبدأت الحمد لله ربنا يدينـــي ويوسع علي واعمل، كمان أنا كل ما ربنا بيديني، كل ما

بعمـــل خير، ده بيثير غيرتها، ودايماً أهليَ والناس بيقول عني دي بتعمل وبتعمل، دي شاطرة وطموحة ودايماً اللي بيبقى عنده حاجة بيـــبقى حاسســـها مـــن جواه، فلو أنا أقل، واللي قدامي بنت ناس واخلاق وكويسة ودينها وتربيتها ما يسمحوش لها إنها تقولها لي، أنا بحسها من جوايا، وبدل ما أدخل أي مكان وأقول أنا شغالة في بـــنك ومعايا بكالوريوس تجارة غير لو معايا دبلوم، برضه بتفرق فـــي نظـــرة الناس، رغم إن الدبلوم ما كانش كاسرني، فأقول في نفســـي أنـــا عندي شقة كبيرة وعندي إيمان بربنا وثقة في نفسي، يعني ما أناش مكسورة، فلما الواحد تكون عنده شخصية كويسة ما بيحســـش بالنقص، لكن بدل ما أكدب وأقول أنا محاسبة في بنك، أقولها بقلب، كمان زوجات أخو جوزي متعلمين تعليم عالي، وهو الكبـــير وأحسنهم مركز، لازم كنت أتعلم عالي كمان هنا في الحي الجديـــد، كل الجيران هنا متعلمين تعليم عالي، اللي دكتور، واللي دكـــتور مهـــندس واللـــي واللي كلهم مستويات عالية في المركز الاجتماعـــي، وفي الدرجة العلمية، يعني لما آجي وأقعد في وضع زي ده ، وتيجـــي واحدة من الجيران تتعرف عليّا وتقول لي إنتي معاكي إيه مش هتقول بتشتغلي إيه، على أساس أنه ممكن تكوني مـــا بتشتغليش، إحنا في وسط يعتبر متوسط لا هو تحت قوي ولا فـــوق قـــوي، لا فـــي الدراسة ولا في الجوار ولا في السكن، ما أعتـــبرش إنى في مكانة قليلة لكن ما اقدرش أقول أنا في مستوى عالـــي لأنـــي لا خدت دكتوراه ولا سافرت بره ولا اطلعت على

الحـياة فيها، ولا أنا معايا فلوس كتير، أقدر أعيش حياة أعلى من اللي عايشاها دلوقت، أقدر أعمل عزايم اروح فنادق وأسهر بره".

إنهـا تـدرك تميزها العلمي والاجتماعي عن شقيقتها، والذي يسـبب غيرة الأخت، كما أن قدرتها المادية ساعدتها في مساعدة الآخريـن فـي محيطها الاجتماعي، ومن ثم اكتساب ميزة الثناء علـيها، وهـو ما يشكل رأسمالاً يفيدها في علاقتها بالأهل، كما أكسـبها التعلـيم مكانة بين أهل الزوج، وكذا بين الجيران الجدد الذيـن ينـتمون فـي الأغلـب إلى الشريحة المتعلمة في الطبقة الوسـطى، إنها لا تضطر إلى الكذب بشأن وضعيتها الاجتماعية، فـالكذب يمارسه البعض عندما يضطرون إلى التعامل مع من هم أعلـى اجتماعـياً ، وهـي تملك المقومات المادية والنفسية، التي تجعلها لا تشعر بالنقص تجاه جيرانها الجدد سواء من حيث التعليم أو مسـتوى الحـياة ، ولكن طموحها لا يقف عند هذا الحد، فهي تـتطلع إلى حياة الشرائح الأعلى والمتمثلة في المزيد من الإنفاق علـى بـنود جديدة لا تعرفها حتى الآن في حياتها مثل السفر إلى الخـارج للـنزهة والاطـلاع علـى حـياة الآخرين، والسهر ، والحفلات، والفنادق ، والعزومات.

فهـي وإن كانت تشعر بالتميز وسط أهلها ، فهي لا تمارس هذا الإحساس بالتميز عليهم، وفي هذا تقول:

"أنـا المفروض لما أكون مع أستاذة جامعة، فأنا مع شخصية متعلمة ومحترمة ممكن أطلع كلمة إنجليزي، أنا مش هقدر أتكلم ؛ كـده وسـط أمي أخواتي هيقولوا عليا متكبرة عليهم، فلازم أنزل

لوضـــعهم، وأصلاً الوضع ده كنت فيه، أنا كل ده اللي كبرته مع نفسي، وثقفت نفسي ، ويعني لما أقعد معاهم أنزل لمستواهم، يعني مـــش معـــنى كده إن مستواهم وحش ولكن أنزل لدرجة تفكيرهم، مـــثلاً ألـــبس معـــاهم جلابية عادي وشبشب مش رسمي، يعني، وكمـــان فـــي الـــبلد عند أهل جوزي، أقعد على الأرض أو على الحصـــيرة وبناكل على الطبلية وما أقدرش أقول إني بأقرف آكل مـــع حد في طبق، طيب ما أنا كنت كده مع أهلي، كلنا بناكل في طبق واحد".

علـــى الـــرغم من سعيها نحو امتلاك مظاهر التميز التي لا تشـــعرها بالضـــآلة أمـــام الآخريـــن، فهي لم تنقطع عن جذورها الشعبية، وزادها إدراك مكانتها الجديدة، الوعي بكيفية التعامل مع فـــئات اجتماعية أخرى سواء أدنى أو أعلى فلم تستخدم هذا التميز كســـبيل للتعالـــي على الأهل في المأكل والملبس والكلام، كما لم تـــتخذه ســـبيلاً للتعالي على عادات أهل الزوج الريفية في المأكل وكذا في الملبس فتقول: "لما كنت أروح البلد، كان فيه لبس معين مـــا ينفعش أنزل بيه، ما ينفعش مثلاً يكون تايير قصير وفيه فتحة لازم أكـــون مجاريـــة الجو هناك، العباية اللي أقعد بها في البيت، تكـــون مقفولـــة وبكم ورقبتي ما تكونش باينة، وما تكونش العباية قصيرة، فالوضع هناك بيفرض كده في اللبس وطريقة الحديث".

إن صـــديقتنا تخـــتلف فـــي هـــذا السياق عن بعض المنتمين للشـــرائح الوسطى، والذين صعدوا على هذه الشريحة عبر التعليم والعمـــل والزواج، في كيفية توظيفها لعناصر التميز التي اكتسبتها

عـبر هذا الصعود، فهذه العناصر زادتها ثقة بالنفس، وهي القيمة التي تربت عليها منذ الصغر وأشارت إليها بلفظ "عزة النفس". فلم يدفعها هذا الصعود إلى إنكار جذورها الفقيرة والشعبية، واختلاق تـاريخ مزيف لحياتها يتلاءم مع هذا الصعود مثلما يفعل البعض ولكـنه دعـم إحساسـها بعزة النفس، وربما كان لتدينها دور في صياغة وعيها على هذا النحو.

وكـان للتدين أشكال مختلفة منذ المراحل المبكرة في حياتها، وحتى اللحظة الراهنة، فقد أشارت سابقاً إلى قراءتها للكتب الدينية باسـتمرار، كمـا أشارت إلى استشارتها لعلماء الدين فيما يتعلق بموقفهـا مـن الإنفـاق على الأم، وربما في حديثها التالي بعض الاستفاضـة التـي توضح لنا شكل علاقتها بالدين من حيث الفكر والسلوك.

تقول صديقتنا:

"مـن ابتدائي وانا بأصلي، ومش بصلي بس الفروض، لا ده أنا عندي كمان قيام الليل وأصلي الفجر وأقرأ القرآن، وكانت ستي أم أمـي تقومنـي علشان نصلي الفجر، وبصلي ركعتين من اللي علـيّا يكونوا شفيعين لي لما أموت ولغاية دلوقت وأصلي ركعتين شـكر لله علـى كل نعمه، وركعتين قبر، وعلشان ستي ما كانتش بـتعرف تقرأ، كنت أقرأ لها القرآن، فأنا الأصل من جوايا متدين، وبخـاف من ربنا، وما أعملش حاجة أحس فيها حرمانية، فالشغل فـرض عليّا لبس معين، ولازم مكياج ولازم أعمل شعري، فأول

مـــا اشـــتغلت كنت من غير حجاب وبلبس حلقان وقصير وجينز، فلمـــا لبســـت الحجاب، كان حد قالي ما ينفعش، ما نلبسش طرحة كبـــيرة قوي علشان لما عميل بيجي، فقلت أنا هلبسه بس بطريقة شـــيك مـــا يعتبرش خمار، يعني هلبس طرحة عادية بس طويلة شـــويه، وتـــتلف كده وتنزل على الصدر يعني لبس خروج شيك قوي".

ارتـــدت الحجـــاب لأنه فرض كما ترى، وهي تخاف مخالفة الفـــروض الدينـــية، ولأن متطلـــبات العمل لا تسمح لها بالخمار الطويـــل، فقد رأت الحل في الحجاب الذي تسميه بالشياكة، والذي يتسم مع وضعها الطبقي الجديد، وتقول عن الحجاب:

"أنا اتحجبت قبل ما أتجوز، وكل اللي حواليا هاجموني فترة، وقـــالوا لـــي إنتـــي مـــالك عملتـــي كده ليه، شكلك وحش، مش هتـــتجوزي، لكـــن والله العظـــيم كـــان بيجيلي تلات عرسان في الأســـبوع، هـــو الحجاب بيجيب الرجالة زيادة،ومرة جوزي قالي بصـــراحة إنتي لو ما كنتيش محجبة ما كنتش خدتك، إني استحالة كنت آخد واحدة مش محجبة".

فهي دائماً تبحث عن حلول وسطية لما يعترضها من مشاكل، وخاصـــة إذا كانـــت ذات بعـــد ديني مثلما رأينا من قبل في حالة الإنفـــاق على الأم، ونتابع معها موقفها من قضايا ذات بعد ديني، تقول صديقتنا:

"مـــثلاً الأكـــل بالشوكة والسكينة المفروض الشوكة في الأيد الشـــمال، والرســـول ماكانش يستخدم إيده الشمال خالص إلا في

الحمام بس، فكل حاجة لازم باليمين ما عدا اللي فيها نجاسة، لكن لما الناس هيبصوا واحنا بناكل بايدينا أو بالشوكة في الإيد اليمين، مش هيقولوا دول متدينين متخمرين، هيقولوا، دول متخلفين، مش عارفين ياكلوا، فجوزي ممكن أدام الناس ياكل بالشوكة والسكين ومش مشكلة، مع إنه عارف جواه إنه حرام ، لكن أنا ما يفرقش معايا، باكل باليمين، ولو اضطريت أغمس هغمس، فأنا جريئة عنه، يعني ما دام مقتنعة إن ده حرام ما أجيش قدام الناس وأعمله، وما يشغلنيش الناس لو قالوا عليّا متخلفة، أنا لازم أجاري الوضع اللي أنا فيه صحيح، لكن بعمل ده بالشكل اللي يرضيني أنا مش يرضي الناس".

على الرغم من أن الآخرين حاضرون دوماً في وعيها وفي إحساسها ، ورغبتها في التميز وفي كفاحها من أجل هذا التميز، إلا أننا نراها هنا وقد بدت متخلية عن تأثير هذا الوجود للآخرين، ربما لأنها اكتسبت المزيد من الثقة بالنفس في مواجهة المجتمع بعد رحلة صعودها، وربما لأن الأمر يتعلق باعتقاد ديني تراه أقوى من الاهتمام بمجاراة الآخرين، وربما لأن عدم الالتزام بهذا السلوك في ظل حضور زوج ملتزم به لا يقلل من الصورة الاجتماعية التي تنشدها.

تقول الصديقة:

"أنا مش متزمتة قوي بتفرج على التلفزيون ما عدا القنوات الأوروبية، لسه ما وصلتش إني أحرم نفسي من الفرجة، فيه

حاجـــات أنا ما قريتش فيها، وبالتالي ما قطعتش فيها بالحرمانية، مثلاً لما سمعت فتوى عن الاقتراض من البنوك وإنها حرام، جبت المصـــحف وجبـــت فقـــه السنة، وطلعت كل ما يتعلق بالقروض وجبـــت كـــل الأحاديث وعرفت أنها ربا ربا، أنا وجوزي اقتنعنا بأنها حرام،لكن هو قال لي إنت عارفة إن فوائد البنوك حرام، بس المفـــروض إننا بنمشي تبع المفتي بتاعنا، هو اللي بيوجهنا، فقلت له عن المفتي يوم يفر المرء من أمه وابيه مش هنقول إنه قال لنا، قـــال لي الأصل فينا إن هو بيشرع لينا، فالمفروض نسأل في دار الإفـــتاء، والمفتـــي الســـابق قـــال إنه حرام فشالوه لما حسوا إنه هيضـــرب اقتصـــاد البلد، وأنا قبل كده اشتريت الشقة بتاعتنا دي بقـــرض، لكـــن ما كنتش أعرف إنه حرام لكن أنا دلوقت عرفت فأجيـــبه منيـــن علشان أسدده؟ المفروض ما أخدش قروض تاني وأعـــيش على قد اللي معانا، يعني لو كنا فكرنا إننا نشغل الفلوس اللـــي كانت معانا في التجارة كان أحسن، فالله أحل التجارة وحرم الـــربا، والمفـــروض آخـــر حاجـــة وصلنا ليها إننا نسأل في دار الإفتاء، ويعني لسه ما قطعناش فيها".

إنهـــا أزمـــات الشرائح الوسطى بسبب رغبتها في الحصول علـــى كـــل شيء في الدنيا والآخرة، والرغبة في الحصول على فوائد الاقتصاد الحديث، والرغبة في الحصول على رضا الله فيما يفعـــل المـــرء، لقد صعدت وظيفياً في البنك، وأتاح لها هذا الأمر الحصـــول علـــى قـــرض مـــن أجل شراء شقة فاخرة بكثير من التيسيرات ولكنها الآن لا يمكنها أن تتراجع عن هذه المزايا، وفي

الوقــت ذاته، ترى ومن خلال قراءاتها أن فوائد البنوك التي تضع فــيها مدخراتها هي وزوجها حرام، فماذا تفعل حتى لو عرفت أن ما فعلته كان حراماً، هي لن تتنازل عن الشقة الأفخم، ولن تتنازل عن الوظيفة، ولكنها ستكف عن الاقتراض فقط.

وهي ترى أن البعض يمكن أن يبتزها من خلال تدينها.

فتقول:

"لما جوزي حاول يمنعني أروح عند أختي لوحدي، وقال لي لازم تــاخدي أمــك وأختك التانية ما دام جوزها هناك، يا إما ما تروحيش لوحدك، دي حاجة عملت مشكلة بينا، فرحت قعدت عند أمــي ومــا رجعتش إلا لما جاب لي عمامي وخلاني وألب الدنيا هناك وناس من البلد علشان يصالحني، وهم عرفوا من أين تؤكل الكتف، فجولي من الناحية الدينية بآه وإن المفروض تسمعي كلام جــوزك، وتطيعيه، وإن المرأة ما تخرجش إلا بإذن جوزها، وده فعــلاً صحيح، ففي حديث عن الرسول بيقول كده، المفروض ما أخــرجش من غير إذن جوزي، فأنا عاوزه أروح، ومش عاوزه أروح غصب عنه، ممكن أروح غصب عنه ومن وراه وقلت لهم كــده ومش هغلب، مش هيعرف لو رحتها لما يوصلني عن ماما ولــو طلبنــي بالتليفون يقولوا في السوق، نايمة، بتصلي، بس أنا مش عاوزه أعمل حاجة من وراه، من هنا لهنا وكل واحد بكلمة_ وصــلنا لحــل وسط، إني أروح مع إخواتي، وفضلنا كده واحدة واحــدة لحد ما بقيت أروح لوحدي وأقول له معايا ماما، ما دام ما

بعملش حاجة حرام، والمفروض إني ما أعملش حاجة أتحاسب بها عـند ربنا، وما بعملش حاجة غلط مش خوف منه، لكن من ربنا، ولمـا أروح لأختـي لوحدي جوزها هيعمل لي إيه، يعني لو ما لقيـتهاش مـش هدخـل، علشـان نقول ما اجتمع اثنين إلا وكان ثالثهما".

أشياء كثيرة قد تبدو متناقضة تتجاور في وعيها خاصة عندما يـتعلق الأمـر بقضية دينية، فهي ترى أن الأهل يبتزونها دينياً، ورغـم ذلـك ترضـخ لهـذا الابتزاز، ولكنها ترضخ بطريقتها الخاصـة، وهو ما يتجلى في الوصول إلى حل وسط في البداية، ثـم تتجاوزه إلى ما تريد فعله دون علم الزوج، وتجد تبريرها في أن الخـوف من الله هو مرجعيتها الأساسية وفي الوقت ذاته لديها اعـتقاد ديني بضرورة طاعة الزوج، إنها تحكم عقلها فيما تفعل، ولكـنها تخشى مناقشة الأمور الدينية بثقة، فهي تحب زوجها، ولا يجمعهـا بـزوج الشـقيقة شـيء، وهـي حريصة على الحدود الاجتماعـية المرسومة للمرأة، حتى ولو شكلياً، ولكنها في الوقت ذاته مقتنعة بأنه ما رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما.

ولا تفكـر، وهـي التي امتلكت قدراً من العقلانية في مناقشة أمور زواجها وإدارة أحوالها المادية، وتعليمها وعملها لحظة فيما يـربط هذيـن الاثنين معاً حتى يكون الشيطان ثالثهما، وهل من المنطقـي فـي ظل كل هذه الملابسات أن يحدث بينها وبين زوج شقيقتها شيء خاطئ؟

ولكنها ترضخ ظاهرياً وأمام الأهل لطاعة الزوج، ولكن فعلياً تتجاوز هذه الطاعة، مادامت أنها لا تفعل كما تقول خطأ ولا تسعى لإقناع زوجها بما تراه، ولكنها تكتفي بألا يعلم إلا ما يرضيه.

وتبقى لنا قضية أخرى في سيرة صديقتنا، وهو ما يتعلق بعلاقتها الحميمة مع الزوج، فتتدخل العادات والتقاليد والدين والتربية في تشكيل هذه العلاقة، ولنر الآن كيف تشكلت هذه العلاقة، وما هي صورتها الراهنة.

تقول صديقتنا:

"أنا واحدة من الناس متجوزة بقى لي تسع سنين يعني استحالة لو هموت أطلب منه الحاجة دي، أولاً: مهما كانت درجة العلاقة بيني وبين جوزي بيبقى فيه قدر من الحياء، لأن الحاجات دي أصلها مكشوفة قوي، وفيها قدر من الحياء، ما تطلبش بالسهولة دي، وإن كانت متواجدة في الست وحساها أو رغبة عندها عايزاها في لحظة، مثلاً بعدت عن جوزها فترة، برضه ما تقدرش تطلبها منه، ما تقدرش ما تجيش كده زي ما هو ممكن يقول، يعني ممكن تتدلل عليه وتهزر معاه بشكل يحس هو أنها عايزه حاجة، ما يقولهاش بس يحسها ويحققها لها طبعاً من غير ما تبقى صراحة، يعني أنا أول ما شفت جوزي ده وعجبني، اتمنيت انه يتقدم لي، لكن ما أقدرش أقول له اتجوزني، لا حيائي ولا ديني، ولا أنا كست ولا تربيتنا تسمح لي بإني أطلبها كده،

حـــتى لو قلنا ديموقراطية وحرية وكلام من ده، فده بيقلل من قدر الســـت، لأنها تعتبر فارضة نفسها لأنها مش مطلوبة، دايماً يقولوا الســـت يـــتخاف علـــيها ، وتغطـــي عورتهـــا، ومحطوطة تحت ميكروسكوب، لأنها هي مصدر طلب دايماً لأي راجل، البنت هي اللي بتتعاكس في الشارع مش الولد، فالراجل يتودد للست حتى لو مـــراته، وفـــيه ستات بيعتبروا مطالب الرجالة دي مصدر ضغط علـــيهم، ويعمل لها اللي هي عايزاه في سبيل المطلب ده، وانا ما بعملـــش كده من باب الحرمانية، يعني الزوجة اللي جوزها يطلبها وتـــرفض يعني بتلعنها الملايكة حتى تصبح، يعني لازم تلبي كل طلباته حتى لو ما عندهاش استعداد، حتى لو مش عايزه، يعني لو مضـــايقة نفسياً وجسمانياً تعبانة مليش مزاج، ممكن جداً أقول له بـــزوق ولطـــف وطريقة ما تتعبهوش، فالراجل أول ما بتقوم في دماغـــه بيـــبقى كـــل جسمه منتهي ، يعني ممكن يتعب، يعني لو رفضـــت ما تنيمهوش زعلان، غضبان، تهديه بشكل يساعده على إنه يهدي نفسه".

ناضـــلت مـــن أجـــل استكمال تعليمها، وناضلت في عملها، وتركـــت خطيباً لها في البداية خيرها بينه وبين العمل، ولم تحتمل رغـــبة زوجهـــا فـــي ترك العمل، وأصرت على زيارة شقيقتها بمفـــردها، دون علـــم الزوج، كافحت من أجل إكساب الأسرة كل مظاهر التميز الطبقي، واشتركت مع الزوج في الإنفاق، حتى ولو بقدر أقل منه ، واعتبرت أن الشفافية في علاقتها المادية به إحدى مـــزايا زواجها، كل هذه الرحلة لم تجعلها تختلف عن أية فتاة، لم

تمـــر بكل هذه الخبرة ن عند علاقتها الحميمة بالزوج، فهي ترى أن طلب هذه العلاقة هو حق للزوج فقط، وأن الزوجة حين تطلب ذلك، فهو يقلل من قدرها، وأن حياءها يمنعها حتى ولو أرادت... ربما أدت مراقبة الأم لسلوك بناتها في الطفولة والشباب إلى خلق هـــذا الإحســـاس داخلهن، وربما ما راكمته في وعيها عن صورة الفتاة المحترمة التي لا تسعى للرجل، بل هو الذي يسعى إليها، قد يكـــون إذاً دور الأم فـــي التنشـــئة، وربما لأن انشغالها بالصعود والتمـــيز الطبقـــي ســـيطر على مشاعرها وعواطفها، وربما كان لعملـــية الطهـــارة التي تعرضت لها وهي صبية صغيرة دور في هذا... وربما كان كل هذا مجتمعاً.

تقول الصديقة:

"أنـــا اطاهـــرت في سنة رابعة أو خامسة ابتدائي، حاجة زي كـــده، وكانت جرح للمشاعر والجسد وقلة قيمة ماتنسهاش عمرك طبعاً، وراجل اللي بيطاهر وبدون بنج، يعني يغمى عليّا، من شدة الألـــم ودي عملـــية بتقلل من الشهوة، ما تخليهاش زايدة مع كبر السن".

إن ســـيرة صـــديقتنا هـــذه تدفعنا إلى إعادة طرح أسئلة تبدو تقلـــيدية، لماذا لم تختلف هذه الفتاة في علاقتها الحميمة مع الزوج عن علاقة أمها بأبيها، على الرغم من اختلافها عن الأم في أشياء أخـــرى كثيرة، لماذا ظلت هذه المنطقة ثابتة لا يمسها التغيير لدى فـــتاة عاشت رحلة حياة ثرية في العمل والتعليم والصعود الطبقي؟

هــل لأن التعلــيم الذي نتلقاه في المؤسسات التعليمية المختلفة لا يلقنــنا ســوى ما تلقنه لنا العادات والتقاليد عبر مؤسسات التنشئة التقليدية مثل الأسرة.

(ف)

فــتاة قاهــرية تقطن أحد الأحياء الشعبية يبيع والدها الجاز، والأم لا تعمل، فتاة وحيدة بين خمسة أشقاء ذكور، لم يستكمل أي منهم تعليمه، تسربوا من المدارس في مراحل مختلفة، هي الوحيدة التي استكملت تعليمها، وذلك لاتسامها بالطموح الذي جعلها تضع عمة لها في موضع المثل الأعلى، وكانت هذه العمة متعلمة، كما كان للفتاة أبناء عمومة متعلمون.

تقول الفتاة:

"أنــا كان ليه هدف: عمتي، وعمتي دي كانت متعلمة وكنت بأشوف أولاد أعمامي اللي هم صغيرين ولسه ما طلعوش، يا ترى هيــبقوا إيــه، يعنــي عيال أعمامي الصغيرين البنات اشمعنى هم هيطلعوا يبقوا أحسن مني، ولما كانت أمي تهددني وتقول لي مش هوديكــي المدرســة تانــي، فكنت أبص للناس اللي هم إيه، اللي حوالــيه اللــي اتعلموا وبقوا كويسين، وقلت حتى لو خدت دبلوم تجــارة المهــم يبقى معايا شهادة وخلاص، آه يعني اتعلمت، كنت عايزه أدرس في المعهد بس الفرصة ما جتليش".

تتسم صديقتنا بالحس الاجتماعي المرهف، أدركت من النظر حولهـــا أن قيمة البشر تكمن في تعليمهم، وهي إحدى قيم المجتمع التي انتابها التغير الآن، فلم تعد تتحدد قيمة المرء بتعليمه بقدر ما يملـــك مـــن مال، وربما هو ما أدركته صديقتنا في مرحلة تالية، ونواصـــل الآن رحلـــتها ما بين أفراد أسرتها حتى نصل بها إلى قرارها بالزواج من رجل عربي زواجاً عرفياً.

تقول عن الأم والأب:

"بصـــراحة أنـــا أبويا ما كانش يخلي نفسنا في حاجة إلا لما يجيـــبها لنا، بس يعني إيه من النوع اللي كان عصبي شويه، يعني لمـــا كان أي واحد يعمل أي حاجة، يمسكه يضربه ضرب فظيع، يعنـــي أنـــا في يوم لاقيته بيضرب أخ من أخواتي، مش أنا اللي بنضـــرب بس عيطت عليه، حسيت إن مافيش في قلبه رحمة، أنا مـــا كنتش بنضرب كتير، يمكن أمي كانت متولية ضربي لأن هي كانـــت قويـــة، وكانت أمي معايا شديدة جداً رغم إني كنت البنت الوحـــيدة، مثلاً لما أعمل أي حاجة غلط، مثلاً لو رحت المدرسة وتأخرت أتحاسب، ولو قالت لي ما تلعبيش مع البنات دول ولعبت معاهم من وراها وشافتني، كانت تستحلف أمي".

نشـــأت صديقتنا في أسرة فقيرة، ويبدو أن الفقر في كثير من الأحـــيان يولد قسوة الأبوين، فعاشت مع أب يحبهم ويسعى لتوفير كـــل مـــا يحتاجونه بقدر استطاعته، ولكنه كان يقسو عليهم بشدة، والأم تتســـم بالقسوة خاصة مع الفتاة، وتأرجح تربية الفتاة ما بين

الحـــنان والقســـوة، خلـــق داخلها نفس آليات التعامل مع أشقائها، فأعادت عبر تعاملها معهم نفس ما فعلته الأم معها.

تقول:

"أنـــا اللي كنت بتحكم في إخواتي، واحد اتأخر أسأله اتأخرت لـــيه، كنـــت فيـــن، يمكن أنا أكون موجودة في البيت زي ما أمي تكـــون موجوة وأكتر يعني، وما كانوش يردوا علي بصراحة، هم كـــانو يحترمونـــي جداً ، صحيح أنا مش كبيرة ، فارق السن بيننا مـــش كبـــير، لكنهم كانوا بيحترموني لأني ما كنتش بعمل حاجة غلط، ولو كانوا عارفين إني باعمل حاجة غلط كانوا اتهوروا علي مـــثلاً، وكـــان أمي وأبويا مديني وضع أكبر في البيت، أنا اللي اتوليـــت تربـــية إخواتي، كنت لما امسك حد من إخواتي أضربه، كانـــت أمـــي وأبويـــا مـــا يقولـــوش ضربته ليه، إخواتي طلعوا يحترموني ويخافوا مني وفي نفس الوقت مش قاسية عليهم، حنينة علـــيهم، يعني ولما واحد منهم يتعب ولا حاجة أزعل عليهم قوى، ولما أمي وأبويا يكلموا معاهم أنا أدافع عنهم".

علاقة مركبة مع الأب والأم والأخوة، تتدخل فيها القسوة مع الإحساس بالمسئولية مع الحنان، علاقة تلعب الفتاة فيها دوراً غير مـــألوف بالنســـبة للأخـــوة الذكور، تبرر الفتاة طاعة إخوتها لها وسيطرتها عليهم بأن هذا مرده عدم ارتكاب أخطاء والأخطاء في هـــذه المـــنطقة الشـــعبية ترتـــبط بالسمعة، والسمعة تتشكل حول علاقات الجنسين.

تقول صديقتنا:

"إحـنا الـناس عندنا منطقة شعبية ، وأي بنت بتعمل حاجة، يقولـوا آه، دي فيها، دي عليها، أنا عمري ما قابلت حد، وعمري مـا كلمـت حد، كان حتى حد يكلمني وأنا ماشية في الشارع ما أكلمـوش، بخـاف إنه حد يشوفني، ولو حد كان ماشي جنبي، لا يمـت لي بأي صلة ولا أعرفه، بس تصادف إنه ماشي من جنبي كده يعني، أحسن حد يقول ده ماشي معايا، أو أبطأ خطوتي وكده، لدرجـة إن أبويـا وأخواتـي أما يقابلوني ما أكلمهمش، وده من شخصـيتي، أخوالـي ، جيرانـي، أي حد، أعمل نفسي إني مش شايفاهم".

لقـد فرضت على نفسها وعلى حركتها ما أدركت أنه يوجب الاحـترام فـي المنطقة الشعبية، والذي لا يعرضها للقيل والقال، وهـذا لـم يـأت من فراغ، فقد فرضت عليها الأم هذه القيود منذ الصـغر، وربما كانت هذه القيود والتحكمات أحد دوافعها للزواج من رجل عربي.

تقول صديقتنا:

"أنـا حسـيت إنـي محكومة زيادة عن اللزوم، إن رحت أي مشـوار اتأخـرت لـيه، وعملتـي إيـه، وكان نفسي أهرب من التحكمات".

فرضت عليها هذه القيود منذ الصغر، وتحولت إلى جزء من كيانها وشخصيتها، حتى لو مارست هي الرقابة على ذاتها وعلى

حركتها، ولكنها اختنقت من هذه التحكمات، وكان قرار الزواج هو وسيلتها للهروب من عائلتها ورغم أن العمل جعلها تتخفف قليلاً من تحكمات وقيود الأم ، إلا أنه لم يحقق لها أحلامها، فتقول عن رحلة عملها:

"لما كبرت واشتغلت، المعاملة اتغيرت ما كانش فيه ضرب ولا حاجة من ده، لو رجعت من الشغل أو مثلاً اتأخرت ربع ساعة يسألوني إتأخرتي ليه، أقول لها مثلاً حصل ظرف، ما كانتش أمي تتكلم معايا، وأول حاجة اشتغلت في مصنع تعبئة، المصنع كان بيعبي السكر والمكرونة، والرز، ويعني أي حاجة جافة يبيعها، كنت الأول شغالة عاملة وبعد كده أما فهمت الشغل كنت في نفس الوقت بأدير البنات، يعني صاحب المصنع كان سايب لي الشغل، وكان بييجي آخر النهار، ويسألني عملتوا إيه، عملتوا كام طن، يعني يستلم مني الشغل ويسلمني الشغل لكن كنت بشتغل معاهم برضه بإيدي، كنا بنعبي بإيدينا الأول وفيه مكنة صغيرة كده، كنا بنقفل عليها، كانت مهيتي في الأول ١٢٠ جنيه وبعد كده بقت ١٨٠ جنيه، وبعد كده لقيت الشغل تاعبني، أشيل شكاير ٥٠ كيلو، وواقفة طول النهار من الساعة ٨ لحد الساعة ٥، واقفين على رجلينا، فطبعاً كل ده فيما بعد هيأثر، لطول الوقت هيأثر على أعصابي، وعلى رجليه، وكتر الوقفة بتعمل دوالي في الرجل، وأنا كنت بأعمل جمعية من الفلوس بتاعتي، اشتغلت في الشغلة دي سنتين ونص، وبعدين قعدت، وكانت أمي بتآخد كل الفلوس".

العمـــل اليدوي الشاق، والوقوف لساعات طويلة، والمساعدة مـــن خلال الجمعيات في الإنفاق على الأسرة، كل هذا لم يخلصها ممـــا يستوجب على الفتاة القيام به من أعمال منزلية مما ضاعف من متاعبها.

فتقول:

"أنـــا تعبت من كتر الوقوف طول النهار، والشيل الكتير كان بـــيأثر علـــى الإيديـــن والرجلين وبنصحى بدري وكنت في نفس الوقـــت بـــروح البيـــت علشان خاطر أنا البنت الوحيدة والأم ما تقـــدرش تعمل حاجة، كنت بروح أكنس وأمسح وأغسل وأنضف واطـــبخ، وكنت قايمة بشغل البيت كله، فكنت بتخانق مع صاحب الشغل، علشان يروحني بدري، عشان ألحق أعمل الحاجة اللي في البيت".

بحثت عن الراحة من خلال التوقف عن العمل، ربما وجدتها ولكنها ملتها سريعاً. فتقول:

"قعـــدت في البيت زهقت، كنت بعمل شغل البيت أول النهار، يعنـــي أخلـــص شغل البيت كله، ومألاقيش حاجة أعملها بعد كده، ورجعـــت اشـــتغلت تاني في شغل جابته لي واحدة صاحبتي في مكتـــب تصـــوير، قعدت فيه ١٥ أو ٢٠ يوم وبعدين سبته علشان الجواز".

كـــان حلمها أن تستكمل تعليمها، ولكن الفقر وقف كالمرصاد لهـــا، فاشـــتغلت فأرهقها العمل بدرجة كبيرة، ولم تستفد شيئاً من

مرتـــبها، وفي الوقت ذاته لم يرحمها من الأعباء المنزلية، فعادت للمـــنزل، ولأنهـــا طموحة، وتريد استثمار الوقت فيما يفيد، عادت للعمل مرة أخرى، فلم يحقق لها شيئاً، فكان قرار الزواج، والقرار لـــم يكن باعثه الفقر، والعمل المضني، والتحكمات الأسرية، ولكن أيضـــاً الإحساس بالمسئولية تجاه العائلة ــ فكان القرار من وجهة نظرها إنقاذاً لنفسها وتضحية من أجل عائلتها.

وقد شكلت كل هذه العوامل دوافعها للزواج فتقول:

"إخواتـــي بيشـــتغلوا آه لكن سلبيين، هم بيقبضوا يوم السبت ييجي يوم الحد ما يكونش معاهم فلوس خالص، بيصرفوا فلوسهم فـــي حاجات كده، مثلاً عندي واحد فيهم ممكن يضيع فلوسه كلها علشان جزمة، شكلها حلو، وتكون غالية ويروح يقعد في أي مكان شـــيك وشكله حلو، يعني غاوي منظره شويه، بأقعد وأقول لهم يا ابنـــي اللي بتعمله ده غلط، صحيح ما حدش قال لك إمشي وحش، بـــس فى حاجات متواضعة،حاجات شكلها حلو بس رخيصة شويه وهـــو طـــبعاً اللـــي فـــي دماغهم وإخواتي الصغيرين لسه طبعاً صـــغيرين يعنـــي كـــان مفروض اللي بيشتغلوا يحوشوا، بعد كده هيقولوا يا ريتنا عملنا حسابنا واحنا صغيرين، نعم أنا مش الكبيرة بس حاسه نفسي ولية أمرهم، عايزاهم يبقوا أحسن ناس، عايزاهم كويســـين، زي الناس اللي أنا بأشوفهم عايزاهم يبقوا زيهم، حاسة إن أمي مدلعاهم قوي".

فـــتاة تكسر الكثير مما هو شائع اجتماعياً عن الفتيات، إنها لا تســـعى إلـــى الإنفـــاق من أجل المظهر الاجتماعي، إنها تنفق في

حدود إمكاناتها، تدرك معنى الادخار من أجل المستقبل، ومن أجل أن تكتسب عائلتها وضعاً اجتماعياً أفضل بين الآخرين، ولكن الأم التي تدلل الأبناء، ولا تدلل الفتاة، والأبناء الذين لا يكترثون سوى بالمظهر الاجتماعي التعويضي، والأب السلبي أمام كل هذا، يجعل الفتاة تشعر بالمسئولية تجاه عائلتها، ولم يكن أمامها لتحقيق كل هذا سوى الزواج، ولكن، في الوقت ذاته كانت لديها صورة لفتى الأحلام، فتقول:

"كان أملي في فتى الأحلام إن هو يكون متدين، وشكله حلو ولما البنات يشوفوه أو أي حد يشوفه، يقولوا إيه خطيبك حلو، ويكون لبسه شيك، ويكون متعلم، وبيشتغل شغل كويس، ويكون في نفس الوقت مستريح مادياً، ويكون بيحبني، وبحبه لدرجة إني ما أقدرش أستغنى عنه، بحيث اليوم اللي يبعد عني فيه أحس إن اليوم ده سنة، والساعة اللي يغيب فيها أحس كأنها شهور، كان نفسي بصراحة يكون عندي الإحساس ده".

أحلامها في الحبيب رومانسية للغاية، وحساباتها للزواج عقلانية، في ضوء ظروفها الأسرية، فكيف تم التعارف بالزوج، وهل حقق لها أحلامها الرومانسية، وطموحاتها وطموحات عائلتها المادية، نترك لها المجال طويلاً الآن لتقص لنا في البداية كيف تم التعارف على الزوج، وكيف كان زواجها، وماذا فعل أهلها وهل عاشت معه تجربة رومانسية حالمة مثلما كانت تريد.

تقول صديقتنا:

"أتعرفت عليه عن طريق خالي وواحد صاحبه، كان صاحب خالي، بيشتغل في مكتب سفريات، بيجيب سفريات للعمال، وكمان شـــقق وعرايس للعرب، وكان لجوزي اللي اتجوزته ده تعامل هو وأقاربـــه مع المكتب من زمان وطلب إنه يتجوز، فصاحب خالي قال لخالي، أنا عندي عريس لبنت أختك، وخالي راح لوالدي وقال له دول ناس كويسين وأنا عارفهم وواثق فيهم، طبعاً أمي عرضت الأمر عليّا، قلت لهم لو عجبني خلاص، ولو ما عجبنيش أرفضه، قـــالوا خلاص لو ما عجبكيش خلاص مش مشكلة، طبعاً لما شفته لقيـــته وسيم وشكله حلو، هو في حدود ٤٨ أو ٤٥ سنة بس شكله ما يديش السن ده أبداً، يعني شكله في التلاتينات، بعدها سألت هو مـــتجوز، قالوا لا مش متجوز، لما عجبني شكله وعرفت إنه مش مـــتجوز، وافقت، واللي خلاني وافقت عليه بالأكتر إنهم قالوا إنه هـــيعمل لي بيت خاص بي لوحدي في بلده بعيد عن أمه وأخواته، كمـــان كنـــت عايزه أروح بلده عشان أبعد عن أهلي، التصرفات اللـــي كانوا بيعملوها معايا كانت مخلياني أبعد عنهم، وما كانوش شايلين أي مسئولية".

هـــيأت الظروف الاجتماعية صديقتنا لقبول فكرة الزواج من عربـــي متيسر، وساعدت العوامل الشكلية (شكل العريس، والذي كان أحد معايير الاختيار لها) على الموافقة على الزوج، بالإضافة لحلمهـــا في الابتعاد عن الأهل، وتحمل مسئوليتهم في الوقت ذاته،

والحلـم بمنزل مستقل، وكان التعارف عبر أحد مكاتب السفريات المنتشـرة فـي مجتمعـنا المصري، والتي تقوم بمساعدة بعض المحامين على عقد صفقات زواج، من هذا النوع.

تقول صديقتنا:

"الجوازة بتعتي تمت في ٥ أيام، يوم جه أتعرف علينا، وتاني يـوم ما جاش، تالت يوم جه لبسني دبلة، وكتب الكتاب اليوم اللي بعـده علـى طـول، خامس يوم الدخلة أنا وإخواتي وأمى وأبويا وأخوالـي كـنا حاضرين كتابة العقد، وكتبه واحد محامي، على أساس إن العقد يتسجل بعد كده في الشهر العقاري، وأنا مابصتش علـى حاجـة وهـم بيكتبوا العقد يعني لما أخوالي قاعدين وأهلي وإخواتي كلهم، حابص على إيه كلهم بيعرفوا يقروا ويكتبوا، يعني مـا بصـتش على حاجة، وما شفتش كتبوا إيه، يعني أنا واضعة الـثقة فيهم، مش معقولة أهلي هيضروني، وأنا مضيت على العقد مـن غـير ما أبص، وابن خالي وأخويا الكبير، وعلى العقد دفع العريس مهر في نفس اليوم عشر تلاف جنيه، خدوها أمي وأبويا".

وضعت ثقتها في الأهل، من الممكن أن يخدعها الأهل وقد لا يكـون الأهـل على دراية بما فعله المحامي، وهو الجهل بكيفية توثـيق الزواج من غير المصريين، وهو ما يشكل مأساة لصديقتنا فـيما بعـد، وعليـنا الآن مـتابعة رحلتها مع الزوج حتى نصل لمأساتها.

تقول:

"كل الأسرة عرفت إني اتجوزت، وصورت الفرح فيديو، وكامـيرا، وبعد الفرح خدني من البيت، قضينا شهر العسل في الشقة المفروشة، وقعدنا مع بعض ١٥ يوم، وطبعاً بني آدم ما شفتوش غير مرة أو مرتين، والجواز حصل بسرعة، طبعاً لازم أحس ناحيته بغربة، وطبيعي لما أشوف بني آدم أول مرة ما أخدش عليه على طول، والفترة اللي قاعدها معايا مش كبيرة بحيث آخد عليه، هو كان بيشتغل موظف في الجوازات في بلده، وعرفت بعد الجواز، إنه متجوز، بس زي ما قالوا لي الأول، قال لي إنه متجوز ومراته واخدة أولادها ومنفصل عنها، بس مش مطلقها، احترمت فيه حتة الصراحة دي".

لم تشكل معرفتها بزواجه السابق أزمة بالنسبة لها، حيث احترمت فيه الصراحة، وأعطاها هذا الإحساس بالأمان من غدره، ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن دائماً، فبعد حياة قصيرة استمرت خمسة عشر يوماً، غادرها الزوج ولم يعد ثانية حتى الآن، ولم تكن مغادرته لها هي المأساة الوحيدة التي عاشتها بعد هذه الفترة القصيرة، ولكن كانت علاقتها الجنسية معه إحدى مشكلاتها، وأحد الأشياء التي تعرضت عبرها للمهانة الاجتماعية والتي انكسر فيها حلمها الرومانسي.

تقول صديقتنا:

"حاول يقرب لي أول مرة بعد خوف وتردد من ناحيتي، كان يقعد يكلمني في الدين، ويقول الامتناع ده حرام والحقيقة ما كانش

يشـــتكي مـــنى لأي حـــد، الموضوع ده بيني وبينه بس ودي حتة احترمـــتها فـــيه، وتانـــي يوم جت ستات أخوالي كلهم، وخالاتي علشـــان يطمنوا عليّا، وعرفوا إن أنا رافضاه ، رافضة إنه ييجي ناحيتـــي، فقالوا إحنا هنعمل الموضوع ده بعد ما زعقوا لي وقالوا لي إنتي خلاص بقيتي مراته ومن حقه إنه يعمل فيكي أي حاجة، وإنهم هيساعدوه، يعني يكتفوني أنا ليه، واحدة تمسكني من دراعي ده، وواحـــده تمســـكني مـــن دراعي ده وواحدة من رجلي دي ، وواحـــدة من رجلي دي، وطبعاً هم ستات ضخمة، وواحدة تتولى الموضـــوع بنفســـها، طبعاً أنا رفضت الموضوع ده، وبصراحة وقـــف معايـــا وقال أنا ما أقبلش كده، ده بيني وبينها، أنا عايزها كـــده، خالتي قالت له بس إحنا مش عايزينها كده إذا كنت هتعمل الموضـــوع ده، هـــتعمل، مـــا كنتش هتعمل، خلاص إحنا نآخدها ونمشي، قال لها خلاص، لما دخلت أنا وهو في أوضة النوم، قال لـــي أنا بالنسبة لي ما فيش أي شيء بس المسألة في وشك إنتي، أهلـــك هـــيقولوا عليكـــي إيه، إنك مش بنت ولا إيه، وهم فضلوا قاعديـــن فـــي الشقة بره، وإحنا جوه، وبعد كده قال لهم خلاص، وقعدت موجوعة من العملية دي لحد ما سافر".

المـــرة الثانـــية التي تتعرض فيها هذه الفتاة للامتهان على يد نســـاء أخـــريات، في المرة الأولى الضرب المبرح على يد الأم، والمـــرة الثانـــية، التهديد من قبل نساء الأقارب، إن لم يقم الزوج بواجـــبه الأول في فض غشاء البكارة، أن يقمن هن به، وما عناه

هـذا مـن إحسـاس بالامتهان لدى الفتاة؛ مما انعكس بأثره على علاقتها به فيما بعد. حيث تقول:

: بعد كده رفضت الحكاية تاني، بقيت أرفض باستمرار، هو دخـل فـي حديث ديني علشان يبين لي حقوق الزوج إيه وحقوق الـزوجة إيه، وقال ربنا غضبان عليكي، قلت مش قادرة، تعبانة، لأني موجوعة من المرة الأولى، كان كل ما يجي يقرب لي عادي بسـيبه يقـرب لي، بس في أوقات معينة بابقى خلاص، أقول له تعبـت، وتعبت فعلاً، وبكل قوتي أبعد عنه، كان بيرجع ، ويحاول معايـا، وفي نفس الوقت بأبقى خلاص مش قادرة، ولما يقول لي يـلا يا فلانة أقول له يلا إيه، بس استنى لما أتفرج على التمثيلية دي يقـول لـي قومي، إنت إيه نمتي، أقول له طب خلينا للصبح ييجـي الصـبح، أبقى مش طايقة، أقول له نصلي الصبح، وأقعد أأجل في الموضوع لحد ما اضطر يعني العملية دي مش طايقاها، مش بحبها".

مـا الذي أوصل فتاة رومانسية كانت تحلم بفارس أحلام إلى رفـض العملـية الجنسية، أهي تربيتها القاسية والقيود التي قيدت حركـتها منذ الصغر، أهي الطريقة التي تم بها زواجها في مدى خمسـة أيـام دون أن تعرف الزوج، أو المهانة التي تعرضت لها عـند الممارسة الأولى، والأقارب في انتظارها خارج الحجرة، أم الـزوج الذي فقد احترامها بعد أيام قليلة من الزواج، احترمته في الـبداية لسببين: أنه صارحها بزواجه السابق، وأنه رفض أن تقوم قريـباتها بفض غشاء بكارتها عنوة، إلا أنها اكتشفت أشياء أخرى

كانـــت بعيدة: البعد عما كانت تحلم به، وكسر لديها صورة الرجل – الحلم، فماذا رأت في هذا الزوج؟

تقول:

"كـــان فعـــلاً وســـيم ومتدين، وأنا كنت بحلم بكده، لكنه كان مـــنافق وكـــداب وفشـــار، ويحب يتمنظر كتير، يقول كلام أنا ما أحـــبوش لأنـــه كدب، والكدب في الراجل غير الكدب في الست، يعنـــي لما ألاقي ست تكدب، أقول عادي، رغم إني ست، إنما أنا مش متحيزة مع الستات، نعم فيه بعض ستات صادقة، الست منهم بســـتين راجـــل لما بتكدب ما فيش مشاكل، ما بيهمش، إنما اللي يهمني أكتر لما راجل يكدب، أبقى متأثرة جداً، وبالذات لما وضع نفســـه في موضع مش وضعه خالص، كان دايماً يدعي إنه يعرف قنصل بلده وإن سفير بلده قريبه، وكل الكلام ده عرفت إنه كدب".

رغـــم أنـــه حقق لأهلها بعض اليسر المادي، وحقق لها حياة قصـــيرة مـــريحة، حيـــث استأجر لها شقة، واستأجر لها خادمة، ورغم رفضه لأن تمتهن على يد قريباتها، إلا أن كل هذا لم يغفر كذبـــه، ورغم اقتناعها بأن هناك امرأة تساوي ستين رجلاً إلا أنها قـــد تغفـــر لهـــذه المرأة الكذب، ولا تغفر للرجل وخاصة الكذب المقترن بادعاء مكانة غير حقيقية، وهو ما يتسق مع تكوينها حينما كانت ترفض كذب الأخوة الاجتماعي والذي تجلى في إنفاقهم كل مـــا يكسبون على المظهر الاجتماعي وشراء الملابس. كما ساعد هروبه بالطريقة التي غادرها بها وخلف لوعوده في كل مرة على تعميق احتقارها وكراهيتها له.

"كنـــت أتمنى إن جوزي يكون له مبادئ، يكون كلمته واحدة، وأمـــا يعطي وعد يحقق الوعد، بعد ١٥ يوم من الجواز سافر بعد مـــا روحني بيتنا عند أهلي، قال لي هروح أجيب الفيزا اللي هي الموافقة وجاي بعد شهر، يعني موافقة إنه يدخلني البلد، وكان في الأول بيتصـــل بـــيّه عـــند تليفون واحدة جارتنا، كان يتصل كل أســـبوع، كـــل عشرة أيام، مرتين في الأسبوع، وكان بيتصل في أوقات مختلفة، في الصبح بدري، الساعة ١١ بالليل في المغرب، فـــي العصر ، في أي وقت ممكن يتصل أنا خمنت إنه عايز يثبت وجـــودي فـــي البيت، إني بره ولا بخرج ما بأخرجش كده يعني، لأنه لما كان موجود ما كانش يخليني أنزل أشتري حاجة لوحدي، كان يخلي الشغالة تنزل تشتري الحاجات، وبعد ما سابني بأسبوع بعـــت لي فلوس مرة باسم والدي وبعد كده باسمي، جبت قمصان وهـــدوم بـــالفلوس وجزء إديته لأمي، بعت ٥٠٠ حنيه تانية بعد حوالـــي ٥ شهور وأنا اللي طلبت منه، وكان بيكلمني في التليفون وكـــان يقول لي قصايد شعر في التليفون، ويقول أتمنى اليوم اللي يجمعـــنا ببعض تاني، هو شاطر قوي في الكلام، بس ما تخديش منه أفعال، أنا ما ندمتش إنه سافر، بس هو كان متجوزني إنه مش بيحبنـــي، إنه كان متجوزني نزوة ومتجوزني يتسلى بيه، حسيت إني رخيصة أد إيه إني سبت نفسي لبني آدم زي ده، ودلوقت بقى لـــه سنة وأربع شهور ما جاش ولا مرة، كمان انقطع عن التليفون من ست شهور وانقطع عن المصاريف من سنة".

أدركـــت الفتاة أن زواجه منها لم يكن سوى نزوة، دفع ثمنها عشـــرة ألاف جنـــيه في البداية، ثم تركها وسافر بحجة استكمال أوراق اصـــطحابها معـــه إلـــى بلده، ولم يعد، وتخلى عن الإنفاق عليها، وهي المفارقة التي تتجلى لنا في سلوكه، لقد كان دائماً في علاقـــته الجنسية بها وعند امتناعها يستخدم الدين في قهرها حتى تخضـــع له، وعندما تركها وغادر البلاد لم يتذكر حقوقها كزوجة، فقد كان صداقها المسمى بينهم ٢٥ ألف جنيه، دفع لها عشرة ألاف مقـــدم، والباقي مؤخر، وفر وتركها دون تحديد لموقفها القانوني، ولا تعلم ماذا تفعل، تقول:

"أنـــا دلوقـــت وضـــعي ما بقاش كويس، بقى ليّا دلوقتي سنة وأربـــع شهور ما جاش ولا مرة، انقطع من إنه يبعث مصاريف، وأنـــا بقيت دلوقت زوجه، مين هيصرف عليّا، ولما أتصل بيه أمه تقول مسافر، وفي الشغل زملاؤه بيقولوا مسافر، ولما لاقيته مره، قـــال لـــي والله ظـــروف قلت له الناس بتتكلم عليّا، يقول هاجي أوريهم وما يجيش".

لم يحقق لها الزواج الأحلام، لا الرومانسية في فتى أحلامها، ولا حـــتى الماديـــة في استقرار اقتصادي، بل تركها للقيل والقال، وهـــي التـــي كانت محصنة ضده من قبل بفضل التزامها بما تقره بيئـــتها مـــن قـــيم اجتماعية، وعادت تبحث عن عمل مرة أخرى وتبحث عن حل لوضعيتها القانونية: هل هي زوجة أم لا ؟

تقول:

"دلوقت أنا عايزه أشتغل، علشان أصرف على نفسي، وما فيش فرصة للشغل، عايزه أشتغل بالدبلوم بتاعي بحيث أرجع البيت بدري علشان أعمل شغل البيت، كمان عايزة أطلق وآخد المؤخر بتاعي، أعمل بيه مشروع، لأن قالوا القضية ما تنفعش علشان العقد مش متسجل، وإني أفضل على ذمته كده كرامتي ما تسمحليش، كمان أنا مش عايزه أطلق علشان أتجوز، حكاية الجواز دي شيلاها من دماغي خالص، وأنا عايزه أهدده وهو في بلده، بس مش عارفة أعمل إيه ، أنا مش عارفة آخد حقوقي منه، ندل وحقير وبيتهيألي إنه قدامي أقعد أشتم فيه وأتف عليه وأبقى عايزه أضربه".

أضافت بهذا الزواج أثقالاً اجتماعية جديدة بالإضافة إلى أثقالها السابقة، والقيل والقال عن سمعتها في المكان ، عدم وجود عمل، عدم تمكنها من حل مشكلتها قانونياً أو ودياً.

لقد أدركت في النهاية، وبعد ما لم يستطع أحد أن يقدم لها حلاً لمأزقها، أن تضحيتها لم يكن لها ثمن، ولم تكن لها جدوى. حيث تقول:

"أنا ضحيت بنفسي علشان إخواتي، يعني حسبت إني عايزه أعمل لهم حاجة، وبعد كده عرفت إن التضحية دي مالهاش أي لازمة يعني مش لازم الواحدة تضحي على حساب نفسها، عشان أم ولا أخ، ولا أب ولا أي شيء لإني أنا لما وقعت في المشكلة

دي مـــا حـــدش شال عني، ولا أم ولا أب ولا أخ، يعني أنا اللي أعتبر غرقانة ومش لاقية حد يمد لي إيديه.

لقـــد شـــاع في مجتمعنا، ومازال بدرجات متفاوتة – ظاهرة زواج الفتيات الصغيرات الفقيرات من رجال عرب يكبروهن سناً، فـــي مقابل بعض المال، عادة ما يأخذه الأب والأم والأخوة، دون تســـجيل زواج المـــتعة المؤقت، ولكن الفارق الأساسي بينه وبين زواج المـــتعة، أن زواج المـــتعة محـــدد المدة منذ بداية الاتفاق، والطرفان على علم بهذه الفترة المحددة، وهو ما لا يتوافر في هذا الـــنمط الثانـــي من الزواج، وقد كان المال المقدم من قبل الرجل لأســـرة الفتاة، في بعض الأحيان عاملاً من عوامل حراك بعض الأسر الفقيرة من وضع أدنى اقتصادياً واجتماعياً إلى وضع أعلى قليلاً، كأن يشتري الأب قطعة أرض تحوله من عامل مأجور إلى مالك لبعض قـــراريط، أو عمل مشروع صغير يكاد يفي بحاجات الأســـرة، أو تـــنفقـــه بعـــض الأســـر على مظاهر استهلاكية هم محـــرومون منها، والفتاة هي الطرف الوحيد الذي يدفع ثمن مثل هـــذه الـــزيجات. وانتشرت مكاتـــب السفريات التي تدبر زوجة، مـــثلما تدبـــر شـــقة للزبون القادر على ذلك، وكذا بعض مكاتب المحامـــاة ، لقـــد كان هذا الزواج عاملاً من عوامل حراك بعض الأســـر إلى أعلى قليلاً، ولكن الفتيات هن اللاتي دفعـــن ثمن هذا الحـــراك من حياتهن وكرامتهن "حسيت إني رخيصة" لقد بدا من حـــياة هـــذه المرأة أنها اتخذت قرار الزواج بملء إرادتها، قرار ظاهـــره الاختيار وباطنه الفرض، حيث فرضت عليها التحولات

الاقتصـــادية التـــي مر بها المجتمع، والتي زادت من فقر الفقراء بالإضـــافة إلـــى عوامـــل اجتماعية ثقافية، فالأب يعمل بحرفـــة هـــامشية، بائع جاز، جار عليها الزمن، ولم يعد لديه سوق للعمل، والأخوة لم يستكملوا تعليمهم وغير مستقرين في أعمالهم، ويفرض علـــيهم المجـــتمع القاســـي، فـــي أحكامهم على الفقراء من حيث مظهرهم الاجتماعي، أن ينفقوا كل ما يكسبونه في اكتساب احترام المجـــتمع الشـــكلي. حيث ينفقون كل ما لديهم من مال قليل على الملبس، والفتاة تعاني من الضغوط والقيود الثقافية المفروضة على حركـــتها، ومن القسوة في تعامل الأم معها، ثم من العمل اليدوي المضني الشاق، والذي لا يحقق لها شيئاً من أحلامها، ولا يحررها حـــتى مـــن عـــبء أعمالهـــا المنزلية وإحساسها بالمسئولية تجاه عائلـــتها. ثـــم طموحاتها وأحلامها في بيت خاص مستقر، وزوج محـــب لها... كلها عوامل دفعتها للجوء إلى هذا النمط من الزواج كحـــل ســـحري، وحين استيقظت لم تجد سوى سراب ومزيد من المعاناة.

(ص):

مـــرة أخرى، نقف، وجهاً لوجه أمام امرأة لم تجد أمامها من سبيل لإنقاذ أسرتها من براثن الفقر سوى بالزواج من رجل عربي متيسر، وهذه المرة الزوج في عمر جد الزوجة.

مـــا هي حكايتها... وكيف واجهت مصيرها... "اسمي فلانة ... مـــن الشرقية، أبويا كان راجل مريض عنده الكبد وما كانش

دريان بحاجة، وفي الأول كان فلاح أجري، واحنا ١٢ بنت وولد، وأمي ولية مكافحة، كانت بتشتغل جزارة، وكنا نروح معاها الفجر نبيع، وكنا ناخد الورد اللي في الجناين ده ونسرح به في الشوارع، وأنا كنت جميلة وأي حد يشوفني يحبني، ودايماً كان الناس وقرايبي يقولوا دي ما تعيش في الفلاحين، دي عايزة فترينة أو فيلا تعيش فيها".

صديقتنا تملك الجمال والشباب وهما رأس مالها وقد وجدت البيئة المساعدة على استثمارها فيه، حيث كانت تقطن في إحدى قرى الشرقية المعروفة بانتشار ظاهرة الزواج العرفي بها والزواج من رجال عرب متيسرين.

"إحنا في بلدنا بسبب الفلوس والظروف الصعبة، إحنا بنبيع نفسنا بالفلوس، ييجي واحد يقول أتجوزك وتاخدي كذا وده هيطلع أهلك لفوق، وكل اللي بيجوا عرب سعوديين وكويتيين وليبيين، ييجي الراجل يتفرج على البنت، ويقعد معاها، يقول لها اسمك إيه، ورينى شعرك، وريني جسمك ويحسس عليها، وييجي بعد يومين تلاتة يكتب عليها، ويقعد معاها كام يوم في شقة وبعدين يطلقها، واهلها يخدوا ٥ آلاف جنيه يجيبوا حتة بيت، أو حتة جاموسة وخلاص على كده، أو ييجي واحد محامي يكتب ورقة عرفي، زوجتك نفسي على سنة الله ورسوله، ومفيش مؤخر، ولا مقدم وتبلع برشامة الـ ٥ أو ٦ أيام دول أو تركب شريط أو تآخد حقنة، ويطلقها بعد كده، وممكن تتجوز بعد كده تاني لو لقت فرصة تانية وفلوس أزيد".

فـــتاة فقـــيرة جميلة في بيئة تتاجر بالفتيات عبر عقود زواج غـــير رســـمية أو عرفـــية، والطرفان على علم بالصفقة، جمالها وشبابها لعدة أيام أو شهور في مقابل بعض المال الذي تنتقل عبره الأسرة إلى وضع كما قلنا سابقاً أفضل قليلاً... مثلاً شراء منزل، جاموسة، سلع استهلاكية. وكان القرار سهلاً أمام الفتاة.

تقول:

"كـــان عمـــري ١٣ ســـنة لمـــا اتجـــوزت واحد أكبر مني، واتجـــوزت بســـبب الفلوس، فأسرتنا كبيرة وحالتنا المادية كانت تعـــبانة ومـــا كانش حيلتنا فلوس فأعمل إيه بعت نفسي بالفلوس، وأبويا خد مهري ٥ آلاف جنيه، كان العريس عنده ٩٠ سنة".

صديقتنا تُدرك مبررا قرارها بالزواج من زوج يكبرها بكثير وتدرك أنه عقد بيع، وليس عقد زواج.

تقـــول: "أنا بعت حياتي علشان أهلي، وخليتهم يتلموا في بيت واحد ويتقفل عليهم باب"

فالبيع كان من أجل شراء منزل للأسرة الفقيرة، ومنٌ أجل أن يغلق عليهم باب منزل خاص بهم.

ولأنهـــا صـــفقة، والفـــتاة صغيرة، بل طفلة، الرجل في سن جدها، فلنا أن نتوقع كيف كانت الحياة الزوجية بينهم.

تقول صديقتنا:

"أنـــا لمـــا اتجوزت ما كانش لي صدر وإداني برشامة منوم علشان يآخد عرضي بإيده، ولما رحت معاه بلده، عشت حياتي في

أوضـــه، زي الشـــغالة بالضـــبط، وكان عنده ١٠ صبيان، وكان بـــيخاف عليّا منهم، ولما كان الليل بيجي كان ولاده يخبطوا عليّا، وكنـــت بخـــاف مـــنهم، وهو ما كانش بيني وبينه حاجة، هو كان راجـــل ما فتهوش حاجة، يعني راجل قدام الناس بس، لكن راجل ليّا أنا لا".

لم تكن هناك علاقة زوجية بالمعنى المعروف، لكن لهواً من رجـــل فـــي ســـن متقدم بفتاة في سن حفيداته، وطمع من الأبناء الشـــباب في زوجة الأب الشابة الصغيرة. ودورها في المنزل لا يـــزيد على دور الشغالة، ولكن بعقد زواج، واستمرت معه حوالي ٧ شهور عاشت كما تقول لنفسها: "أنا عشت حياتي بره مش على حســـاب إنـــي متجوزة، عشت لحساب نفسي، كان ماليني باللبس والدهب".

المـــنزل الـــذي بنته لأسرتها ، والذهب والملابس التي كانت محرومة منها، كل ذلك لم يمنع عنها الخوف الذي عاشته مع هذا الرجل وأبنائه.

فـــتقول: "أنا كنت تعبانة معاهم وخايفة بييجي الليل ببقى زي المتخلفيـــن بيـــن الباب والشباك، والباب مقفول عليّا لما جات لي حالـــة نفســـية، وقال لي مش هاوديكي مصر، إنتي هتعيشي هنا شغالة".

وكـــان قـــرارها الثاني بالفرار من جحيم الخوف هذا، ومن خـــلال صـــديقة مصرية تعرفت عليها، أمكنها أن تتصل بالجهات الرســـمية وتطلب المغادرة والطلاق، وكان لها ما أرادت ولم تكن

تلـــك نهايـــة الرحلة، بل بداية لرحلة جديدة وزواج ثان، والزوج الثاني سبق له الزواج والإنجاب، وعن مبرراتها لقبول الزواج من رجل متزوج لم ينفصل عن زوجته بالطلاق، وكيف تعرفت على الزوج الثاني.

تقول صديقتنا:

"بعد طلاقي من زوجي الأول، جيت مصر، وقعدت كده مدة رافضـــة الجواز تاني، وكان معايا شوية دهب، ووالدي كان تعبان فبعت الدهب عليه، وفضل معايا شوية هدوم، وكنت ألبس وشعري ســـايباه ومكـــياج وكأنـــي واحدة في جامعة وأقعد على الباب في الفلاحيـــن وحاطة رجل على رجل. جه عم ليه وقال دي ما تعيش هنا، وجه جوزي التاني ده عن طريق عمي".

عندما عادت من الخارج، كانت الأسرة قد امتلكت منزلاً، ولم تعد تعمل، عاشت حياتها، مستمتعة ومستعرضة جمالها وما تملك مـــن ملابـــس، حتى شعر العم (فالأب مريض) بخطورة ما يمثله وجودها عليهم خاصة مع رفضها الزواج مرة أخرى، فكان قراره بالبحث عن زوج ثاني.

أمـــا لمـــاذا أرادها الزوج الثاني، رغم تجربة زواجها الأولى التـــي قصـــها العم عليه، فلأنه هو أيضاً متزوج، ولأنها تملك من المقومات الأنثوية ما لا تملكه زوجته الأولى.

تقول صديقتنا:

"جه جوزي التاني ده شافني وقال دي حلوة بتلبس بنصف كم واسترتشات، وقال لعمي آخدها، وقعد معايا وحكى لي حكايته وإنه متجوز بقى له ١٢ سنة ومراته ملهاش في حاجة وهو معاه ولد، ولكن عايز يتجوز واحدة تحافظ عليه، وإنه أول ما شافني حس إني أنا اللي بيتخيلها في حياته من زمان، ووافقت عليه، حسيت إن ده هو اللي هيريحني، وأنا يهمني الراجل اللي يريحني، ومش بهدلتي في الصغر نفسي أرتاح وأنا كبيرة، وأنا عايزة أرتاح من الناس وكلام الناس وأعيش زي أي بنت، وهو قال لي كمان كل اللي تتمنيه هتلاقيه".

إذاً تدخلت مبرراتها للزواج من زوج لديه زوجة ثانية وطفل. إن الزوجة الأولى وكما قص عليها الزوج لا تملك ما تقدمه لزوجها في علاقتهما الزوجية؛ ولأنها عاشت تجربة مماثلة مع شيخ عجوز، فقد تفهمت هذا الموقف ورأت أن من حق الزوج الزواج مرة ثانية. وهي أحد المبررات التي توافق عليها النساء والرجال لتبرير الزواج الثاني للزوج دونما شعور بالمسئولية تجاه الزوجة الأولى، أما السبب الثاني لقبولها هذا الزواج فهو التخلص من القيل والقال، وهو من الأمور الاجتماعية الضاغطة والتي تدفع بعض النساء لاتخاذ قرار الزواج، أيا ما كان هذا الزواج، ثم الوعد بتحقيق كل ما تتمنى من رغد في الحياة، خاصة وقد قدم لها نفسه بصورة مغايرة لحقيقته.

تقول صديقتنا:

"كـدب عليّا في الأول، وقال لي عندي شقة وقال إنه مقاول كبـير، وإن الشـقة اللـي هنتجوز فيها كان متجوز فيها الأولى وبعزالها وفيها تتجيد وأوضة نوم وكل حاجة، واتجوزت وإن دي شـقتي خلاص، وبعد الصباحية بـ ٣ أيـام لاقيتـهم بيقولوا لي اطلعي بره الشقة دي مش شقتك، روحي على أوضة جوزك، أتاري دي لسه شقة مراته الأولانية وكانت مسافرة، ورجعت".

رغـم الخديعـة في الزوج الذي وعدها بالحلم ولم يحققه، إلا أنها استمرت معه، فلماذا استمرت ولم تتخذ قراراً بالانفصال ؟

تقول صديقتنا:

"رضـيت بالأمر الواقع، حتى ابنه، مراته الأولانية سابته له وأنـا عروسـة جديدة واعتبرت نفسي جاية بيه، وأنا عندي حنية زيـادة عن اللزوم، وقلت مش مهم أنا عشت في عز كتير، المهم عـندي إنسـان يحـافظ عليّا ورضيت وقعدت معاه، ومع مراته الأولانية في شقتها تلات سنين".

رضـيت بالهم كما يقول المثل الشعبى، لأن تجربتها الأولى في الزواج كانت تمنعها من الطلاق للمرة الثانية، وبررت له كذبه معها وصدقـت وعوده بالمحـافظـة عليها... لأنها لا تملك سـوى التصـديق؛ فالأسرة فقيرة ولن تحتمل عودتها مطلقة مرة ثانـية. ولأنـه رفض التخلي عنها أمام ضغط أهل زوجته الأولى علـيه لطلاقه، وهو ما اعتبرته حباً كبيراً لها، تفعل في مقابله أي

شـــيء، أما الحياة القاسية اقتصادياً فقد عاشتها واعتادتها من قبل مع أهلها، ولأن العز لم يأت لها سوى مع زوج ثرى، فكان عليها الاختـــيار فاختـــارت الـــزوج الذي قد يوفر لها الحماية والحب، ورفضت المال الذي ذاقته مع الحرمان الإنساني من قبل.

تقول الصديقة:

"قالوا له اختار إما مراتك الأولانية تعيش معاها في البيت هي وابـــنك، وطلـــق بتاعة الشرقية، قال لهم لا. هو بيحبني أوي أوي بس مش بإيده، هو نفسه يخليني في جنة بس ما حيلتهوش حاجة".

"طـــردونا مـــن الشقة ورحنا الأوضة بتاعته، وهي متسجلة باســـمه لكـــن عمه هو صاحب البيت، وهو برضه عايزه يطلقني علشـــان أهل مراته الأولانية هما قرايب وواخد الورق اللي يثبت إن الأوضة بتاعة جوزي، ووقف أهله قصادي، بس أنا كنت جبت عيليـــن أروح بيهم فين وأعمل إيه وكانت مراته تغير مني علشان أنـــا فلاحة وشاطرة ولاماه في بيتي واللي يدخل بيتي يشم ريحته من على السلم ورد وفل وبخور مع إني قاعدة في أوضة وراضية بعيشـــتي، واتكلموا كتير وقالوا ماشي مع نسوان قلت أنا موافقة، بيحب فلانة أقول وماله لأني شايفاه معايا إنسان كويس".

حاولـــت أن تحـــافظ على حياتها مع هذا الزوج بكل الطرق الممكنة؛ ولأن الأمر أصبح أكثر تعقيداً بإنجابها لطفلين فماذا تفعل بهمـــا، وتحملت كل ما قيل عن علاقات زوجها النسائية، وتحملت مضـــايقات الأهـــل، وحاولت أن تخلق جنتها الخاصة رغم ضيق

الحـــال ولكـــن لـــم تستمر بها الحياة مثلما تريد، فقد أجبرها أهل الـــزوج والـــزوجة، على مغادرة حتى الغرفة الوحيدة التي تعيش فـــيها، فالزوج كان قليل الحيلة أمام عائلته التي ترتبط بصلة قرابة مـــع أهل زوجته الأولى، وكان غير قادر على حماية زوجته من بطشـــهم، وظلت تدفع بمفردها ثمن قبولها زوجاً متزوجاً من قبل، فأســـرتها لا يمكنها الوقوف بوجه الزوجة الأولى وأقاربها، كما لا يقوى الزوج على ذلك فماذا حدث لها ومعها ؟

تقول الصديقة:

"طلعونـــي مـــن أوضـــتي عـــريانة وســـط رجالـــة البيت، وجـــوزي مش واخد معاهم حق وأهلي مش واخدين معاهم حق، بقيـــت أنا عندي تطور للعصبية زيادة عن اللزوم ومسكت السكينة وقطعـــت جسمي، وبقيت أشد في شعري، لما قطعته، صعبت عليّا نفسي".

الـــزوج لـــم يوفـــر لها الحماية، كذا أسرتها غير قادرة على حمايـــتها حـــتى الحكومـــة كما تقول: "جات وما عملتش حاجة، والقضـــية علـــى الأوضـــة لســـه شـــغالة" ولأنها قليلة الحيلة في مواجهـــتهم، الشـــيء الوحـــيد المـــتاح لها لتفعل به ما تشاء هو جســـدها فـــناله مـــنها الكثير، وزادت حالتها النفسية، سوءاً، ولم تـــتخذ أيضـــاً قـــرار الانفصال عن الزوج ولكنها اتخذت خطوة مخـــتلفة حين خيرته بين الاستمرار معها أو الاستمرار مع زوجته الأولى.

تقول صديقتنا:

"قلت له بعد كده خلاص، يا تخسرني ، يا تخسر مراتك، تسبني أتبهدل كده، أنا بعت الدنيا كلها علشانك، ده أنا جالي واحد من الإمارات وكان هيدي لي ٤٠ ألف جنيه وقالوا لي أطلق منك ما رضتش، واشتريتك لأنك شاب مصري وابن بلدي ومهما كان مش هاتبيع فيا".

لم تقبل الاستمرار في هذه المهانة، وخيرت الزوج ولم تطلب الانفصال، بل أعطت له مهلة للتفكير، وهذه المرة هي لا تبحث عن المال الذي كان أمامها فرصة له بالزواج من عربي ميسور مرة أخرى، ولكنها تبحث عمن يقدم لها الحماية، فمن مبررات بعض زواج الفتيات وخاصة في الأوساط الفقيرة الحماية الاجتماعية والثقافية التي يقدمها لها الرجل، والتي تدفع لها أثماناً غالية، وصديقتنا مثال على هذا كما سنرى في مشوار حياتها وقدمت له كل التنازلات من أجل الاستمرار معه.

تقول:

"قلت له لو في صحرا هعيش معاك، بس أعيش حياتي زي أي ست لها قيمة، يا إما أروح بيت أهلي، وكان هو متفق على شغلانة هنا (المكان مدينة جديدة) فقال لي خلاص تعالي معايا مكان الشغل الجديد، قلت له خلاص أروح فيها".

قيمة المرأة كما ترى صديقتنا في حماية الزوج لها، وعدم تعرضها للأذى الاجتماعي والمادي من الآخرين، وهو شرطها لاستمرار هذا الزواج.

لـم تتـته الـرحلة بصديقتنا عند هذا الحد، فمازال دفع ثمن انفصال الزوج عن أسرته مستمراً من قبل الزوجة ومازالت تدفع ثمن حمايته الاجتماعية الثقافية لها.

تقول:

"جيت المكان هنا، وكان صحرا، وكان بقى معايا أربع عيال، ومـنهم ابـن جوزي اللي ربيته زيهم، وكانت الناس تيجي تتفرج عليّا، يقول مراة فلان كنت بيضة وحمرا وشعري أصفر وطويل، وعمـري مـا حطيـت إيشارب كنت أسيبه أتعايق به وألبس بدل وبلوزات، وهو كمان اللي تشوفه في الشارع تقول آخد واحدة زيه والله هو حلو حلو وعطوف وحنين".

تسـوق لنفسها الأسباب التي تدفعها للاستمرار معه وهو حبه لهـا وحـنانه معها وجمال شكله حتى أنه مطمع لأخريات وتزايد عدد الأطفال، ومن أجل كل هذا تستمر في القيام بما تتصوره أنه يحـافظ على استمرار زواجه بها حيث تخشى من تكرار زواجه مرة أخرى ولا تجد لذلك مبرراً فبالإضافة إلى جمالها الذي يشهد بـه الجميع، ويذهبون لرؤيته، هناك أيضاً أسباب متعـددة وقوية من وجهة نظـرها تفرض عليه عدم الزواج مرة ثالثة.

حيث تقول:

"أنـا فلاحة وعندي درجة مخ كبيرة وكأني متعلمة وأتكلم مع كـل الـناس، ومع أي حد، ويقولوا إنتي مش فلاحة وكده الذكاء عندي، وأقول له يعمل إيه مع الناس في شغله ويلبس إيه، دلوقت بقـى عنده برستيج تقولي أخد كلية، وكل اللي نفسه فيه في حياته،

وفـيلم الفيديون اللي بيشوفه وأي راجل يتمنى مراته تعملهوله أنا بعمله، كل ده علشان عايزه أرتاح، وقايمة بشغل البيت ومصاريف شـغله كمـان قايمـة بيها، من الكانتين اللي فتحته لما جيت هنا ومصـاريفه الخاصة ومصاريف العيال، وكل اللي بآخده بأديه له وإن مـا إديـتهوش يشـتمني ويضربني، الناس مش سايباني في حالي، ويسمع كلام كتير قوي، وهو لا يسألني جبت الفلوس إزاي ولا عايشـة إزاي، وإيـدي فـي الزيت طول اليوم وبالليل أتحلى وألـبس، اللـي يشوفني يقول مستحيل دي اللي كانت بتبيع الفول والطعمـية الصبح، وما أعرفش عنه وعن فلوسه حاجة، لا بيقعد معايـا، ده أنـا نفسي مرة يقول لي مالك، أكون عيانه، يقول لي قومـي أكشف لك نفسي مرة يطبطب عليّا، نفسي مرة أبكي يقول لـي معلـش، هو حنين بس وهو معايا وإحنا مع بعض، يقول لي بحـبك وبعديـن بعد كل ده رايح يبص لواحدة تانية، وكل الناس تقـول إنه بيحبها وعاوز يتجوزها، وأنا أتأكدت أن ده حقيقة، طب لـيه، هـو أنا قصرت معاه في أي حاجة رغم التعب اللي بشوفه طـول الـنهار، بالليـل مش مقصرة معاه بس ساعات مع الحياة وضغط الحياة والشغل والتعب وإننا عايشين في جراج عمارة مش في بيت مقفول علينا بالنهار، بقول له لا، وهو مزاجه الحاجة دي ممكـن الـ ٢٤ ساعة، وعايز يعمل كده طول النهار وطب أعمل إيه وهو عارف إن شغلي بالنهار ده حياتنا علشان الكانتين ده أكل عيشـنا، وحكاية مشيه مع البنت دي تعباني نفسياً خالص، وجاتني

عقدة نفسية ومش طايقة روحي، ولا هو محافظ عليّه والناس مش سايباني في حالي وأهلي حالتهم المادية تعبانة، طب أعمل إيه".

من وجهة نظرها قدمت الكثير من أجل إنجاح الزواج، فقد قامت بالإنفاق على الأولاد، والزوج من عملها طوال اليوم، تحملت الضرب والإهانة منه حينما لا توفر له احتياجاته الشخصية، تقوم بدورها الأنثوي على أكمل وجه، ترضى بالحياة في جراج عمارة، كل هذا في مقابل أن تجد الحنان والاهتمام الإنساني بها في لحظات مرضها، تعبها، بكائها، ولكنها لا تجده سوى في لحظات احتياجه الجنسي لها فقط، وتجاوزت عن كل هذا مادام مستمراً في الحياة معها، وحافظ عليها، والحفاظ عليها وحمايتها يعني حمايتها من ألسنة الناس حينما يتحدثون عن تركه لها من أجل أخرى، أو حينما يطمعون فيها لعدم اهتمامه واكتراثه بها.

فتقول:

"دايماً بتحصل معايا حاجات في الكانتين، لكن أنا بحبه، يعني لو واحدة غيري على اللي اتعمل فيها منه ومن أهله ولو كتب لها الدنيا دي كلها، ما ترضاش تعيش معاه وكل ده ليه، علشان يكون لي بيت زي أي ست وليا أسرة وراجل أهتم به، ولو هو مقضينا في المصاريف ما أشتغلش، وأتفرغ له بالنهار".

ترى أن مبرره الوحيد للزواج من أخرى هو عدم تفرغها لاحتياجاته الجنسية أثناء النهار ولأنها تقوم بالدور التقليدي للرجل في الإنفاق على الأسرة من خلال عملها في الكانتين، فهي تتمنى

أن نترك هذه المهمة له من أجل أن تحقق له ما يريد، فكأن عملها هـو خطيئتها التي تستحق العقاب عليها بزواجه مرة أخرى، ولا تـرى عملهـا حقاً لها، كما لا ترى في إنفاقه على الأسرة واجباً علـيه، كل ما تطلبه منه أن يتفهم ضرورة عملها وعدم تفرغها له أثناء النهار.

تقول صديقتنا:

"يعنـي أجـوع عيالي، اللي خلاني أشتغل دلوقت الواقع، لو عـيل طلب مني حاجة، أقول له ما فيش فلوس، دول في مدرسة ومصـاريف ومجامـيع طب أعمل إيه، ولازم أعلمهم عشان أنا اتحرمت من التعليم وتبقى معاهم شهادة تنفعهم".

مـازال هناك بعض الفئات الدنيا التي تتصور أن التعليم هو ملاذهـا الاجتماعي الوحيد، وأملها في الصعود، وربما كان ذلك حقـيقة في زمن الأم، ولكن لم يعد كذلك في زمن الأبناء، وكما لا تطلـب الاسـتمرار في العمل كحق لها، لا ترحب كثيراً بالحرية التي يتيحها لها الزوج، وترى أنها دليل عدم اكتراث حيث تقول:

"هـو مدينـي الحـرية الكاملة، أخرج أخرج، عمره ما قالي خرجتـي ليه، أو لبست ده ليه، هو مديني الحرية اللي أي واحدة تتمـناها، بس عشان إيه، ما أنا اللي ممشية البيت، أنا العمود بتاع الدنيا دي كلها".

إنهـــا ترى أن حريتها التي يتيحها لها الزوج لها مقابل وهو اعـــتماد الحـــياة الاقتصادية للأسرة بالكامل عليها، وهي تريد أن تتخلص من هذا العبء، ومن الحرية التي تلازمه وتلتصق به.

تقول صديقتنا:

"نفسي أقفل الكانتين وأرتاح، وهي لا تجد لها ملاذاً اجتماعياً آخر فتقول عن الأعمام والأخوال:

"بعـــد أبويا ما مات ماحدش بيسأل فينا وكل اللي بيقولوه عن العـــيلة دي كدب، أعمامي وأخوالي بنعزمهم في أفراح إخواتي ما يجـــوش الأول لما كنت مسافرة، كنت أبعت لهم هدايا، ودلوقت ما حدش بيسأل فينا".

ليس لها ملاذ سوى هذا الزوج بكل ما فيه، ولا تفضل الحياة بدونه، لأنه ربما يكون محباً لها، ولكن ظروفه لا تسمح له بتحقيق مـــا تـــريد... إنها تقول عنه كل شيء .... يحبها ولا يكترث بها، وتـــنفق عليه ويضربها، يحميها ويعرضها للأقاويل ولكنها تعيش إحباطاً داخلياً.

حيث تنهي حديثها قائلة:

"لـــو رحت فرح أبكي، لو شفت واحد بيعامل مراته كويس، أقـــول لـــيه مـــش بيعاملني جوزي كويس ولو شفت واحدة لابسة كويـــس، أقول ليه أنا مش لابسة كويس، وفي الآخر أقول إيه ربنا يعوضني في أولادي والحمد لله على كل حاجة."

الرضا بالنصيب وبالحال، والتعويض دائماً ما تنتظره المرأة من الله في الآخرة، ومن الأولاد في الحياة. إنها حالة من حالات التباس الوعي الناتجة عن خبرة اجتماعية لها ملامحها الخاصة، فقد نشأت في أسرة تعولها الأم لمرض الأب، وتساعد البنات في الإنفاق على الأسرة من خلال أعمال هامشية، وتشكل وعيها حول وجوب مساعدة الفتاة لأسرتها، واعتمادها على ذاتها، ولكنها عاشت في بيئة اجتماعية ريفية، تقدم لها بدائل متعددة فباعت سلعتها الوحيدة التي تملكها، حيث لم تتح لها ظروفها الاجتماعية الالتحاق بالمدرسة والحصول على تعليم يصبح هو رأسمالها، فأصبح رأسمالها وهو رأسمال ثقافي، (الجمال والشباب) منوطاً تقليدياً بالمرأة، فاستثمرته، وحينما انتهى دور هذا الرأسمال، عادت لبيئتها مرة أخرى، مواجهة بكثير من القيود على هذا الرأسمال الذي سبق وباعته، إنها مفارقة ثقافية اجتماعية في لحظة عليها أن تستثمر هذا الرأسمال، وفي لحظة أخرى يجب محاصرته وتقييده، عاشت اللحظتين، وقررت الهروب من القيود بإعادة استثماره مرة أخرى، ولكن في شروط زواج مختلفة، تخيلت أنه الأفضل بالنسبة لها... ولكن لم يتحقق لها ما أرادت في ظل زواج تخلى فيه الزوج عن جزء من الدور التقليدي الذي تحددة الثقافة للرجل ألا وهو الإنفاق، ولم يبق لها من الدور التقليدي للرجل سوى الحماية الاجتماعية والثقافية لها، فتشبثت بما تبقى من دور الرجل، آملة في الاحتفاظ به من أجل حمايتها، ومن أجل علاقة إنسانية دافئة تتمناها ولا تجدها، وقبلت بتحمل كل

المسئوليات الاقتصادية في مقابل الحصول على ما تبقى من الرجل (حماية اجتماعية – تجاوب عاطفي) وهي تكافح من أجل هذين الهدفين، وفي سبيلهما، ترى أنها على استعداد للتضحية بحريتها، التي لا تراها سوى محاولة من الرجل للتخلي عن كل أدواره التقليدية دفعة واحدة (الإنفاق – التجاوب العاطفي – الحماية الاجتماعية) فهو بمنحها الحرية، والعمل يتخلى عن كل ما يمكن أن يقدمه لها... وهي التي نشأت على أن الزواج يعني ألا تعيش الحياة لحسابها الخاص، بل لحساب أسرتها التي امتدت من الأم والأب والأخوة حتى الزوج والأبناء.

(ت)

صديقتنا هذه المرة نموذج لامرأة تنتمي لإحدى شرائح الطبقة الوسطى الدنيا، حيث كان الأب تاجراً يملك محلاً تجارياً هاجر بأسرته من الريف إلى المدينة وعمل أبناؤه الذكور معه في التجارة، وتزوجت الفتيات مبكراً مثل عادة أهل الريف في تفضيل الزواج المبكر للفتيات.

اتسمت صديقتنا عبر رحلتها في الزواج مرتين، وفي الإنجاب ، وفي العمل ثم في قرار التعليم في الكبر بقدر غير قليل من العقلانية والاستقلال في اتخاذ قراراتها في الحياة.

وما نقصده بالعقلانية هو وضوح الأهداف ووضوح وسائل تحقيق تلك الأهداف، ثم السعي بجدية وعملية لتحقيقها دونما الانشغال كثيراً بالعوائق، أو البكاء على الماضي، أدركت

دائمـــاً ثمـــن كل قرار تتخذه، ودفعت الثمن دونما تردد أو تذمر، واجهت مصيرها ولم تستسلم، وحتى في اللحظات التي تكيفت فيها مـــع ظروف لا تريدها، كانت تدرك الهدف الذي تحققه من جراء هـــذا التكـــيف، رحلتها ما بين العقل والعـــاطفة، ما بين الرفض والتكـــيف مـــع واقعها، ما بين اليأس ومواجهته، تعكس لنا ملامح وعـــي بعـــض نساء الشرائح الوسطى في مجتمعنا وما ينتاب هذا الوعى من تحولات تقترن بتحول الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وأشكال الاستجابات النسائية تجاه هذه التحولات.

ولنبدأ مع صديقتنا حكايتها:

تقول: "أنا عندي ٤٩ سنة، تزوجت مرتين، المرة الأولى في بلدنـــا (إحـــدى محافظـــات الوجه البحري)، كان عمري ١١ سنة وعمـــتى جابـــت لي العريس، وكان أكبر مني بيجي بعشرين سنة وســـنن أختـــي الكبـــيرة بـــدل مني على إنها أنا عشان يكتبوا لي الكـــتاب، والمأذون ما كانش مصدق إن عندي ١٦ سنة، وكنـــت بألعـــب فـــي الشـــارع بره، وهم عاملين لي الفرح جوه وبعد ما اتجوزت عيشت سنة على ماجات لي الدوره، وما كنتش أعرف".

فـــي بداية رحلتها، لم يكن قرار زواجها الأول لها، بل اتخذه الأب، واخـــتارت العمـــة لها العريس، ولم تكن قد بلغت بعد، وتم التحايل على القـــانون الـــذي كان قائماً حينئذ وهو قانون تسنين الفـــتاة حـــتى تتزوج، وكـــانت إحدى الحيل الاجتماعية التي تلجأ إليها الأسر في الريف لتزويج بناتهن في سن مبكرة، هي استبدال

الشـــقـــيقة الكبـــرى والصغـــرى عند الذهاب للطبيب، ولم تدرك صديقتنا شيئاً من أمر زواجها، حتى حملت، وهي لا تعلم ذلك.

تقول:

"أنـــا شلت، يعني حملت، وأنا ما أعرفش إني حامل أنا كنت فايرة، وكان جسمي حلو، فقعدت أربع شهور، وأنا ما أعرفش إني حـــامل، ولما وقعت في الشارع، والناس نقلتني المستشفى، شاف الدكـــتور إنـــي صـــغيرة، وزعق لما عرف إني متجوزه وحامل، وســـألني جـــوزك اسمه إيه، قلت اسمه فلان، قال واسم أبوه قلت مش عارفة، ما كنتش أعرف اسمه بالكامل".

لـــم تكن تعرف شيئاً عن الزواج، أو عن الحمل لصغر سنها، وحـــتى اسم الزوج بالكامل، لم تكن تعرفه، وكأنه أمر لا يخصها حـــتى يعلمهـــا الأهل به، كان الزوج يعمل طباخاً، وحينما كانت الظـــروف السياســـية هادئـــة مـــع ليبيا سافر للعمل بها، في أحد الفنادق، وكانت الزوجة قد أنجبت اثنين من أبنائها الثلاثة، وتزوج الـــزوج فـــي ليبيا من امرأة ثانية دون علم صديقتنا، كان التغيير الـــذي حـــدث فـــي علاقته بهم هو عدم إرسال مال للإنفاق على الأولاد، ثـــم عـــندما تدهورت الظروف السياسية بين مصر وليبيا عاد هو إلى مصر وفي إجازته تلك أنجبت الزوجة الابنة الثالثة.

تقول:

"كـــان بيبعـــت، وبعدين ما بقاش يبعت، وبعدين نزل لما ليبيا ومصـــر اتمـــنعوا عـــن بعضـــيهم، مـــا كانش فيه اتصالات ولا مواصـــلات ولا حاجـــة خـــالص، وهـــو كان في زيارة لما قالوا

المصـــريين ما يسافروش ليبيا، وأنا كنت محددة على الولد والبنت لإنـــي ما كنتش مرتاحة وما كنتش عايزه أجيب عيال تاني، لإني تعبت في تربية العيال واتمرمطت بصراحة، لإنه ما كانش بيبعت لنا فلوس كفاية فجه لما قالوا مصر وليبيا .

ما حدش يروح تاني، والطيارات وكله اتمنع راح قاعد، جت بقـــى إيه، غلطة بقى، وشلت في بنتي الأخيرة، وحاولت إني أنزل الجنين، قالوا لي ده حرام وأنا عشان مش مرتاحة وهو كان بيبعت لنا كل فين وفين ما كنتش عايزه أجيب عيال خالص".

بـــدأت صديقتنا في الوعي بمشكلات زواجها وكان أهم تلك المشـــكلات هـــو عدم إنفاق الزوج بشكل دائم ولم تستسلم لبعض الأفكـــار التي كانت شائعة اجتماعياً عند بعض الشرائح من النساء بالمـــزيد من الإنجاب، لربط الزوج بالأسرة أكثر، بل أدركت أن مـــزيداً من الإنجاب يعني مزيداً من المسئولية على كاهلها، ولكن تديـــنها وخوفها من الحرام منعاها من القيام بعملية إجهاض للطفل الثالـــث ولـــم يكـــن هـــذا هو قرارها العقلاني الوحيد المتسق مع ظـــروفها الاجتماعـــية ولكنها سعت إلى تدبير أمورها المالية بما يتســـق مـــع وجـــود زوج لا ينفق بشكل دائم، لم تكن تنفق المال القلـــيل الـــذي تتحصـــل علـــيه منه في أمور استهلاكية دائماً ما تـــتهم النساء بها، ولكنها سعت إلى الادخار ببعض الطرق الشائعة لـــدى نســـاء الطـــبقة الوســـطى ألا وهـــو شراء الذهب، وعمل الجمعيات.

تقول صديقتنا:

"طـبعاً أنا كنت إيه لما يفضل معايا قرش، أعمل جمعية كان الدهـب أيامهـا رخيص، بقيت أجيب دهب، أجيب غويشة، أجيب حاجة أحطها في إيدي".

وانتقلـت بوعـيها إلى خطوة أبعد في استثمار ما تدخره من أموال قليلة، وذلك بمساعدة ابنة العم، حيث لعبت أسرتها الممتدة، والتي كانت تقـطن نفس المنطقة السكنية دوراً في توجيهها.

تقول صديقتنا:

"جـت بنت عمي، قالت لي أيه، يعني الأراضي رخيـصة، وجـوزك ده مالوش مستقبل، أقلعي الغوايش، وأنا أشتري لك بهم حـتة أرض، كانت الأرض أيامـها في حتتنا دي (منطقة شعبية) رخيصـة المـتر بـ ١٥ جنيه، الغوايش اللي معـايا جابوا ٥٠٠ جنـيه، وكانـت حتة الأرض بألف جنيه، رحت دفعت اللي معايا واشـتـريت ٨٥ متر وقلت لصاحب الأرض كل ما يبقى معايا ١٠٠ جنيه ولا حاجة أديها لك".

لـم تكـن الـتحولات الاقتصادية والمضاربة على الأراضي والعقـارات فـي هـذا الوقت بالحدة التي نعيشها الآن، فكان من الممـكـن لامـرأة في مثل ظـروف صديقتنا الاقتصادية أن تشتري قطعة أرض، وأن تقيم عليها منـزلاً، فكيف تم لها ذلك، تقـول: "بعد ما خدت حتة الأرض، كان جوزي نزل أجازة تاني قـلت له والنبي ارمي الأساس، فأداني ٥٠٠ جنيه تانيين، وبقيت

أوفـر من المصروف ، كل ما يبعت حاجة، أصرف حاجة وأوفر حاجة منها، بقى هو مدوخنا".

حاولـت أن تسـتفيد مـن هذا الزوج المقتر في الإنفاق إلى أقصـى حـد ممكـن، حـتى أقنعته بالمساهمة في بناء المنزل، واعـتمدت على ادخارها من مصروف البيت، ولم تكتف بهذا، بل قامـت بالكثـير، مما يفترض اجتماعياً أنه دور الرجال من أجل استكمال بناء المنزل بأقل التكاليف الممكنة حيث تقول صديقتنا:

"سـاعة مـا بنيت البيت فصلت طرحة وجلابية وبقيت زي السـتات هنا، بقيت واقفة مع الرجالة، وأنا اللي أحاسب وأنا اللي أجيـب حاجتـي بإيديـا، أروح أجيب الحاجة، إذا كانوا عايزين أسـمنت أروح أجيـب، عشان ما حدش يضحك عليّا ويآخد مني فلـوس زيـادة، وأركـب عربية الرمل مع السواق وأجيبها لغاية البيت، وأروح أجيب الطوب، ما أنا لو قلت لحد برضه هيكـسب منـي علشـان خاطر الفلوس كانت محددة، كنت بأروح وأجري لوحـدي كده، على بـال أخواتي ما بييجوا من الشغل أكون جبت كـل حاجـة، وأقـف مع الصنايعية من الأول للآخر، فالستات المصـريين جدعـان، إحنا عندنا في الريف، الست إيدها في إيد جوزهـا في الغيـط، وبتطلع معاه في الصبح بالبهايم، لغاية ما تـروح، فإحـنا فلاحيـن، يعني الستات المصريين جدعان بيقفوا المواقف، يعني الواحدة مش هتسلم أمرها كده وهتقعد وتحط إيدها على خدها، وتقول ده ما بيحبنيش، المفروض الواحدة تسعى على رزقها ورزق أولادها".

وعـــي تشـــكل منذ الطفولة من الحياة في الريف المصري، حيث كانت من المشاهد العادية في الحياة اليومية هو وقوف المرأة في العمل إلى جانب الزوج، وعدم استسلامها لمصيرها لو وقعت علـــى عاتقهـــا مسئولية الإنفاق على الأبناء، ادخرت صديقتنا من المـــال القلـــيل الـــذي كـــان الزوج يرسله من عمله في الخارج، واشـــترت قطعة أرض، ووفرت بعملها وإشرافها على البناء من ميزانية بناء المنزل.

ثم ماذا بعد...

علمـــت عن طريق الصدفة بعد هذا بزواج الزوج من امرأة ثانية في ليبيا وإنجابها منه، فماذا كان قرارها ؟

تقول صديقتنا:

"كانـــت ســـلفتي قـــاعدة في ليبيا هي وجوزها، وقالت لـــي حقولـــك حاجـــة ومـــا تزعلـــيش، جوزك متجوز ومخلف أربع عيـــــال، ده معناه إنه متجوز ومخلف من زمان، لما عـــــرفت عيطـــت ودخلت الحميات، فيه واحدة تسمـــع إن جـــوزها اتجوز علـــيها ومـــا تـــزعلـــش هتبقى سهلة دي، طب أعمل إيه، مفيش مســـتقبل لـــيه ولا أي حاجة، قلت أنا مش عايزاه، ما دام اتجوز وخلـــف، وكـــل ٣ أو ٤ ســـنين أما ينزل كده ، مش عايزاه، ما يخوشـــش علـــيه تانـــي، كرهته بقى عشان اتجوز، قلت لإخواتي خلاص طلبت منه الطلاق، راح مطلقني، وأنا بريته من كل حاجة علشان قال لي تسيبي أولادك، قلت لا".

تحملت صديقتنا تقتير الزوج في الإنفاق، وواجهت ذلك بالادخار، ومحاولة بناء منزل للأسرة، ولكنها لم تحتمل فكرة زواجه من امرأة أخرى، ولم يحتمل جسدها الصدمة فمرضت، والمرض قد يكون أحد أشكال تعبير المرأة عن رفضها لواقعها، ولكنها لم تستسلم رغم أنها كانت تتصور أن مستقبلها في الزواج، وطلبت الطلاق، ولم تحصل على مقابل مادي حتى تحتفظ بأولادها...

دخلت صديقتنا معترك الحياة العملية مسلحة بوعيها بأن على المرأة أن تدبر رزقها ورزق أولادها ــ وهو ما علمته لها تنشئتها الاجتماعية في الريف.

تقول صديقتنا:

"لما جوزي طلقني، قال كفاية تعليم كده على الأولاد قلت له ما لكش دعوة، أنت عايش معانا، ما لكش دعوة الشيء اللي أنا اتحرمت منه كله، لازم أخلي أولادي يشوفوه، لازم أعلم ولادي وأقف جنبهم".

اتخذت قراراً مصيرياً، وهو استكمال تعليم الأبناء بعد تخلي الأب عن مسئوليته تجاههم، فقد كانت إحدى القيم الاجتماعية التي تتشبع بها نساء بعض الشرائح الوسطى سواء ذوو الأصول الريفية أو الحضرية هي قيمة تعليم الأبناء، وأن إنجاز الأم لهذه الخطوة هو ما يحقق لها رأسمالاً اجتماعياً في محيطها الاجتماعي.

تقول صديقتنا:

"لوحدي ربيت أولادي، دول، كل الحتة بيحلفوا بيه يقولوا لي إنـــت واحدة ست، دلوقت الراجل عايش مع الست، ومش عارفين يعلموا أولادهم".

هو بالفعل قرارها الخاص باستكمال تعليم الأبناء وكشكل من أشكال التحدي للزوج المتخلي عن مسئولياته، ومن أجل أن يحقق الأبـــناء ما عجزت الأم عن الحصول عليه، ولكن كانت هناك منذ أكـــثر مـــن ربع قـــــرن من الظروف الاقتصادية والسياسية ما يســـاعد مـــثل هـــذه الأم على تحقيق حلمها، فالتعليم لم يكن مكلفاً اقتصادياً مثلما هو الآن في مجتمعنا المصري، وكانت هناك بعض السياســـات الاجتماعية التي تمكن كثيراً من أسر الطبقات الوسطى وحـــتى الدنيا على تعليم أولادها... ربما القرار أكثر صعوبة على أم في مثل هذه الظروف الآن...

ولنستكمل رحلة صديقتنا حيث تقول:

"بعـــد كده قلت أعمل إيه بقى، الشقة اللي في الدور الأرضي دي بتاعتـــي رحت فاتحة فيها دكان، وقلت أتعلم أي صنعة، جبت ماكيـــنة خـــياطة، وقعدت أتعلم، ما اتعلمتش، مخي ما كانش في الخياطة، رحت فاتحة محل كوافير، وجبت واحد صنايعي يعلمني، أعمـــل الوش والحاجات دي، أهو قرش يجيني وخلاص، وبعدما بعـــت ماكيـــنة الخياطة واشتريت بها حاجات للكوافير، واتعلمت مكـــوة الشعر، وكنت باشتغل في المحل مع الصنايعي، اللي بيجي نقســـمه سوا ولكن لما لاقيت الشغل قليل مشيت الصنايعي، وبقيت

أشتغل لوحدي واشتغلت في محلات تانية، رحت كوافيرات تانية، عشان أعلم أولادي".

استثمرت المنزل الصغير الذي بنته، حيث استفادت منه بافتتاح محل صغير فيه، وسعت لتعلم حرفة، حيث لم تتح لها أسرتها أي فرصة للتعليم، وحينما لم توفق في إحدى الحرف، انتقلت بسلاسة على حرفة أخرى، وسعت إلى تعلمها على يد حرفي متمرس بالعمل، وحينما قل العمل، لم تستمر في اعتمادها عليه، حيث كان يقتسم معها الدخل القليل، فعملت بمفردها في محلها الخاص إلى جانب العمل في محلات أخرى، كانت عملية وسريعة في اتخاذ القرار الذي يتلاءم مع صالح أسرتها وتعليم أبناءها، لم تعتمد على إخوتها في الإنفاق على الأبناء، وإن كانت قد أنجزت هدفها مستعينة بقدرتها على العمل، وبقدرتها على تعلم حرفة وهي في سن ليست صغيرة، إلا أنها قد دفعت الثمن من صحتها الجسدية ولكنها لا تبالي بهذا في مقابل الفخر الاجتماعي الذي تشعر به بأولادها في منطقتها الشعبية.

حيث تقول:

"عييت، كنت بتعب، وجالي الدوالي في رجليه، عشان أولادي، عشان أربيهم وأمسكهم شهادات، لو سألتي في الشارع يحلفوا بي وبأولادي وبيحترموا الصغيرة دي زي الكبار بالضبط، عشان هم محترمين، في الشارع اللي يتعلم بياخد دبلوم، لكن أودلاي كلهم اتخرجوا من الجامعة".

إنهـا تشـعر بـتمايزها عن أهل منطقتها الشعبية، وذلك من خـلال ما حصل عليه أبناؤها من تعليم عال مقارنة بتعلـيم أبناء المـنطقة، والذي لا يتعدى حدود التعليم المتوسط، وقد كانت هذه إحـدى القيم التي تحرص عليها أسر بعض الفئات الاجتماعية ألا وهـي قـيمة التعليم الجامعي، واعتباره معياراً للتمايز الاجتماعي ومحلاً للفخر والإعجاب.

أمـا الآن ومع البطالة التي تطول خريجي الجامعات فالأمر اختلف بـدرجة كبيرة.

ربمـا يشبه مسار صديقتنا التي قررت العمل من أجل تعليم الأبـناء، بعـد طـلاق الـزوج وتخليه، مسار أمهات في شرائح اجتماعية مختلفة، حيث كانت ثقافة المجتمع والبيئة المحيطة تشجع الأم علـى القيام بهذا الدور، وتعتبره من التضحيات الواجبة على الأم، وتنسى المرأة عادة في خضم هذه الرحلة احتياجاتها الإنسانية والعاطفـية، وقد تكبت هذه الاحتياجات، وهو ما نجده في أمهات كثـيرات وقد يدفع الأبناء فيما بعد ثمن هذه التضحية من إحساس الأم بامتلاكها حياة أبنائها التي ضحت من أجلهم، ربما كانت هذه صـورة شـائعة بعض الشيء، وتدعم اجتماعياً، بتبجيل الأم التي تفعـل هذا، وباعتبار سلوك الأبناء الذين يرفضون تحكم وامتلاك الأم المضحية عقوقاً للأم.

اختلفـت صـديقتنا اخـتلافاً كبـيراً عن صورة الأم المنكرة احتـياجاتها العاطفية بسبب الأبناء، كما انها لم تكن هي الأم التي

تطالب الأبناء بثمن وقوفها معهم، كيف كان ذلك، علينا بالاستماع إلى صديقتنا حيث تقول:

"قعـدت بعـد الطـلاق كده من غير جواز، وأنا حلوة كده، وبأخرج بشعري، ما كانش فيه تحجيبة وكده، وبقوا إخواتي يقولوا إنتـي إزاي تقعدي لوحدك بقيت أقول لهم أنا قاعدة بأولادي، طب يـا بنتـي مـا انتي لازم راجل يبقى يدخل ويخرج عليكي، لازم تـتجوزي، عشـان واحد يحميكي، واخويا جه ، جوزي التاني ده اتقـدم لأخويا، قلت له ليه، قال أهو راجل يدخل ويخرج ويصرف عليكـي، قلت طيب ووافق، هو مش حلو أبداً، قصير مش طويل، بس أنا ارتحت له، وأنا بقى حبيته بصراحة، واعتبرت إن ده أول جـوازي، وأول واحـد في حياتي، يعني كل الحنية اللي في الدنيا والحـب إديـته له، وحبيته جداً جداً، وكان أولادي اتجوزوا يعني اتجـوزت لمـا هم اتجوزوا وما كانش معايا غير بنتي الصغيرة وكانت مخطوبة".

لـم يكـن فقـط إلحاح الأخوة بضرورة زواجها، وبضرورة وجـود رجـل فـي حياتها لحمايتها والإنفاق عليها، هي دوافعها الوحـيدة للزواج مرة ثانية، ولكنها أحبت الزوج الثاني واعتبرته اختيارها الأول، حيث لم تتح لها، الزيجة الأولى فرصة الاختيار، وعلـى الرغم من أن كلا الزوجين قد جاء عبر الأقارب (العمة ثم الأخ) إلا أن ارتـياحها للثاني جعلها ترى أنه من اختيارها، ومما سـاعدها علـى اتخـاذ القرار هو إدراكها لانتهاء دورها بالنسبة للأبـناء بـزواجهم ولـم تهـتم كثيراً بالمعايير الشكلية في قبولها

الزوج، ولكن من عوامل موافقتها أن الزوج منفصل بالطلاق عن زوجته الأولى، كما أنه يعامل ابنتها التي تقيم معها معاملة طيبة.

"هـو لو ما كانش بيعامل بنتي كويس، ما كنتش عيشت معاه" بعـد هذه المقدمة الرومانيسة، نجدها الآن وقد طلبت الطلاق من هـذا الـزوج، لماذا تطلب المرأة الطلاق من رجل تحبه، وربما يكون هو فرصتها الأخيرة في الزواج.

تقول صديقتنا:

"هـو إنسان طيب جداً، بخيل جداً، طيب لا يضرب ولا يشتم ولا حاجـة حـرام، بس هو بخيل جداً، يعني الربع جنيه يعمل له الحساب، وده اللي مضايقني، ما يشيلش همي في أي حاجة، ومن يـوم ما تجوزته ما جبليش حتى إيشارب وكنت بقول زي بعضه أهـو فلوسـه القليلة على قرشين من المحل أولادي يدوني حاجة وأكمل المصروف، لأني خلاص عرفت طبعه وأنا شارياه، وقلت دي قسـمتي، ولكن هو ما كانش بيديني الجنيه، إنما أنا اللي كنت بأديـه له، عمـره ما قال لي كلمة حلوة، وفي عيد ميلاده، كنت أعمـل حسابي أبقى عاملة جمعية وأجيب له قمصان وبنطلونات، وأنا في عيد ميلادي نفس الشهر ما يقوليش كل سنة وأنتي طيبة، ولا بيديني وش، ولا يضحك للرغيف السخن، حتى ما بيضحكش خالص ودايماً مكشر".

ربمـا تتغاضـى المرأة عن عدم قيام الرجل بالإنفاق عليها، خاصـة إذا ما كان هو عائلها، ولكنها لا تتغاضى عن احتياجاتها

الإنسانية العاطفية، وتصبح أحد مبرراتها في طلب الطلاق إلى جانب عدم الإنفاق عليها الذي تتخذه الواجهة الاجتماعية التي تصدرها كسبب لطلبها الطلاق، فالمجتمع، وخاصة في بعض شرائحه – لا يدعم المرأة التي تطلب الطلاق لأسباب عاطفية.

ولكن صديقتنا تعي جيداً احتياجاتها من الزواج، وتعي حقوقها على الزوج، وخاصة عندما يتعلق الأمر بالجوانب العاطفية فتقول:

"دلوقتي كرهته من فعلة، لما يشوف واحدة تضحك له يضحك لها خلاص ويمشي معاها ويتفسح ويروح ويجي وأنا شفت صوره مع ستات، وآخر مرة كان قاعد مع واحدة وهي جارتهم ومتجوزة ومخلفة، يعني سايبني لوحدي وقاعد مع دي".

ولأنها اعتادت ألا تكون سلبية في مواجهة أزمات حياتها فلم تعرض بالعلاقات النسائية المتعددة للزوج، قامت بمواجهة عنيفة معه في إحدى تلك المرات، مما ترتب عليه طلاقه لها مرة أولى، تقول صديقتنا:

"أنا كنت سبته ورجعت له، بسبب الحريم اللي بيمشي معاهم، رحت لاقيت واحدة قاعدة معاه في المحل، على الكيس، "الزوج صاحب سوبر ماركت" قلت له إيه اللي مقعد دي كده جوه، راح مزعق لي وعلا صوته عليّا وقال لي إنتي طالقة، فبعت وقلت لأخواتي أنا واحدة محترمة يطلقني ما دام قال الكلمة عند مأذون".

لم ترض بالإهانة، وبأن ينطق الزوج بلفظة الطلاق شفاهة، بل أصرت على حدوث الطلاق فعلياً بسبب غضبه من مواجهة

بعلاقاتـــه النسائية، وتدخل الأصدقاء والأقارب من أجل إنهاء هذا الطـــلاق، فمـــا زال لدوائـــر الأصـــدقاء والأهل دور في احتواء المشكلات الاجتماعية، وخاصة حينما تصل إلى حد الطلاق.

تقول صديقتنا:

"فـــيه نـــاس هم أصحابنا، تدخلوا بينا ما هم شايفين إنه بعيد وبينشـــف لمـــا يســـيبني، فهـــم عايزيـــن إيه إنهم يريحوه فجابوه واتصـــدروا فـــي الصـــلح، قلت لهم يا ناس ده مش بيتعدل، قالوا هيـــتعدل، ويديكـــي مصـــروف، وقلت أنا مش عايزه منك حاجة خالص، غير إنك تبقى كويس معايا".

وافقت على العودة تحت إلحاح الأصدقاء التي ترى أنهم أكثر حرصـــاً عليه، فهي ترعاه أشد الرعاية مثلما تقول "أنا مخلياه زي صـــباع المـــوز، مخلـــياه زي الدكتور في الجامعة، في نظافته، ومهتمـــية بـــه، مش ورايا غيره، باعمل له الأكل اللي بيحبه، كل حاجـــة عايـــزها جاهـــزة، كـــل حاجة يبقى متهنن كده، حتى في الحاجات دي كمان (الجنس) ومش الحاجات دي اللي بقى الواحدة تطلبها الست لها كرامة، لو الواحدة بتحب جوزها وعايزاه، ممكن بس مش في كل وقت، مش كل وقت الواحدة تدوس على كرامتها، حـــتى تـــبقى عيبة في حق الواحدة اللي خلاني أرجع له أول مرة إني بحبه وشارياه ومش مستغنية عنه لكن هو كرامته بتوجعه، لو قـــال لـــي بحـــبك أو بخاف عليكي، وبقول له شايلين لك قلبك ده وحاطين بداله حجر".

تـــرى أنها قدمت للزوج كل ما يريد من اهتمام ورعاية حتى أنهـــا امتهنـــت كرامتها، حينما كانت تطلبه جنسياً فالمجتمع ينشئ الفتاة على ألا تطلب، فهذا امتصاص من كرامتها وصديقتنا تريدنا أن نـــرى إلى أي حد أحبت هذا الرجل ولكنه لم يستحق كل ذلك، وظـــل على امتهانه لها على المستوى العاطفي، إلى جانب تخليه عن الإنفاق عليها، وهي إن كانت كما قلنا لم تقف طويلاً أمام عدم الإنفـــاق، فقد حاولت أن تثنيه عن علاقاته النسائية بطرق مختلفة مـــنها المواجهة مثلما حدث في الطلاق الأول، والتهديد بالفضيحة كما سنرى حين تقول:

"قلت له هقول لجوز الست دي، وعلي وعلى أعدائي، بقى ما دام تخـــرب لي بيتي، لازم أخرب لها بيتها، وبعدين قلت خلاص مـــش هقـــابل الســـيئات بالسيئات، خلاص ربنا يكافئها هي وهو خلاص".

فكـــرت في الانتقام ولكنها تراجعت وفوضت أمرها إلى الله أملاً في إصلاحه.

حيث تقول:

"لو اتعدل دلوقت هارجع له، رغم الكره والحقد ده كله عليه" وغريـــب أمر هذه المرأة تنتقل من الحب الشديد إلى الكره والحقد الشـــديد، ومـــا بينهما من مساحة لإمكانية التناسى والغفران إذا ما رأت من الزوج الذي تحبه إمكانية الحفاظ على حياته معها، وعدم الاهـــتمام أو الانشـــغال بنساء أخريات فهذا ما يقطع حبل الرجعة تقول الزوجة:

"لما أقول له ما تقعدش مع دي، وما تمشيش مع دي، يبقى أنا غلطت، أدوس على كرامتي لما أشوفه قاعد مع واحدة غيري ما أتكلمش دمي بيتحرق، طب أعمل إيه، أسكت ماأقدرش".

إنها ترى حين تطلبه جنسياً، أن هذا امتهان لها كما نشأت اجتماعياً، ولكنها لا تقبل امتهانه لها بعلاقات مع أخريات، هذه هي دوافعها المحض ذاتية لطلب الطلاق، ولكنها تعززها بواجهات اجتماعية مقبولة ومدعمة لها، حين تقول:

"كل ما أتناقش معاه كلمتين يروح واخد بعضه وماشي، ويقطع الفلوس، يعني ما بيقعدش معايا قد ما بيعزل، ولما كلمته عن الست اللي ماشي معاها دي، قال لي إذا كان عاجبك، قلت له مش عاجبني، راح واخد بعضه وماشي، ومافتكرش انه مشي على طول، لأنه كان لسه جاي ما بقالوش شهر، قعدت أكلمه في التليفون أقول له انت عملتها زعلة، تعالى بقى، أنت بتمشي ليه، يقول طيب أنا جاي ويضحك عليّا أربع مرات وأنا أكلمه، ودول هم اللي كرهوني فيه، انني هنت نفسي وأتصل بك وأقول لك تعالى وما تجيش، رحت قلت خلاص مش عايزاه، بعت له على الطلاق على طول، وبأندم على كل يوم عشت معاه، بأندم على كل ساعة عشتها معاه، وده حب من طرف واحد، وبعدين كتر البعد بيعمل الجفا فكونه بعيد عني وما بيسألش فيه خلاص خلاني برضه كرهته أنا كرامتي اتهانت، أنا شارياه، وهو بايعني بالطريقة دي وده واجعني قوي، ومت من العياط، وأنا مش هعاشره خلاص، عشان أولادي بقى يصرفوا عليّا ويبقوا عارفين

إني ماليش غيرهم، لكن دلوقت بيقولوا على ذمة راجل، وأنا قلت لأمـــه كده، الناس بيقولوا إنني على ذمة راجل، أنا عايزه أخلص عشان أولادي يبقوا متوليني بقى".

تغلف رفضها الإنساني للزوج بسبب إهانته كرامتها وتفضيل أخـــرى علـــيها، وإدراكها بأن الأمر لم يعدو كونه حباً من طرفها فقط ، بملابسات اجتماعية تجعل طلبها الطلاق مقبولاً من وسطها الاجتماعـــي: حتى يتولى الأبناء الإنفاق عليها ففي بعض الأحيان يتحول ظل الرجل للمرأة إلى خسارة مادية واجتماعية لها، فتفضل أن تحطـــم هذا الظل بنفسها وهي بإصرارها على التمسك به رغم هجـــره لهـــا تخســـر أولادها الذين لا يحبون رؤية أمهم في هذا الموقف الاجتماعي حيث تقول:

"أولادي طـــبعاً مش قابلين الوضع بالمرة، مش عايزني أبقى كده، شايفين إن هو ما بيصرفش عليّا، وبيقولوا ترجعي له ليه، ما بـــيعملش حاجة، مش شايلك، بيسيبك بالتلات أربع شهور إيه اللي يخليه ييجي لك".

كمـــا يمكـــنها بـــالطلاق أن تســـتفيد من الإعانات التي تقدم للمطلقـــات وهي تملك من عزة النفس ما يمنعها من طلب مساعدة من أبنائها لها، حيث تقول صديقتنا:

"أنـــا عـــندي عزية نفس والله العظيم لدرجة إنني ما أقدرش أقـــول لهـــم إدوني فلوس، يعني ممكن، لكن هقول لهم سددوا لي ديوني".

هـــي تنـــتظر أن يهم أبناؤها بمساعدتها بمجرد طلاقها من زوجهـــا الثاني، ولكنها لا تبادر بطلب المساعدة فهي مثلما أشرنا مـــن قـــبل لـــم تطالـــب بثمن وقوفها إلى جوارهم حتى استكملوا تعليمهم.

وتـــتســـم صـــديقتنا بوعيها الاجتماعي الذي يجعلها لا تهاب أقـــاويل الـــناس عـــن المطلقـــة، وتضع نفسها في موضع أعلى اجتماعـــياً مـــن أهـــل منطقتها الذين من الممكن أن يتقولوا بشأن المطلقـــة، حيث يتحول وعيها بتمايزها وتمايز أبنائها الاجتماعي عـــن سكان منطقتها الاجتماعية إلى سلاح في يدها ضد أية أقاويل تنـــال من وضعيتها الاجتماعية كمطلقة.

"مـــا حدش بيقدر يتكلم عليّا، والمثل بيقول امشي عدل يحتار عـــدوك فيك، أنا كان حقي كله فـــي أولادي، واحنا كان مستوانا حلو قوي، ولما جينا المنطقة هنا، كان أولادي بيلبسوا البنطلونات وكـــان شكلنا كويس، مش لازم أجيب جلابية وطرحة زي معظم الـــناس هـــنا، وأنـــا كنت ساكنة في حتة راقية، فلما جيت هنا ما أخدتـــش طبع أي حد هنا، وإنما فضل لبسنا هو هو ونظافتنا هي هـــي ، ولمـــا اتجوزت تاني كانت كل الحكاية إن الواحدة عايزه راجل يضـــلل عليها ويصرف عليها مع الزمن، لكن إن حد يتكلم، ما حدش يقدر يتكلم علينا".

وعلـــى الجانـــب الآخـــر، ولأن الـــزواج الثاني قد أثر على وضـــعيتها الاقتصادية فانتقلت من وضع مستور إلى وضع مديون بســـبب إنفاقهـــا علـــى حـــياتها مع زوجها ولأن هذه الجيرة هي

رأسمالها الاجتماعي الآن، حيث ينظر إليها الجيران باحترام وتقدير لما فعلته من أجل أبنائها، فهي لا تقطع خطوط التواصل معهم، ولا يدفعها الإحساس بالتمايز الاجتماعي إلى التعالي عليهم حيث تقول:

"حنتنا دي جميلة جداً، وفيه أحسن وأشيك ناس هنا والله".

إن أقاويل الناس عن المرأة الوحيدة بدون زواج أو المرأة المطلقة لا تعنيها، ولا تصبح هي دافعها نحو الزواج أو الطلاق، وإنما المعنى كله يكمن في كينونة الرجل ودوره في حياتها العاطفية والاقتصادية. ولا يهمها الإنفاق دون المشاركة العاطفية والوجدانية، ففي حالة الزوج الأول تنازلت عن كل حقوقها المادية من أجل الاحتفاظ بالأبناء، ومع الزوج الثاني وفي طلاقها الأول منه تنازلت عن كل حقوقها المادية لأنها أدركت بوعيها أن مثل هذا الزوج لن يقدم لها شيئا، حيث يتسم بالبخل الشديد، وهي تشعر بالإهانة معه، وتريد الطلاق، وهي ترى مثل كثير من النساء في مجتمعنا أن الرجل حين لا يتكلف شيئاً في الزواج، فمن الممكن أن يخسره سريعاً، وهي ثقافة سائدة وتعلمها الأمهات للبنات، وربما تجد هذه الثقافة تجليات كثيرة لها، ومنها مغالاة بعض الأسر في طلب المهور، وفي الإصرار على كتابة القائمة، وعلى كتابة مؤخر، فكل هذه الأمور تعني أن الرجل سوف يفكر كثيراً قبل الإقدام على الطلاق حيث سيكلفه هذا الكثير من المال.

تقول صديقتنا:

هـو ما غرمش ليه حاجة، وما جابش حاجة، ده بيتي، وهو قـاعد في شقتي وحاجتي معايا وعفشى اللي أنا داخلة بيه، هو ما جابش حاجة خالص زي ما تكون جوازه ببلاش".

إن المـرأة مازالت في أوساط اجتماعية مختلفة تقيس قيمتها بقدر ما يتكلفه الزوج في هذا الزواج وبقدر ما ينفقه عليها، أي أن التثمين الاجتماعي لها يرتبط بالقيمة المادية التي يتكلفها الزوج.

رغـم طلـب صـديقتنا للطـلاق وإصرارها عليه، فإن هذه الخطـوة لم تأت كحل سريع بمجرد الاصطدام بمشاكل في الحياة الزوجية، ولكنها جاءت كخاتمة مطاف لمعاناة طويلة مع زوج لا فـائدة ولا رجاء منه وهي سمة كانت تميز جيل متوسط في العمر الآن مـن نسـاء بعـض الشرائح الوسطى، وهو الكفاح من أجل اسـتمرارية الـزواج، ومعالجة عيوبه والتلاؤم مع مشكلاته، أما الأجـيال الأحـدث الآن فقد أكدت دراسات متعددة ازدياد معدلات الطـلاق بينها عن معدلات الطلاق في الأجيال الأكبر سناً، وربما تؤكد لنا حالتنا تلك، وحالات أخرى متعددة إعادة النظر في الرؤية المبسطة التي ترى أن عدم إنفاق الزوج أو تحمل الزوجة للأعباء الاقتصـادية هـو العـامل الأول في ازدياد معدلات الطلاق الآن وخاصـة بين الشرائح الدنيا، والوسطى، فالأمر بحاجة إلى اختبار العوامـل الثقافـية فـي هذا السياق، والتحولات التي طرأت على وعـي النسـاء، وأيضاً التحولات التي طرأت على الدور التقليدي

للـــرجل فـــي المجـــتمع، وأثر هذا التحول على وعي المرأة في علاقتها بالرجل.

ولأن المـــرأة لم تتعود الاستسلام، فهي حاربت على أكثر من جـــبهة اجتماعـــية حـــتى تستمر متفاعلة وحية مثلما اعتادت عبر رحلتها في الحياة..

تقول صديقتنا:

"أنـــا مستنية لما أشوف آخرتها معاه، ودلوقت أنا بروح محو الأمية عشان أتعلم، وآخد سنة سادسة واولى إعدادي لأن أنا كنت فـــي مدرسة قبل ما أتجوز ودلوقت أنا مصرة على العلام، ونفسي أتعلـــم، بحاول وأولادي بيشجعوني، وعندي إصرار غريب على التعلـــيم وفـــي الفصل بتقول المدام إني بتعلم بسرعة، أنا جاية هنا بأعرف أقرأ، ولكن ما بعرفش أكتب، أنا عايزه أتعلم الكتابة لأنني مـــن يوم ما اتجوزت انشغلت ببيتي وعيالي وكله ونسيت الكتابة، ولما أروح دلوقت أي مصلحة حكومية، امضتي وحشة، طب ليه، وبعدين أنا شفت في التلفزيون أكبر مني مائة مرة بيتعلموا، الجهل وحـــش قـــوي، ويا ريت أشتغل شغلانة مستديمة، علشان ما فيش شـــغل فـــي المحل دلوقت وقفلته، مستعدة أقعد بعيال في حضانة أنضـــفهم وأخليهم زي الفل، والشغل يساعدني أسدد الحاجات اللي جايباها بالقسط/ ويبقى برضه ونس ليه".

تريد أن تتعلم، وتحقق ما لم يحققه لها الأبوان، ولم يحققه لها الـــزواج، تـــريد أن تعمـــل، فـــالعمل ليس فقط من أجل الحاجة

الاقتصـــادية ولكـــنه أيضاً ونس وهو معنى لم تعد بعض الفتيات الجامعـــيات الآن تؤكده فالمعاناة في العمل تجعلهن يفضلن الزواج واللاعمل...

هويدا

صديقة أخرى من قاع المجـــتمع، هاجرت أسرتها المكونة مـــن الأب والأم وسبعة من الأبناء والبنات من الريف إلى إحدى المـــدن الجـــديدة، حيث تقطن الأسرة جراجاً في إحدى العمارات غير المكتملة، ويعمل الأب والأم كحراس دائـــمين للعمارة لم ينل الأبـــناء والبـــنات أي قدر من التعليم ولم يسجلوا حتى رسمياً في ســـجل المواليد، فليس لأي منهم شهادة ميلاد... عرف عن الأب ميله لشرب الخمور وترك المنزل وهجر الزوجة والأولاد لفترات قـــد تطول وقد تقصر، يعود بعدها إلى المنـــزل كأن شيئاً لم يكن تـــتولى خلالها الأم الإنفاق على الأولاد مـــن الخدمات المنـــزلية المـــتفـــرقة التـــي تقدمها لبعض السيدات والأم رغم أنها تملك بعـــض قـــراريط مـــن الأرض في بلدتهم الريفية، إلا أن الأخوة يرفضـــون إعطاءها ميراثها، حتى لا ينفقه الـــزوج عـــلى شرب الخمور.

فهي بين فكي رحى بين زوجها وبين أشقائها:

ولا تملك من أمر نفسها شيئاً

فـــي هذه البيئة، وفي هذه الظروف نشأت صديقتنا وصديقتنا كانـــت بطلـــة لقصة هروب من المنزل والزواج العرفي من أحد

الشـباب المهاجريـن أيضـا إلى الحي كيف اتخذت صديقتنا هذا القرار، وكيف نفذته وماذا حدث بعد ذلك دعونا نتابع روايتها:

تقول الصديقة:

"أنـا عـندي ١٩ سنة، وكان نفسي أتعلم، وكان نفسي حتى يكـون عندي شهادة ميلاد، لكن أبويا ما طلعش شهادات لأي حد فيـنا، وأنـا صغيرة كانت نفسي مكسورة على طول، عمري ما فكـرت أبقى زي أي بنت، كنت بفكر في حاجات في دماغي أنا، مـا بقولش لحد عليها، بفكر يبقى عندي بيت زي الناس دية، بس كنـت هاديـة في كل حاجة، اللي يجيبوه لي ألبسه أخواتي كانوا بيشـتغلوا وأنـا علشان الكبيرة كنت قاعدة في البيت، أمي كانت تخـبز العـيش الكبـير ده وتبيعه، وأخواتي الصبيان في محلات وأختي اللي أصغر في البيوت، وأي حاجة يجيبوها لي أرضى بها وأحمد ربنا".

فـتاة فقـيرة قانعـة بمـا يحققه لها الأهل من مأكل وملبس متواضع، تحلم بمنزل مستقل مع أسرتها، وليس جراج عمارة، لا تجـد مـن تقـص عليه أحلامها، الأب لاه في حياته الخاصة مع أصـدقائه، الأم تعمل ليل نهار، الأخوة يعملون ثم يجتمعون جميعاً آخـر اللـيل منهكيـن، تمتلئ المنطقة بالمهاجرين من الريف إلى المديـنة، يعملـون فى الأغلب في مهن هامشية، كخفراء، بائعين متجوليـن، أو في حرف تقليدية كالنجارة، الحدادة، البناء، والحي الـذي تقطن فيه مازال في طور الإنشاء، تكثر به العمارات غير المكـتملة، وفـي الليل يسود الظلام أكثر جوانب الحي، وقد شكل

المهاجـــرون إليه مجتمعاً خاصاً بهم، تكثر فيه الصلات القرابية، فـــنجد عائلات ممتدة تشمل الأبوين وأولادهما وأخوتهما، ومع قلة فرص العمل المتاحة للشباب المهاجرين، وخاصة غير المتعلمين ، أو الذيـــن لا يمـــتلكون ما تحتاجه المصانع المنتشرة بالمدينة من مهارات فإن وقت الفراغ يتسع ويمتد وهنا التقت صديقتنا مع فتاها الـــذي أصبح زوجها فيما بعد زواجاً عرفياً كيف كانت البداية... وهي التكوينة القانعة بقدرها، الهادئة مع أسرتها، فلم تكن متمردة على حياتها معهم، فماذا حدث ؟

تقول الصديقة:

"أنـــا مشـــيت معـــاه بمزاجي وغصب عني، هو كان كويس ومحترم ولكن ما عندوش حاجة، كان شغال خفير، وكان بيجي لي خطـــاب أحسن منه، بس اللي أوافق عليه أبويا ما يوافقش، واللي مش عايزاه أبويا يوافق عليه، يعني دخل معايا دور عند ما كانش همـــه إلا الفلوس، وجوزي ده كان بيجي يقعد عندنا، وبتكلم معاه، وجـــه خطبنـــي من أبويا، فأبويا ما كانش موافق كان عايز واحد عنده شقة ودهب وعفش، كمان أبوه وأمه ما كانوش موافقين، أمه كانـــت عايـــزه تجـــوزه بنت خاله، وأنا وهو كنا نقعد نتكلم وأمي كانـــت موافقـــة علشان هي عارفة إن الواحدة عايزة تتجوز اللي تخـــتاره، فمـــا كانـــتش تبعتـــنا لما تلاقيني أكلمه، لكن أبويا كان يضـــربني ويشـــتمني، لو شافني بتكلم معاه، وبعدين في مرة كنا واقفيـــن نـــتكلم في بلكونة عمارة لسه ما خلصتش وما كانش حد

موجـــود، اتكلمـــنا شوية، محصلش حاجة، وبعدين دخل الشيطان بيـــنا، وحصـــل اللـــي حصـــل وجبت له مصحف وحلف إنه ما يسيبنيش ولا يفرط فيّا ولا أقول لحد السر بتاعنا".

"أنـــا مشـــيت بدماغي كنت موافقة بس جوايا مش مساعدني علـــى كـــده، وحاسة إني مترددة في المشي، ولما حصل اللي بينا حســـيت إنه خلاص ما حدش هيتجوزني تاني غيره، وكنت بفكر فـــي حاجـــات كتـــير أوي، وكنـــت بفكر أتجوز واحد يريحني، فبصراحة لقيته هو الإنسان اللي قدامي وهيريحني".

كـــان من الممكن ألا تختار هذا الرجل للارتباط به، فقد كان هناك غيره، ومن هم أفضل منه من وجهة نظرها، ولكن إصرار الأب علـــى عـــدم زواجه منها، واعتراض أبيه على هذا الزواج أيضـــاً، بالنسبة للأول اعترض من أجل المال ، والثاني من أجل تفضيل الزواج القرابي. هذه الاعتراضات مع شاب لا يعمل بشكل دائم ولا يملك شيئاً يتزوج به مع فتاة لا تجد من يهتم بأمرها، ولا تجـــد ما تفعله (لا تتعلم، لا تعمل) ولا تجد من يشاركها أحلامها، الـــتقاء يـــائس بيائسة، لا يجد كلاهما أمامه سوى الآخر وأصبح الارتـــباط بيـــنهما وتحـــدي الأبوين، بمثابة إعلان وجود بالنسبة للرجل، وورطة بالنسبة للفتاة تريد التخلص منها، ولأنها نشأت في بيئة تحرم العلاقات المفتوحة بين الشباب، فإن مجرد ارتكابها لهذا الفعل، كان يعني طريق اللاعودة في علاقتها به.

لقد لخصت موقفها بعبارة بليغة: مشيت بمزاجي وغصب عني، فالاختيار لم يكن حراً تماماً، ولكنه اختيار مفروض حيث لا يوجد بديل آخر.

تقول الصديقة:

"دي كانت واحدة في بلدنا حصل لبنتها اللي حصل لي، وجه واحد واتجوزها باللي شايلاه، وقالت أمه إنها هتعمل معروف وتجوز ابنها لواحدة في نفس ظروف بنتها لكن أنا أبويا دخل دور عند معايا، وجاب لي العريس ده، وقال لي هتاخديه، قلت له مش هاخده، والعريس قال أنا هاشيلها باللي هي فيه (أي بحملها)".

إنه تحول كبير أن تقرر أم أن تزوج ابنا بسيدة متزوجة عرفي وحامل في الوقت ذاته من ابنها، وأن يشجع الأب هذه الزيجة لمجرد ألا ينتصر عليه الغني الذي تزوج ابنته رغماً عنه، وإصرار الفتاة وقف عائقاً أمام هذه الزيجة المحتملة.

فتقول الفتاة:

"كان أبويا وجوزي داخلين دور عند مع بعض، والدي يقول له مش هتاخدها، وهو يقول له هاخدها غصب عنك، ولما والدي جاب لي العريس، ما وافقتش لأني كنت حاسة إن الإنسان اللي عمل معايا كده كان برضه شاريني، ماسابنيش، لكن لو كان سابني في الوقت ده كنت أحس إن قدامي طريق تاني أمشى فيه".

صراع الأب والزوج على الفتاة، كان صراعاً على سلعة ما، وهي تدرك بالفعل أنها سلعة، وقد وافقت على من اشتراها في

الأول وعـاد الاثنان بعد تدخل الشرطة، والتعهدات المتبادلة على الطرفين إلى الحياة في الحي مرة أخرى.

تقول الصديقة:

"بعـد ما رجعنا قعدنا في أوضة هنا فرشها حاجات كده على قدنـا، وأبويا تعب قوي علشان يطلع لي شهادة ميلاد عشان نكتب رسمي، وكلفته مصاريف كتير، وكان نفسي زي أي بنت بتتجوز فـي فرح، زي صحابي اللي اتجوزوا، وزي أي واحدة ما تخش علـى أوضـة نوم، لكن الناس قالوا لي تختاري الحاجات دي ولا سعادتك، قلت سعادتي".

هـل اختارت سعادتها بالفعل، وكيف ساءت الحياة بينها وبين زوجها، وبينها وبين أهلها ؟

لـم تكـن تعهـدات الشـرطة قـادرة على منع الاحتكاكات والصـراعات بين الأب والزوج، تلك الصراعات التي وجدت في القيم الثقافية التقليدية مجالاً رحباً للانطلاق...

فـي الـبداية جاء الخلاف على الترتيبات المادية التي تضمن حقوق الزوجة.

تقول الصديقة:

"أبويـا أخد عليه وصلات أمانة، وكتب قايمة، لكن ما جابش منها حاجة، بس أبويا بيهدده بالوصولات والقايمة".

الأب يعلم أن الزوج لا يملك شيئاً، ولكنه أراد أن يقيده بقيود تقـرنها الثقافة وهي كتابة القائمة وأضاف عليها إيصالات بمبالغ مالية على سبيل الأمانة، وهي إحدى آليات التهديد في حالة نشوب صـراع بينهما، كان من المفترض أن تؤدي هذه الأدوات دورها فـي الضغط على الزوج، حتى لا يسيء إلى الزوجة ولكنها لعبت دوراً عكسـياً إذ كانـت السبب الدائم للخلاف بين الزوجين، حيث يطلـب الـزوج مـنها أن تأتي له بهذه الأشياء من أبيها، والأب يرفض، وهي حائرة، ولأن الأب والزوج يعملان في نفس المنطقة كخفـراء فدائمـاً مـا تحـدث مشاكل بسبب سرقات تتعرض لها العمـارات، وفي إحدى تلك المرات ورط الزوج الأب في إحدى تلك المشاكل، وحدثت مشادات حادة بينهما.

تقول الزوجة:

"هـو وأبويا اتخانقوا، وأول ما اتخانق مع أهلي سبته ومشيت معـاهم، لأنـه كـانوا بيضـربوا بعـض، وكانوا ماسكين عصا وسكاكين، فأنا لقيت والدي اتعور فصعب عليّا فمشيت معاه، فقال لـي، تخسريني أنا ولا تخسري جوزك، قلت له مش عايزه أخسر حـد فـيكم، فقال لي ما ينفعش، ولما فكرت لقيت إني لو خسرت أهلـي ما يبقاش ليا أخوات، فده صعب إني أسيبهم، لكن لو سبته هـو ولكنـي والا حاجـة، مش مشكلة ييجي غيره، لكن أهلي ما يتعوضـوش، فمشيت مع أبويا، وقعدت عنده ٥ أيام، وجه والدي وقال لي لو رحت له من دماغك، من غير ما يبعت حد ياخدك لا

انـــت بنتي ولا أنا أعرفك، ولا تقولي لي أهل، فجيت تعبت فبعت لجـــوزي، وهو مش عايز ييجي ياخدني، وطبعاً لو أنا مشيت من نفســـي مقام أبويا يروح، وأتذل عليها طول عمري، فبعت له تاني واحـــدة جارتنا، فبعت لي واحد قريبه يروحني، أبويا وافق أروح مـــع قريب جوزي، وأول ما رحت اتخانق معايا وقال لي إنتي ما تتفعنـــيش... عجبك تقعدي في البيت زي الكلبة، مش عجبك على أهلـــك، طبعاً كنت لسه مروحة، ولو رجعت لأبويا تاني هتحصل مشاكل جامدة، قعدت واستحملت يومها ضربه وشتيمته".

مفروض على صديقتنا أن تختار دائماً إما الأب أو الزوج في أي مواجهـــة بيـــنهما، ولا يرضـــى أي منهما بأن تختارهما معاً، ويضغط كل منهما عليها بكل الطرق بداية من تهديده بمقاطعته هو وأخوتهـــا لها، وتحميلها مسئولية تعريض مقام الأب للامتهان بين أقاربه، إذا ما تجاسرت وتصالحت مع الزوج، ولأنها لم تقو على اتخـــاذ هـــذا الموقـــف بعد مرارة موقف الهروب في البداية فقد اخـــتارت موقـــف الأب، مـــع بعض المحاولات من جانبها عبر توسيط الجيران في الذهاب إلى الزوج وإثنائه عن موقفه، وعندما تـــم ذلـــك – لم تغفر لها هذه المحاولات مع الزوج، وأصر على عقابهـــا بالضرب والإهانة على وقوفها مع أبيها، فأصبح الصراع بيـــن الأب والزوج عنصراً حاضراً بشكل دائم في كل خلافاتهما ولـــم تعـــد هـــناك فرصة لحياة مستقلة لهما أو لأي تفاهم مشترك بيـــنهما وعلـــى الجانب الآخر، تدخلت أم الزوجة لإشعال الأمور

أكـــثر، فهي لم تنس رغبتها في زواج الابن من بنت أخيها، وكان هذا أيضاً مما يثير أوجاع صديقتنا.

تقول الصديقة:

"ساعات يبقى أسلوب أهله معايا كويس، وساعات بيكون زي الزفـــت وبـــتحمل وبرضه ما بروحش علشان المشاكل وأمه دايماً تقـــول له طلقها، ولما بخش عليهم بحس إني تعبانة، وإنهم بيبصوا لـــي بصة وحشة، ولما بروح لأمه علشان فلوس ولا حاجة، تقول لـــي مـــا تروحي تشتغلي هو إنتي تفضلي قاعدة كدة وتخدي مني وبـــس، أنـــا مخنوقة وغريبة معاهم، وأمه بتسلطه عليّا يبقى قاعد عايـــا حلو ويمشي عند أمه ألاقيه جاي شايط عليّا ويضربني من غـــير سبب، يعني يتلكك على أي حاجة صغيرة وهي لسه حاطة في دماغها إنها تجوزه قريبته يعني".

ولأن الزواج تم دون رضا أهل الطرفين، فما زال لكل منهما دور فـــي إشعال الخلافات بين الزوجين من أجل إنهائه فما الذي يجعل كل منهما يستجيب لأهله.

إنهـــا الظروف الاقتصادية القاهرة التي يحياها الزوجين، في تداخلها مع قيم ثقافية تحدد دور الرجل في الأسرة وكيفية صياغة العلاقة مع الزوجة.

تقول الصديقة:

"الظـــروف بتاعتـــنا مش مساعدة،هو تعبان وكان لازم يعمل عملـــية، ويـــوم نستلف ويوم نآكل عند أبويا، وهو كان مرتبه في الشـــهر ٢٠٠ جنيه، لكن دلوقت ما فيش شغل، ساعات والده يدي لـــه حاجة خمسين جنيه، أو ثلاثين جنيه، وهو بيدور على شغل، وأنـــا كمان بدور على شغل في البيوت، أو في مصنع أي حاجة، وهو كان معترض في الأول إني أشتغل علشان مافيش واحد ييجي يقـــول له إنـــت بـــتاكل من تحت إيد مراتك وأنا مش مشكلة إني أشـــتغل وأساعده، بس هو كمان يشتغل لأن الراجل اللي ياكل من تحـــت إيـــد مـــراته في بيت أبوها أحسن، وفي الآخر وافق إني أشـــتغل، هـــو كـــان معترض على شغلي لما كان بيجيب فلوس، فبالنســـبة للمتجوزة ما تقدرش تشتغل من غير أمره، يعني ممكن يقـــول لهـــا اشتغلي وممكن يقول لها ما تشتغليش، وهم مرتاحين ومـــش محتاجيـــن مش هيخليها تشتغل، لكن لما تكون عايزة وهو مش مدخل حاجة ما يقدرش يتكلم، فالفلوس هي اللي بتعدل الناس كلهـــا، لو معانا فلوس دلوقت هتلاقينا قاعدين مستريحين وما فيش أي مشاكل".

إن حضور الأهل في حياتهم بهذه الصورة مرده كما ترى هو احتـــياجهم المـــادي إليهم، وخاصة مع توقف الزوجة عن العمل، وهـــي تـــرى أن عمل المرأة غير ضروري إذا كان الزوج قادراً علـــى الإنفاق ولا يريد أن تعمل زوجته فهو قراره إذا كان قادراً اقتصـــادياً، أما إذا كان غير قادر فليس له حق الاعتراض، وهي توافـــق علـــى العمل ليس من منطلق الرغبة في العمل، ولكن من

مـــنطلق الاحتياج المادي وهي ترفض أن تعتمد الحياة الاقتصادية بالكامل عليها، فهي توافق على مساندة الزوجة، ولكن ترى أن من أهـــم أســـباب زواج الفـــتاة هو وجود رجل ينفق عليها إلى جانب عوامل أخرى تدفع الفتاة للزواج.

حيث تقول:

"لمـــا الواحدة تقعد من غير جواز الكلام بيكتر عليها، لكن لما تتجوز وتبقى في حما راجل محدش يتكلم عليها، لما يبقى معهاش راجـــل يقولوا عليها كلام مالوش لازمة وتبقى تعبانة من الكلام، لكـــن لما تبقى مع جوزها تبقى مش تعبانة من الكلام وممكن تبقى عيشـــتها مع جوزها صعبة، لكن الأصعب لما الناس تتكلم عليها، مـــع جوزهـــا يوم حلو ويوم وحش، ساعة حلوة وساعة نكد يعني أهي الحياة كده".

دوافعهـــا للزواج حتى الآن تتحدد في الحماية الثقافية من قبل الرجل لها في بيئتها المحلية والإنفاق عليها، حيث تفضل أن تقوم هي بهذه المهمة. تقول صديقتنا:

"كنـــت أحب أقعد في البيت زي أي ست وجوزها يجيب لها كل حاجة".

وفـــي المقـــابل هـــي ترى أن الكلمة الأخيرة يجب أن تكون للـــرجل ســـواء فـــي عملهـــا أو في حياتهما المشتركة ولا ترى غضاضة في ذلك إلا في حالة فرض رأيه بالعنف.

تقول صديقتنا:

"الـراجل هو اللي يمشي كلامه في البيت، الست مالهاش أي كـلام ولـو فيه حاجة مش على مزاجي، هو بيقول لي قولي لي علـيها، وممكن ينفذ رأيي لما أكون مريحاه وما فيش مشاكل بيني وبينه، لكن كلامه هو بيمشي عليّا دايماً، وكلامي ما يمشيش عليه ولما تكون فيه مشاكل بيني وبينه، يقف لي على الكلمة ويقول لي هتعملي غصب عنك اللي أنا عايزه، وساعات أكون بضحك معاه ياخدها هو بجد وممكن يضربني، وأنا ببقى ساكتة، يعني لو طلبت حاجة، واتكلم معايا وقال لي إنني أنا ظروفي، لما بيقول ده بهدوء بسكت، لكن لما بيقول بشخط وشتيمة، بحس إني تعبانة، بحس إنه مش عايزني".

ربمـا كنا نتخيل أن الفتاة التي تتخذ قرار الهروب من الأهل والزواج العرفي من شاب هي فتاة قادرة على فرض إرادتها، وأن علاقتها بالشاب هي علاقة بها ندية وتكافؤ، ولكن صديقتنا تلك لا تصـادق علـى هذه الرؤية، فهي فتاة مشبعة بكل القيم التي تؤكد سـيطرة الـرجل وسيادته في علاقتهما الزوجية، وأن كلمته هي الأولـى والأخـيرة بالنسـبة لها، وهي لا ترفض ذلك، بل كل ما تطلـبه هـو الطريقة التي يفرض بها سيطرته فهي تطلب طريقة هادئـة فـي الحوار، وليس فرضاً لرأي بالإهانة والضرب، إنها بـالفعل مفارقـة طريقة زواج غير تقليدية وغير معتادة في ظل علاقـة زواج تقلـيدية للغاية، إن طريقة الزواج تلك لا تعني أن هـناك تعديـلاً في الشروط التقليدية القائمة مع الزوج، ومع أهل الـزوجة لا يصل وعيها إلى حد الاقتراب من شكل العلاقات التي

تـــربط بين الرجل والمرأة في مؤسسة الزواج، والتي تدعم هيمنة طـــرف علـــى آخر، بل ترى أن مشكلاتها نابعة من الطريقة التي تزوجـــت بهـــا، ومن ثم فهي تندم على اتخذاها مثل هذه الخطوة، والتـــي تراها كما قد يظن البعض حقاً لها في اتخاذ قرار زواجها وهي البالغة الرشيدة.

تقول صديقتنا:

"حاســـة إنـــي ندمانة مدى الحياة، طول عمري ندمانة، يعني ســـاعات وأنـــا نايمة بحس إني ندمانة إني مشيت كده، أصلي أنا مشـــيت في طريق كله غلط مش في طريق صح، عملت غلط لما سبت أهلي، ومشيت معاه واتجوزته عرفي ودوست على كرامتي وعلـــى أهلي، وأنا دلوقت حاسة إنه مش مريحني برضه وتعبانة ولـــو جيت عند أهله وقلت لهم، هيقولوا إنتي اللي اختارتيه فأديني قـــاعدة وخـــلاص وحـــامده ربـــنا على اللي معايا، ويمكن ربنا بيمتحنـــي، أنـــا تعبـــت كتير، ومش مستريحة، حاسة إني عايزه أستريح فلاقيت ظروفي مش مساعداني، لاقيت نفس ظروفي وأنا بنـــت هي ظروفي دلوقتي مفيش حاجة اتغيرت خالص غير إن أنا اتجـــوزت يمكن كانت عيشتي في بيت أبويا كويسة شوية، وأديني اختارته ومالقتش سعادتي زي مالناس قالوا لي".

تـــرد صديقتنا الظروف الاجتماعية والاقتصادية الصعبة التي عاشتها مع أهلها إلى قرارها بالهروب والزواج العرفي على غير رغـــبة الأهل لها، وتشعر بالندم على أنها اتخذت مثل هذا القرار،

الذي لم يحقق لها السعادة مثلما أشار عليها البعض حين تخلت عن أحلامهـا الماديـة لصالح أحلامها بالسعادة مع زوج تتمناه، وكأن العقـاب هو ما تستحق لأنها اتخذت قرارها الخاص بالزواج من هـذا الشـاب فـي تلـك الملابسات التي كانت قهرية أكثر منها اختـيارية وهي غير قادرة على الشكوى منه ومضطرة لاحتمال كـل أنـواع الإهانة البدنية والمعنوية. وكأنه قدرها التي ترى أنه امتحان من الله لها، أن تفلسف الأمور دينياً حتى تحتمل مصيرها، وهي بعد أن تعرضت لتجربة قاسية مع إنجاب الطفل الذي حملت بـه قبل الزواج، ترى أنه ليس من حق من هي في مثل ظروفها فـي التفكير في الإنجاب، فهي تحت ضغط وقهر الظروف تتخلى عـن حلمها في الأمومة، والأمومة كانت بالنسبة لها أحد الأسباب الأساسية التي تدفع الفتاة إلى الزواج.

تقول صديقتنا:

"بالنسـبة للظـروف اللي أنا فيها دي مش عايزه يبقى عندي أولاد، يعنـي ابني اللي كان معايا وتعب وكنت به في المستشفى، علشـان جالـه جفـاف، الفلـوس قصرت معانا، كان بياخد حقن بـ ١٦ جنـيه وجيـت يوم ما قدرناش نشتري له الحقن أتوفى، وضـربني يومهـا وقـال لي إنتي اللي موتيه وقعد يعيط أسبوع، فالخلفـة مش لينا، الخلفة عايزه العيشة المستريحة، عايزه الراجل الشـغال، فابني تعب وربنا افتكره من الظروف دي لو كان عندي

أولاد كنت أحب ألبسهم أحسن لبس أجيب لهم أحسن حاجات وأعلمهم عشان ما يبقوش جهلة، يعني أربيهم أحسن تربية".

كانت تحلم بالأطفال الذين تعوض فيهم ومن خلالهم كل حرمانهم، من الطعام الجيد إلى الملابس الجيدة إلى التعليم الذي افتقدته ولكنها أصبحت ترى أن هذا الحلم ليس من حقها في مثل هذه الظروف، فوعي بعض النساء في الشرائح الدنيا باحباطهن في الحياة، وافتقادهن لكل ما حلمن به، جعلهن يتمنين وإن على مستوى الكلام عدم الإنجاب في مثل هذه الظروف، ويتحول أطفالهن إلى عمالة صغيرة، حيث لا يسمح لهن الواقع المرير بغير ذلك، وهذا ضد المقولات التي ترى أن كثرة الإنجاب في هذه الشريحة مرده الجهل، هو ليس الجهل، ولكنها "أرخص ليالي" على حد رؤية كاتبنا المبدع يوسف إدريس كما أنها قلة الحيلة في تلك الظروف الاقتصادية والاجتماعية القاهرة، ترى صديقتنا أنها بهذه الزيجة قد تخلت عن كثير من أحلامها ولا تطلب من الزوج سوى التقدير على الزواج وما تفعله، الذي يبدو أن والدته تدبر له، وقد وجدنا في حالات سابقة أن هذا هو مطلب بعض النساء في شرائح مختلفة، حيث لا يجدن أي مبرر من وجهة نظرهن للزواج الثاني أو الثالث للزوجة طالما هي توفر له كل ما يحتاجه، وتحتمل كل ظروفه.

تقول الصديقة:

"أمـــه قالـــت لي والله بنت خاله مستنياه لحد دلوقتي، قلت لها وأنا مستعدة إنها تيجي تعيش معايا، وأقرأ له الفاتحة وأجوزه بس أنـــا عارفة إنه مش معاه يتجوز، يريحني أنا وبعدين يبقى يتجوز ماللـــي هايـــتجوزها دي عايزه تاكل وتشرب وتلبس، وعايزه كل حاجة، لكن أنا ما بتكلمش على أي حاجة، لو لفت الدنيا كلها مش هتلاقـــي واحـــد زي، يوم ناكلها بمش، ويوم ناكلها بملح ويوم ما نكلـــش خالص ومستحملة كل ده وما بحكيش حتى لوالدتي، يعني بفضـــل طـــول الـــنهار لحد ما أنام من غير أكل، أنا راضية بكل حاجـــة، لأنـــي كنـــت عارفة الظروف ديه في بيتنا وكنت متربية علـــيها لو واحدة تانية يمكن ما كانتش ترضى بكل ده لا دهب ولا فـــرح ولا حاجة يعني بنت خاله اللي عايزين يجوزوها له هيعمل لها فرح ويدفع لها مهر ويجيب لها أوضة نوم وهتصرف، لكن أنا مـــا كلفتوش أي حاجة والله لما يكون مريحني يروح يتجوز، بس أنـــا عارفة إنه مش هيقدر وبعدين يتجوز ليه هو أنا مخلياه عايز أي حاجة، قال نفسي في الخلفة خلفت ومنضفة هدومه، يعني اللي يـــتجوز تاني يكون تعبان في حياته مراته مش بتخلف، تعبان في المواضيع اللي بينه وبينها (تقصد الجنس)".

تـــرى صديقتنا أن مبررات الزواج الثاني المقبولة من وجهة نظرها هي عدم الإنجاب، الزوجة غير المكتملة لظروف زواجها الاقتصـــادية، المشاكل الجنسية، عدم رعاية المنزل ورعاية الزوج من مأكل وملبس ونظافة.

إذا كانت كل هذه المبررات غير قائمة، فلماذا الزواج الثاني. عدم قيام المرأة بدورها التقليدي من الإشباع الجنسي للرجل والإنجاب ورعاية المنزل هي المبررات الأقوى للزواج الثاني، حتى من وجهة نظر المرأة، أما المرأة فقد تتغاضى عن إحدى مهمات الرجل التقليدية، ألا وهي الإنفاق، وبينما يتغاضى الرجال في بعض الشرائح الدنيا والوسطى عن قيامهم بهذا الدور التقليدي، فهم لا يتغاضون في المقابل عن بعض المهمات المحددة في دور المرأة التقليدي كما أسلفنا القول...

وصديقتنا ترى في النهاية أن الزواج المبكر ، تجربة مريرة بالنسبة للفتاة

حيث تقول:

"والله الأحسن للبنات إنها تتعلم، لأن أنا تعبت، فالبنت الصغيرة بتتعب في حاجات كتيرة، متستحملش جوزها لو هو عصبي برضه بتتعب في الخلفة، أنا مثلاً تعبت قوي في الخلفة، وفيه حاجات كتيرة، لما تتجوز بدري بتبقى كبيرة عليها، يعني ممكن تبقى مع جوزها مش مستحملة تعبانة وممكن من ناحية الماديات تكون تعبانة لكن لما تكون كبيرة تقدر تستحمل وتفهم أي حاجة، كمان تكون اشتغلت وجابت حاجة وتعرف تتكلم".

تعود مرة أخرى صديقتنا لحلمها الأول في التعلم والعمل، وترى أن حصول المرأة عليهما يفتح الطريق أمامها لزواج ناجح متكافئ تقدر المرأة فيه على المشاركة، فهل تصدق هذه الرؤية على نساء تعلمن وعملن، هل فتح التعليم والعمل أمامهن الطريق

لــزواج نــاجح، هذا ما تتصوره صديقتنا، فهل هذا حقيقي دعونا نقــرأ قصصاً لنساء أخريات حصلن على العمل والتعليم فماذا كان مصير زواجهن ؟

الخاتمة

كثرت الدراسات التي تناولت الأسرة المصرية، والتحولات التي طرأت على أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية، وخاصة في ظل التحولات التي واجهت المجتمع المصري منذ تسعينيات القرن الماضي، والتي أشرنا إليها في المقدمة، وكان الزواج باعتباره الإطار الوحيد المقبول للجنس والأمومة والأبوة، هو محور اهتمام بعض هذه الدراسات، فالزواج فرض قضاياه الملحة بداية من كيفية اختيار الزوج أو الزوجة، والشروط الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، التي تحدد هذا الاختيار، وترتيبات الزواج ومن يقوم بها ، ودور الأسرة في هذه الترتيبات، والضمانات المادية التي تكفل استمرارية هذا الزواج، ونمط العلاقة غير المتكافئة بين الزوجين داخل مؤسسة الزواج، وتعدد الزوجات ومبرراته الاجتماعية – الثقافية، ثم الطلاق ودوافعه، وشروطه ونتائجه، وعنف الزوج الممارس ضد المرأة وتفكك الأسرة وآثاره على الأبناء، وأخيراً دراسات تناولت ظواهر قديمة – جديدة في المجتمع المصري مثل الزواج العرفي، والعوامل التي نفخت الروح في هذا الشكل من الزواج وأعادته إلى مسرح حياتنا الاجتماعية بشدة وخاصة منذ التسعينيات، ولأن هدف دراستنا تمحور حول أثر التغيرات الهيكلية التي مر بها المجتمع المصري منذ منتصف التسعينيات وحتى الآن على كل القضايا المذكورة سابقاً، فقد آثرنا أن ننحو منحى مختلفاً في تحليل هذه القضايا، وذلك عبر سرد نساء

الشـــريحتين الدنـــيا والوســـطى، باعتبارهن أحد أضلاع الأسرة الأساســية لتفاصــيل حياتهــن اليومــية، لنعيد طرح السؤال مرة أخرى، ومن خلال عينة دراســتنا المحدودة ألا وهو : هل تؤدي خــيارات المرأة وممارستها اليومية وتحايلها على العرف والتقاليد مــن داخــل الثقافة، ومن داخل النظام القانوني السائد، إلى تأكيد الــنظام الاجتماعــي وهياكله، حيث يصبح هذا التحايل أفضل من الــتمرد وكســر الحدود الثقافية، مثلما ترى Hood Far ، أم أن ممارســات المــرأة فـــي حياتها اليومية، وهـــي تسعى لتعديل وتغيــير شروط حياتها عبر التمرد على هــذه الشروط، أو حتى الــتحايل علــيها دونما مواجهة صريحة لها، لا يعني بالضرورة تأكــيد الــنظام الاجتماعــي وهياكله مرة أخرى، بل قد يعني دق مســـمار ضــعيف وهش في نعش هذا النظام، بحاجة إلى فئوس قويــة، وليست مسامير ضعيفة حتى ينتهي أمره، إن قصة المرأة فــي المجــتمع ليست قصة تقدم خطى دائم، كما أنها ليست قصة خضوع مطلق، ولكنها قصة بشر يسعين بكل ما يملكن من موارد اجتماعــية، حــتى ولــو شــحيحية في الخلاص من قهر واقعهن الاقتصــادي والاجتماعي والثقافي ولأن الأمر ليس محض اختيار وتحــد فــردي، ولكــنه مغلف ومحاط بظروف تاريخية وراهنة صــارخة فــي لا مســاواتها وقهرها، لذا تتفاوت إمكانياتهن في مواجهة هذه التحديات.

ورغــم كــل نضالات النساء المصريات اليومية فما زالت الــتحديات الراهنة هي تحدياتنا منذ نصف قرن أو أكثر، وإن كان

هـذا لا يعني خضوع المصريات، ولكنه يشير إلى فشل سياسات التنمـية وخاصـة في التسعينيات من القرن الماضي، وتحيز هذه السياسـات علـى مسـتوى الفعل والممارسات الفعلية إلى جانب شـرائح بعينها في المجتمع المصري، وتضخم خطابها في الوقت ذاتـه الـذي يدعي التحيز - وهو ضجيج بلا طحن - إلى جانب الفقراء المقهورين.

لقـد اتضـح لنا ومـن خـلال سيـر حياة بطـلاتنا أن النسـاء المصـريات شأنـهن شأن الرجال فـي المجتـمع، وإن كـان بـدرجـات مخـتـلفة، ما زلن يبحثن عن فرصة التعليم، وعمـل آدمـي، وسـكن، مازلن يبحثن عن قوانين عـادلة تحكم العلاقة بين الحكام والمحكوم، مازلـن يبحثن عن حـرية حركة، دونما قيود ثقافية، وأن النساء المصريات لم يتخلـين عن حلمهن بالأسـرة، باعتـبارها الإطار المشروع للأحلام الفردية من حب وسـكن وإنجـاب واسـتـقرار، ولكنهـن يبحثن عـن شـروط أفـضـل تحكـم مـؤسسة الزواج، أي مازالت المصريات شأن كافـة المصريين، يبحثن عن العـدالة ولقد اتـضح لنا من خلال الحديـث إلى هؤلاء النساء، أنهن أعدن النظر في بعض المفاهيم ذات الدلالـة الـتى يتصـور البعض أن هـناك اتفاقاً عليها في المجتمع مثـل مفهـوم العدل ذاته، فالعدل بالنسـبة لامرأة تزوج علـيها زوجهـا، دون مبرر مقبول لديها، هو أن تمـلك؛ الزوجة الأولـى كـل مـا كافحت مع الزوج من أجله، لا أن تملكه امرأة أخـرى، حتى ولو كانت الشريعة تقول غير ذلك. إنها ترى العدل

بمنظور مختلف على الرغم من كونها لا تتخذ موقفاً عدائياً أو رافضاً للدين، على العكس من ذلك هي تعتمد على الله في كل خطواتها، وترضى بالمكتوب، ولكنها لا ترضى بالمكتوب الاجتماعي، فنراها تتمرد عليه في لحظات تسأل الله أن يغفر لها ما تفعله، عندما تجبر إحداهن الزوج على عدم المبيت لدى الزوجة الثانية، ولو ليلة واحدة، وعندما تتمرد إحداهن على الزوج وترفض منحه جسدها، على الرغم مما استقر في وعيها عبر الخطاب الديني من أن هذا مخالف للدين، ولكن إحساسها بالمهانة والإذلال أقوى، فترفض وتدعو الله أن يغفر لها كما تدعوه – إحداهن – أن يغفر لها ترك الحجاب وخلعه بعد ارتدائه، فهي لم ترتد الحجاب لأنه يعبر عن ثقافة تقليدية ولكنها ارتدته لأنه تحول إلى ملاذ لها في لحظة معاناة اقتصادية ونفسية مع الزوج، ولم تخلعه لأن هذا يعبر عن موقف حداثي، ولكن لأنها كانت تبحث في ظل أزمتها عن شيء يحبب إليها الحياة مرة أخرى، فكانت أن استمعت لمن يقول لها إنها أكثر جمالاً بدون الحجاب، عل ارتكانها إلى الإحساس بالجمال يعوضها الزوج الضائع والمعاناة الاقتصادية، والاجتماعية.

إن لحجاب النساء مدلولات مختلفة، فقد يصبح تعبيراً عن الهوية الوطنية في مواجهة كل مهددات هذه الهوية، أو تعبيراً عن هوية دينية وتشبث بها في مواجهة أنماط متعددة من الانحلال الخلقي المنتشرة في المجتمع، أو قد يصبح سبيلاً لمواجهة أنماط استهلاكية لا قبل لبعض النساء بها، أو قد يتحول إلى دليل تمايز

طبقي، وخاصة مع التنوع الكبير في هذا الزي، سواء من حيث الشكل أو القيمة المادية، فمع صعود بعض الفئات الوسطى إلى فئات وسطى عليا أو إلى فئات عليا، تدعمت قيمة حجب المرأة عن النظر العام، حتى تتمايز تلك النساء عن نساء بعض الشرائح العليا، أو المشهورات اللاتي يتسمن في نظرهن بالتبذل والانحلال، أو عن نساء الشرائح الدنيا اللاتي يتعرضن لكل أشكال المضايقات والتحرشات الاجتماعية بهن، ودعم الخطاب الديني قيمة حجب المرأة وحجابها، كدليل على تمايز طبقي وأخلاقي لتلك النسوة من ناحية، وحتى يبارك الله لهن فيما حصلن عليه من تمايز، في مجتمع يعاني معظمه من تدني مستوى المعيشة من ناحية أخرى، فكأن الحجاب هو السبيل للحفاظ على هذا القدر من التميز والحراك لأعلى، وقد يصبح الحجاب هو الصورة المعدلة من الطرحة المصرية التي ترتديها المرأة في الريف وفي الأحياء الشعبية، وظهر هذا لدينا في النساء الفقيرات المهاجرات من الريف إلى المدينة، فحين هاجرن، كان الحجاب هو الشكل الجديد الذي حاولن من خلاله أن يتواصلن مع المدينة ويتشبهن ببعض نسائها، دون التخلي عن فكرة غطاء الشعر، لأن الخروج بدون هذا الغطاء يجعلهن عرضة للمهانة الاجتماعية.

ومثلما تتعدد مدلولات ارتداء الحجاب وخلعه لدى المرأة، تتداخل مع أوضاع اقتصادية وثقافية، كذلك يختلف موقفها من العمل فالمرأة لا تعمل، أو تكف عن العمل استجابة لمتغير واحد أو وحيد يدفعها للعمل أو لتركه، ولكنها من خلال تجربتها

الاجتماعية تدفعها جملة من العوامل تجعل موقفها من العمل تحكمه اعتبارات وقتية مثل كفاية الدخل أو عدم كفايته، موقف الرافض أو المؤسس للعمل، معاملة الزوج، ماذا يحقق لها العمل ذاته، ومن ثم نجد مواقف النساء من العمل يختلف طبقاً للحظة اتخاذهن لهذا القرار، وهنا تتبدى عقلانية النساء ووعيهن باللحظة المناسبة لاتخاذ هذا القرار، فكل منهن تبحث عن ظروف وشروط أفضل لحياتها ولحياة أسرتها، وتجد بعضهن في العمل هذا الأمل، كما قد تجده أخريات في الزواج، فالعمل يصبح هنا هو وسيلة الارتقاء قليلاً أو كثيراً بمستوى الحياة اليومية، وتتساوى الشرائح الدنيا والوسطى في ذلك، فالمرأة التي هجرها أو طلقها الزوج أو تزوج بأخرى، ولم تجد ما تنفقه على أولادها لا تسأل هل العمل يصح أو لا يصح أو هو حرام أم حلال، ولكنها تسعى إليه بكل قوة.

والمرأة التي عانت بسبب بخل زوجها، وحلت هي محله في الإنفاق على الأسرة، والفتاة المتعلمة التي عاشت الفقر وقهرها في طفولتها قررت أن يكون العمل والترقي فيه عبر دراسات متعددة، هو وسيلتها للحراك إلى موقع اجتماعي ينال قدراً أكبر من الاحترام الاجتماعي الذي طالما افتقدته في الطفولة، المرأة التي كفل لها الزوج كل الاحتياجات المادية، شعرت باحتياجها للونس والدفء الاجتماعي والذي حققه لها العمل.

كل تلك النساء لا يلقين بالاً إلى الخطابات والدعايات السياسية التي تدفع المرأة لترك العمل في ظروف البطالة التي

تجتاح المجتمع حتى يخلين مكانهن للرجال، ولا تلقي بالاً للخطابات الدينية التي تؤيد نفس الدعاوى تحت مبرر تنشئة الأطفال والتفرغ للأسرة، فقراراتها لا تصوغها خطابات دينية أو سياسية، ولكن تصوغها تجربة حياة يومية هي القادرة على اتخاذ ما يناسبها من قرارات،وإن كان هذا لا يعني عدم معاناتها من جراء الشروط الاجتماعية التي تمارس حريتها في اتخاذ القرار في ظلها، حتى للدرجة التي تدفعها فيها هذه الظروف إلى التخلي عن قرارها بقرار نقيض له، ولدينا مثال فيما قدمناه سابقاً، وهو امرأة من الشريحة الدنيا وأخرى من الشريحة المتوسطة فقد قبلت المرأة الأولى أن تقوم بكل الأدوار، أن تعمل- عندما تعطل الزوج المهاجر إلى المدينة الجديدة، ولم تستوعبه المصانع فيها – وأن تنفق على الأسرة، وترعى الأطفال، وتقوم بكل الأعمال المنزلية، بل وتتعرض للضرب المتكرر منه، وذلك في مقابل أن يظل الرجل يمثل لها الحماية الاجتماعية والثقافية، حتى لا تصبح مباحة لأي من كان، ولكن الرجل وتحت ضغط التحولات الاقتصادية المريرة، اعتمد على عمل المرأة، ولكن بقدر عال من الإحساس بالمهانة – أو يأكل من تحت يد المرأة – تحول إلى قاهر للمرأة التي تعوله، وهددها بالزواج من أخرى، فلم يكن عملها شفيعاً لها ليراعي الرجل ذلك ولأنها تعمل في ظروف قاسية حيث لا تأمين أو ساعات عمل محددة، أو حتى الاستمتاع بما تحصل عليه، فيأتي قرارها بترك العمل أو الإعلان عن ذلك، حتى يتولى الرجل مسئولية الإنفاق، فهي لا تريد الحرية التي تحققت لها عبر العمل،

والتي يمنحها لها الزوج، فهي تراها قيداً على آدميتها، وفي الوقت ذاتـه، محـدداً للـزوج للفكـاك مـن دوره التقليدي في الإنفاق، ويتصـارع الـزوجان، هي لا تريد أن تعمل وهو يريدها عاملة، وتـتحول القضية إلى صراع زوجي قد ينتهي في بعض الحالات بـالطلاق أو الـزواج بأخـرى، وهجر الأولى كلية أو حتى في الحـالات الأكثر مأساوية بالقتل، ويختفي المسئول الأول ألا وهو السياسات الاقتصادية التي حولت الرجال إلى عاطلين والنساء إلى عـاملات في شروط غير إنسانية خلف دعوى حقوق الزوج على زوجته وحقوق الزوجة على الزوج.

ويتصارع زوجان آخران حققا قدراً من الحراك الاجتماعي إلـى أعلى حول ذات القضية أتعمل المرأة أم لا، والزوج هنا من الشـريحة المتوسـطة والتـي استطاعت تحقيق قدر من الفائض الاقتصـادي يمكنه من الاستغناء عن عمل المرأة، وصراع المرأة معـه، فـالعمل هـو نافذتها على الحياة وعلى علاقات اجتماعية وإنسـانية تفـتقدها فـي وحدتهـا في المنزل – مع عمل الزوج المتواصـل – ويسـتند الزوج لخطابات دينية ترى كل الخطر في احـتكاك الـرجال بالنساء سواء في العمل أو غيره من المجالات الاجتماعـية، ويصل الأمر أيضاً إلى الطلاق وتتحايل المرأة على قـرار الزوج لتستمر في العمل، بأن تتعطل فترة مؤقتة تثقل فيها كـاهل الزوج، بكل حركاتها وتنقلاتها وعلاقاتها الاجتماعية، فلا يجد مفراً سوى الرضوخ لرغبتها في العمل، وتحايلها هذا لم يدعم الـنظام الاجتماعي وهياكله، بل على العكس من ذلك دعم مكسباً

وحقاً للمرأة، فهي لا تفتقد الوعي، مثلما ترى بعض الدراسات ولكنه الوعي الذي يدفعها إلى الاختيار من بين بدائل عدة متاحة لها بما يحقق لها بعض المكاسب في حياتها اليومية.

فالعلاقة ليست علاقة حدية تتمثل في هيمنة طرف وخضوع للآخر، ولكنها مجال، قد يتسم بعدم التكافؤ نظراً لما يملكه كل طرف من إمكانات للقوة، يمكنه التلاعب بها، والمرأة ليست خاضعة أو مفتقدة للقوة بشكل كامل في ممارستها اليومية، ولكنها ليست خارقة في ظل الشروط السياسية والاقتصادية والثقافية التي تحيا في ظلها، والتي تحد من قدرتها على صياغة حياتها مثلما تحلم وتريد، والمورد الذي تملكه كل النساء ويتلاعبن به أحياناً، ويخضعن لما يقرره المجتمع أحياناً أخرى هو الجسد، فهو مصدر قوتها وضعفها في الوقت ذاته، هو عرضة للاغتصاب عندما تتعدى حدودها الاجتماعية، وعرضة للضرب حينما لا تخضع للزوج، كما أنها وسيلة استثمار تحقق عبره أهدافها وما تسعى إلى الحصول عليه، فهو وسيلة الضغط على الزوج والرجل عامة، والجنس هو ساحة لقاء قوة الرجل الاقتصادية والاجتماعية مع تدني وضع المرأة سواء على المستوى الثقافي أو الاقتصادي أو التعليمي، فالجنس هو ساحة التعبير عن علاقات القوة غير المتكافئة بين الطرفين، وقد يصبح عدم التحقق الجنسي للمرأة هو الدافع وراء الطلاق، ولكنه الدافع غير المعلن، حيث لن يقدر المجتمع هذا الإعلان، ومن ثم يتخفى وراء أسباب اقتصادية، مثل عدم الإنفاق مثلاً والنساء مازلن لا يطلبن ممارسة الجنس

مـــع أزواجهـــن فمـــازلن خاضعات للنظرة التي ترى في ذلك الطلـــب خدشـــاً للكرامة والحياء، ويدعم المجتمع هذا الأمر عندما يضـــع خطوطاً فاصلة بين المرأة المحترمة وتلك غير المحترمة، حيـــث لا يقـــبل بعض الرجال الزواج من امرأة تبوح برغباتها واحتـــياجاتها وخاصة في بعـــض الشرائح الوسطى، حيث تلتحم المـــرأة مـــع صـــورة للمـــرأة المحـــترمة وتسعى لقبول الرجل ممـــارستها داخل هذه الصورة.

ويـــتحول الجنس عند بعض الشرائح الدنيا إلى وظيفة تؤديها المـــرأة، كمـــا تؤدي واجباتها المنزلية الأخرى، ولا تراه أبعد من ذلـــك، فكما يحتاج الرجل إلى الزوجة في تحقيق احتياجاته اليومية مـــن مأكل وملبس إلخ، فهو يحتاج إلى الزوجة في تلبية احتياجاته الجنسية، وترفض بعض النساء ممارسة الجنس بانتظام في العلاقة الزوجـــية، وتـــتفاوت المـــبررات ما بين عدم تقديرها للزوج، أو التنشـــئة الاجتماعية الصارمة التي تتعامل مع الجنس كعيب والتي تكبـــت رغـــبات النساء الجنسية، أو لعدم تحقـــق صـــورة الرجل المثالـــي لديهـــا، أو لانشـــغالها بالصعود الاجتماعي، ولـــم يكن الزواج بالنسبة إليها أكثر من سلم لهذا الصعود.

وتتحايل النساء أيضاً – وكذا الرجال – على القوانين حينما تغـــتال أحلامهـــا في الفكاك من زواج لا تقبله ولا تريده فرضته علـــيها الالـــتزامات الثقافية، فتجمع بين أكثر من زوج في الوقت نفســـه، وذلـــك عـــندما تهـــرب من زواج مجبرة عليه إلى زواج تخـــتاره، فـــتجمع بيـــن الاثنين، تتحدى الشرع والقانون والتقاليد،

وتستمر في التحدي والهروب خوفاً من عواقب مواجهتها فالخوف يصبح دافعها للتحدي، ويمتزج الخوف من الأهل بالخوف من السلطة التنفيذية – والشرطة هنا تمثلها – التي لا ترحم، وتتحول إلى امرأة مدانة اجتماعياً وتستحق كل ما يحدث لها، وربما يتعامل معها الرجل الذي هربت من أجله كبغى، عليها طاعته فهو سيدها فلا تكسب شيئاً بهذه الخطوة، التي اندفعت إليها تحت ضغط الحاجة الاقتصادية في البحث عن مأوى وعن مصدر للإنفاق أو تحت ضغط ثقافي يتمثل في قهر أهل الزوج لها وله وعدم قدرته على حمايتها اجتماعياً، وقد تعود مرة أخرى ذليلة إلى الحظيرة التقليدية، أو قد تستمر في الهروب والتنقل من زوج إلى زوج حتى تقع في قبضة القانون الذي لن يرحمها وإن كانت هناك نساء يتساءلن الآن، لماذا يجب عليهن الزواج، وقد يخترن عدم الزواج فهناك نساء أخريات وخاصة في الشرائح الدنيا لا يتساءلن مثل هذا السؤال، فالزواج في نظرهن شيء طبيعي لا يسأل عن سببه، ولكن لأننا كباحثات مشغولات بهذا السؤال، فإننا نطرحه عليهن، وبعد الابتسامة المستنكرة منهن لهذا التساؤل يبحثن عن دوافعهن للزواج، مثل الغيرة من زواج فتيات أخريات، الرغبة في الهروب من قسوة الأب أو الأم، إنجاب الأطفال، الحلم بمنزل المستقبل، الهرب من السمعة الاجتماعية التي تلتصق بالفتاة غير المتزوجة، وعلى الرغم من أن الزواج قد لا يحقق لهن هذه الأهداف، حيث تستبدل قسوة الوالدين بقسوة الزوج، وحيث لا يمكن للزوج توفير مسكن مستقل، أو توفير الاحتياجات اليومية ، وحيث لا تنجب

المـــرأة، إلا أنهـــن يظللن على نفس الاختيار، أي اختيار الزواج، فالمـــرأة هـــنا لا تبحث عن انفصال عن الرجل فهي ترضى بأقل القلـــيل، وهـــي الحماية التي تحققها لها لافتة امرأة متزوجة، وإن كانـــت بعـــض النســـاء الآن، فضلن لقب مطلقة مع كل مشكلاته الاجتماعـــية مـــن أجل الحصول على المساعدات الاقتصادية التي تقدمها الدولة أو بعض الجمعيات الأهلية للنساء المطلقات، وتحرم مـــنها غـــير المطلقـــات مهمـــا كانت معاناتهن، وهو الأمر الذي يستوجب إعادة النظر في الفلسفة التي تقوم عليها سياسات التأمين الاجتماعي ومؤسسات الرعاية الاجتماعية.

ورغـــم أن النســـاء الســـابقات اســـتنكرن تساؤلاً عن لماذا يتزوجن إلا أن إجاباتهن جاءت كاشفة عن وعي بمبررات الزواج الاجتماعـــية والاقتصـــادية، وهي صاغته شروط حياة قاسية، هذا الوعـــي الـــذي يدفـــع بعضهن إلى اختيار أنماط من الزواج قد لا تحقق لهن ما يردن مثل الزواج العرفي أو الزواج من رجال كبار موســـرين سواء كانوا مصريين أو غير مصريين، فقد تتمرد فتاة علـــى نمط الزواج المرتب، ولا ترى فيه إشباعاً لاحتياجاتها أو قد لا تمـــيل إلـــى الـــرجل الذي اختاره الأب لها، وتلجأ إلى الزواج العرفي ممن تختاره هي، وهي تدرك أنه ليس اختياراً حراً تماماً، ولكـــنه اختـــيار بين احتمالين كلاهما أسوأ من الآخر، بين زوج يفرضه الأب، وبين شاب فرضته الظروف المعيشية، حيث تسكن فـــي مـــناطق عشـــوائية محرومة من كل فرص التعليم والعمل، والترفـــيه – عليها كونيس وبديل عن كل ما حرمت منه، فتختار

الثانـــي وهـــو اختيار باطنه الإجبار، فلا تحقق شيئاً بهذا الزواج، وتظل محكومة داخله بكل شروط علاقة القوة التقليدية بين الرجل والمـــرأة، وتستمر مجبرة عليها حيث أنها قد حرمت من الحماية التـــي كان الأب يوفرها لها، أو قد تتخذ فتاة أخرى وبكل إرادتها ووعيها المحكومين بالشروط الاقتصادية القاهرة قرار الزواج من رجـــل يكـــبرها كثيراً موسر سواء كان مصريا أو غير مصري، فهـــي ومن خلال تجربة قريتها التي تخصصت في هذا النمط من الزواج، تدرك أن الوسيلة الوحيدة المتاحة أمامها لاستثمار جمالها مـــن أجـــل تحقيق قدر من الحراك المحدود لأسرتها، فالدولة عبر سياســـتها التعليمية والاقتصادية قد همشتها هي وأمثالها وطردتها مـــن مجـــال التعليم والعمل، ويصبح الزواج من رجل موسر أياً كانـــت مواصفاته هو البديل الوحيد المتاح أمامها كآلية من آليات الحراك الاجتماعي.

قـــد تـــتعدد دوافـــع وأسباب الزواج لدى المرأة، وقد تتصور بعـــض النساء أنهن يحددن بأنفسهن مواصفات الزوج الذى يرغبن فـــي الارتـــباط بـــه ولكـــن هـــناك دائماً من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ما يجعلهن يبتعدن تماماً عن كل ما حلمن به وقـــد تستمر بعض النساء في هذا الزواج، ويبحثن عن المبررات التي تغذى الاستمرار أو يسلمن بقلة حيلتهم أمام الرغبة في تغيير هـــذا الـــزواج، أو قد يرفضن ويلجأن للطلاق كحل أخير أمامهن، والطـــلاق رحلـــة طويلـــة وشاقة لدى بعض النساء، وفي الآونة الأخيرة ظهر دور أكبر للجمعيات الأهلية في مساعدة النساء على

تجـاوز هذه الرحلة بداية من الحصول عليه وحتى ترتيبات الحياة بعـده، وإن كـان الأمر بحاجة إلى دعم أقوى من الدولة، يتجاوز التصريحات والأرقام التي لا تعي شيئاً عن الواقع الاجتماعي، ولا يقترب من التجارب الفعلية للنساء واحتياجاتهن الحقيقية.

وعلـى الـرغم من حضور العوامل الاقتصادية والاجتماعية والثقافـية ودورهـا المتزايد عند اتخاذ المرأة لقرارها في الزواج واختـيار الزوج، واختيار نمط الزواج سواء كان مرتباً من الأهل أو عرفـياً أو من ثرى مسن، وفي قرارها بالعمل أو التوقف عن العمل، وفي علاقتها بجسدها، وكيف تتعامل معه وكيف تستثمره، وفـي تبريرها لزواج الرجل لأكثر من زوجة ومتى يحق له ذلك، ومتى لا تقبل هى ذلك، وفي علاقتها بأبنائها، وقرار بعض النساء بـأن يجـتهدن مـن أجل تعليم الأبناء مهما كلفهن الأمر باعتباره السـبيل الوحيد المتاح أمام المرأة هنا لتؤكد عبره ذاتها اجتماعياً، حيـث يحقـق لهـا تعلـيم الأبناء تمايزاً اجتماعياً ما في الوسط الاجتماعي سواء كانت من شريحة دنيا، أو متوسطة، على الرغم مـن كونه قد لا يحقق تمايزاً اقتصادياً، إلا أنه يصبح بمثابة رأس مالها الرمزى الذي تتباهى به، وتشعر بقيمتها في الحياة عبره.

وفـي قـرار بعض النساء وتحت وطأة أزمة السكن أو على الأصـح أزمة الشرائح الدنيا والوسطى في الحصول على مسكن بشـروط متناسـبة مـع إمكانياتهم، بالإقامة لدى أسرة الزوج أو الـزوجة، أو لـدى بعـض الأقارب المتاح فرصة الإقامة لديهم ومحاولـة بعض النساء وخاصة المتعلمات من الشريحة الوسطى

البحث عن مبررات مرضية لهن تبرر هذا السكن المشترك، ومحاولتهن لتكييف حياتهن، واللاتي يحلمن بأن تكون مستقلة، عن حياة من يعيشون معهم، بالعودة إلى مفاهيم قد تبدو تقليدية ولكن لها ميراثها الاجتماعي لدى الشرائح الدنيا وخاصة المهاجرين من الريف إلى المدينة والذين اعتادوا نمط السكن مع أسرة ممتدة مع كل ما يفرضه هذا النمط من التزامات على كل من الزوج والزوجة في طريقة الإنفاق والمساهمة المادية في أعمال المنزل وقبول تدخل الأهل في قرارات الزوجية، ومفصلتها مع مفاهيم جديدة اكتسبتها من تجربة التعليم والعمل عن الاستقلال في كل ما يخص شئون حياتهم بأشكال يتداخل منها كلاً الشكلية وتتداخل فيها مفاهيم مختلفة.

قد تستند المرأة إلى الميراث السابق الذي يدعم التداخل بين أسرتها النووية وبين أسرة الزوج حينما تكون علاقتها بهم جيدة، وعندما تحقق لها ما تريد. أما عندما تصطدم مفاهيمهم عن الأسرة الممتدة ومتطلباتها مع احتياجات الزوجة، ويتصارعان في تفاصيل الحياة اليومية، فهي تحلم باستقلال المسكن الذي لا تساعد الظروف الاقتصادية على تحقيقه، وتظل العلاقة اليومية بين شد وجذب يصبح هو سمة للحياة الزوجية، قد يؤدي إما إلى طلاق أو استسلام ظاهري قابل للاشتعال في أي لحظة، أو إلى لا مبالاة يكمن داخلها تعاسة مكتومة، تباعد بين الزوجين على كل المستويات الحميمية وغيرها، قد تدفع الزوج إلى الزواج بأخرى

تمتلك مسكناً، وقد تدفع بعض النساء إلى الإصابة بأمراض نفسية وجسدية، أو البحث عن أشكال تعويضية خارج دائرة الزواج.

إن المـــرأة هنا تحتاج الى أحد أدوار العائلة الممتدة، ألا وهو فكـــرة المســـكن المشـــترك وذلك في الأزمة الاقتصادية الطاحنة وسياسات الدولة في مجال الإسكان ولكنها لا تحتاج إلى كل أدوار العائلة الممتدة الأخرى مثل التدخل في حياة الزوجين، فالتحولات الاقتصادية تعيد تفكيك مفهوم العائلة ووظائفه، بحيث تصبح إحدى الوظـــائف غـــير مطلوبة، في حين يتم تدعيم وظائف أخرى مما يـــؤدي إلى حدوث صراعات ما بين الأجيال، التي ترى ضرورة التعديل، والأجيال التي ترى الحفاظ على مجمل الوظائف.

وحـــتى اتخاذ المرأة لقرارها بالطلاق أو دفعها دفعا إلى هذا القرار الذي لا تحبذه رغم كل شيء، نقول على الرغم من حضور بـــل وكـــثافة حضـــور كـــل المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياســـية وأثرها على شكل قرار المرأة وتوقيته ومترتباته، إلا أن اســـتجابات النساء لكل هذه العوامل ليست واحدة، وعلى سبيل المثال فالتفكك الأسري الملازم للأوضاع الهيكلية المتدنية لا يؤدي بالضـــرورة وبشـــكل مطلـــق إلى انحلال وتفكك أخلاقي، فهناك اســـتثناءات لهـــذا القـــانون على العلم أن يبرزها وبقوة، حتى لا يتحول إلى علم يدرس كل ما هو مرضي، ولا يقدم كل ما يساعد المـــرء علـــى أزماته في حدود الممكن له، فمن خلال استعراض بعـــض التجارب الذاتية والتي تظهر لنا الظروف التي يتحول فيها الـــتفكك الأســـري إلـــى عامل تدمير اجتماعي، وذلك حين نتخلى

الدولـــة بالكـــامل عبر سياستها في التعليم والإسكان والتشغيل عن هـــؤلاء الأطفـــال والشـــباب الناتجين عن تجربة التفكك الأسري، وحيـــنما لا تصـــبح هـــناك بدائـــل اجتماعية للأسرة المفككة مثل الأقارب أو الجمعيات الأهلية أو المؤسسات الخيرية.

حيـــث أن وجـــود بعض سمات مثل هذه البدائل يشحذ الطاقة الإنســـانية مـــن أجـــل التجاوز وتحقيق النجاح الاجتماعي، إلا أن هـــناك دائماً، دوراً للإرادة الفردية، مهما كان حجم هذا الدور في مقاومـــة تحـــدي وقهر الواقع الاجتماعي. وإن كان للعلم دور في كشف اللامساواة والقهر والتسلط في المجتمع، فعليه دور مواز في بحـــث الكيفـــية التي يقاوم بها البشر هذا الواقع المفروض عليهم وكيف يستجيبون بطرق مختلفة للتحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياســـية التي تفرض عليهم سواء تحت وطأة عوامل داخلية أو خارجية، فالبشر يتعلمون ويأتنسون بتجارب بعضهم البعض، وهنا يلعـــب العلـــم الاجتماعـــي دور الوســـيط بين التجارب الإنسانية المختلفة في الزمان والمكان.

مراجع

Abdel Wahab, Mahmoud. "The Economics of Marriage". *The Jerusalem Quarterly*, Number 34, Winter 1985.

Hoodfar, Homa. *Between Marriage and the Market: Intimate Politics and Survival in Cairo*. Berkely, University of California Press, 1987.

Rugh, Andrea B. *Family in Contemporary Egypt*. Syracuse, Syracuse University Press, 1984.

Singerman, Diana, and Barbra Ibrahim. "The Cost of Marriage in Egypt: A Hidden Variable in the New Arab Demography". in *The New Arab Family*, edited by Nicholas S. Hopkins, Cairo Papers in Social Science, v.24, no.2, American University Press in Cairo, 2003.

Singerman, Diana, "Politics at the Household level in a Popular Quarter of Cairo". *Journal of South Asian and Middle Eastern Studies*. Vol. XIII. No. 4, Summer 1990.

Zuhur, Sherifa "The Mixed Impact of Feminist Struggles in Egypt during the 1990s". *Middle East Review of International Affairs Journal*. Vol. 5, No. 1. March 2001.

هذا الكتاب

إن المراقب للتطورات الاجتماعية فى مصر منذ النصف الثانى للثمانينيات، سوف يلمس بشكل جلى عمق وتلاحق التغيّرات، فمظاهر الأزمة الاقتصادية مازالت جاثمة ومستفحلة: التضخم، البطالة،، عجز ميزان المدفوعات، عودة العمالة المهاجرة من البلدان العربية النفطية، وتفاقم أوضاع الفقراء والنمو السريع للعشوائيات الحضرية، والتفاوت الصارخ فى توزيع الدخل والثروة وتضرر شرائح متعددة من الطبقة الوسطى والدنيا سواء الحضرية أو الريفية، هذا غير سياسات التكيف أو الهيكلة التى طرحتها المؤسسات الدولية كالبنك وصندوق النقد الدوليين، ورضخت لها الحكومة مضحية بفكرة العدالة الاجتماعية.

وهنا عبر شهادات بطلات دراستنا هذه سيتضح كيف تفاعلت النساء مع تلك الأوضاع الاقتصادية؟ وما هى الموارد الاجتماعية التى امتلكتها؟ وكيف وظفت وعيها وخبرتها؟ وكيف أدركت علاقتها بالأسرة؛ تلك النواة للتنظيم الاجتماعى لدينا والوسيط المباشر بين الفرد والدولة، ومن هنا تأتى أهمية رصد وعى المرأة بهذا الكيان وما يحويه من علاقات وأدوار، وما يمر به من تغييرات. أى رصد الكيفية التى ينفصل بها ما هو ذاتى وموضوعى فى وعى المرأة، والكيفية التى تعيد بها المرأة استقبال كل المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى يمر بها مجتمعنا الآن، ثم كيف تعيد إنتاجها بصورة مختلفة فى ممارستها الاجتماعية، ومن ثم الطريقة التى تنقش بها المرأة بصماتها على ملامح التغير التى انتابت الأسرة المصرية فى الآونة الأخيرة.

الفوتوغرافيا وتصميم الغلاف: أحمد اللباد

ميريت

نور جمعية المرأة العربية